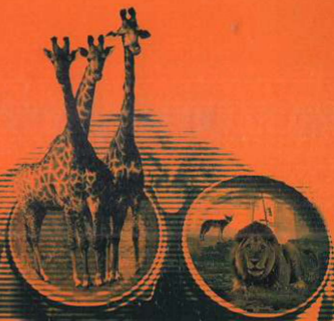


تابوت الزمن

أندريه سنيـر ماجنسون
ترجمة إيمان حرر الله

رواية

أدب ابن سنيدي حديث



المكرهسة

t.me/qurssan

رواية

تابوتُ الزَّمَن

أندريه سنير ماجنسون

ترجمة

إيمان حرز الله



بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشؤون الفنية

ماجنسون، أندريه سنير

تابوتُ الرَّمَن: رواية/ أندريه سنير ماجنسون: ترجمة: إيمان حرز الله-ط1

القاهرة: مركز المحروسة للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات، 2020

332 ص؛ 21.5×14.5سم.

تدمك 978-977-313-815-8

1 - القصص الأيسلندية

أ- حرزالله، إيمان (مترجم)

ب- العنوان

938.96

رقم الإيداع ١٦٨٩٢/٢٠٢٠

"وَيَنْطَلِقُ الزَّمَنُ
تَتَحَرَّرُ أَجْنِحَتُهُ الْقَدِيمَةُ مِنْ
فُيُودِهَا الَّتِي كَبَلَتْهَا بِهَا اللَّعْنَةُ

يَنْدَفِعُ لِأَعْلَى مِنَ النَّيرَانِ
يُحَلِّقُ نَحْوَ الْغَابَاتِ الْخَضِرَاءِ
وَمَعَ كُلِّ رَبِيعٍ جَدِيدٍ
تَتَفَجَّرُ الْأَشْجَارُ بِأَوْرَاقِهَا".

"تابوت بياض الثلج"
چون اور فوار⁽¹⁾

(1) شاعر آيسلندي من القرن الثامن عشر.

لا فبراير بَعْدَ الآن

كان يوم صيفياً مُشرقاً، والطُيور تُغرّد، مع ذلك لم يَكُن أحدٌ سعيداً. البلد في "أزمة". والِدَا سيجرين لا يتحدّثان عن شيءٍ آخر غير تلك الأزمة، بالكاد يرفعان نَظْرَئِهِمَا عن الصُحف والحواسيب، وبرامج الأخبار في التلفاز المليئة باقتصاديين وسياسيين يتجادلون. سأمت سيجرين تماماً من تلك "الأزمة"، لكنها استطاعت أخيراً إبعادَ والدَيْها عن الشاشات ليذهبوا لشراء المثلّجات والفشار، ثم يعودوا إلى البيت لمشاهدة برنامج كوميديّ.

في طريقهم إلى محلّ المثلّجات قابلوا رجلاً يحمل لافتة مكتوبٌ عليها: **النهاية ليلاً!**

"هل هو اقتصادي؟" سألت سيجرين.

"ششش". أسكّنتها أمها قائلةً: "لا تكوني سخيّة طفلتي. الاقتصاديون يرتدون بذلات".

حين عادوا إلى المنزل، أعدت سيجرين الفشار وجلسوا جميعًا في غرفة المعيشة. "حسنًا، أليس هذا رائعًا؟" قال والدها وهو يجلس مرتاحًا ويتلاصق ثلاثتهم على الأريكة الوثيرة.

بدأ البرنامج، نسوا كل شيء وضحكوا لعدة دقائق، لكن البرنامج انقطع فجأة.

قال المذيع: "تم قطع البرنامج بسبب الأزمة المالية".

ثم ظهر على الشاشة ثلاثة اقتصاديين.

أوه لا، فكرت سيجرين. ليس مجددًا. بدا لها الاقتصاديون الثلاثة ككتلة واحدة، كأنهم عملاق بثلاثة رؤوس.

"هل يوجد توائم ملتصقة ثلاثية؟"، سألت سيجرين.

"ششش!" قالت أمها. "لا تكوني سخيفة، يجب أن نستمع لهذا".

بدأ أحد الاقتصاديين الحديث بصوت حزين:

"يقولون إن الأرقام جامدة وليس بها مشاعر، لكنني أقسم أن أرقامك كادت تبكي وأنا أقوم بحسابات "الأزمة" خلال العام القادم".

تجمد والدها رعبًا. حدقت سيجرين في طبق الفشار، لم تعد تحتمل أكثر من هذا، فأمسكت الرموت وغيّرت القناة.

"لا!"، صاح أبوها، "هذا مهم!".

لم يفتنهما شيء مع ذلك؛ لأن الاقتصادي كان على القناة الأخرى أيضًا، وعلى التالية كذلك.

أخذت سيجرين طبق الفشار وخرّجت إلى الفناء. كانت شمس الأصيل متألقةً، والطيور ما زالت تغرد. جلست على الأرض، وشمت رائحة العشب المجزوز حديثًا، لا أحد سواها يستمتع بالطقس الجميل بالخارج، وقع جيرانهم جميعًا فريسة الكأبة التي يبثها التلفاز.

نظرت من النافذة، والداها يجلسان هناك في غرفة المعيشة. كانت قد رُتبت لقضاء وقت أسري مُريح، لكن هذه الأزمة دمّرت كل شيء.. رأت الاقتصادي يختفي من التلفاز، ويحلّ محلّه فاصِلٌ إعلانيّ. لم تكن تسمع شيئاً من حيث تقف، لكنها رأت ثلاثة صناديق سوداء تراقص على الشاشة، والكتابة تقول: تحكّم في زَمَنِكَ! ستعيش مرّةً واحدة فقط! اشترِ صندوقَ الزَمَن- ماركة مُسجّلة!

انفتح باب منزلهم فجأة، واندفع والداها نحو سيارته.
"أين تذهب؟".

"ستعرفين" قال. "لقد قررنا أن ننتظر حتى تنتهي الأزمة!".

رأت سيجرين جارتهم تندفع هي الأخرى إلى سيارتها، وعلى مسافة بعيدة في الشارع اندفع رجل آخر إلى سيارته أيضاً.

بعد ذلك بوقت قصير عاد أبوها يحمل مجموعةً ألواحٍ ضخمة مُغلّفة ببيلاستيك الفقائيع. راقبته والدتها باهتمام وهو يقفها، أمسك بمفتاح سداسي وبدأ تركيب ثلاثة صناديق سوداء على أرضية غرفة المعيشة. تابعت سيجرين الأمر بنصف اهتمام وهي تُفرقع فقائيع البلاستيك.

"لن نستطيع العيش في تلك الأزمة"، تمتم أبوها، "سنؤجل الرحلة البحرية حول العالم"، أضاف وهو ينظر بحزن إلى صورة قاربٍ شرابي مُعلّقة على الجدار. تنهّدت أمها بحزن وقالت: "نعم، هذا صحيح، لن تستحقّ الحياة أن نعيشها إن كان الهبوط في المؤشّر الوطني لنصف نقطة ذاك حقيقياً".

"ماذا سيحدث حينها؟"، سألت سيجرين بفضول.

"لا أحد يعرف حقاً سوى الاقتصاديين" قالت والدتها. "لكن المؤكّد أن الوضع سيكون سيئاً، كابوس شامل".

لم يكن والدها - رغم اعتباره بين زملائه في العمل رَجُلَ التَّركيز على الحلول والتفكير الإبداعي - ماهرًا في العمل اليَدوي. كانت عادته الجلوس أمام الحاسوب طوال اليوم؛ لذلك كان فخورًا بنفسه جدًا حين اكتملت الصناديق السوداء أخيرًا على أرضية غرفة المعيشة، بصواميلها كلها مربوطةً بإحكام، وتبدو كمبرّدات مياه طويلة رقيقة مُصنّعة من الزجاج المصبوغ. أوقفها عاموديًا في غرفة النوم، فيما تُرتب والدتها المنزل. تربط أي شيء غير مربوط في الفناء، تضع السيارة في الجراج، وتضع أي طعام قد يفسد في المجمد. رُتبت على الإنترنت أن يدفَع البنك الفواتير تلقائيًا لمدة سنة مُقدّمًا، وسجّلت رسالة صوتية جديدة على المجيب الآلي.

هذه رسالة من الأسرة المقيمة في 22 شارع مارجو كورت.

لقد قررنا أن ننتظر أوقاتًا أفضل.

برجاء الاتصال لاحقًا.

ثم غنّت أغنية "سنلتقي مجددًا حين يعود الربيع".

"متى سنخرُج من الصناديق؟"، سألت سيجرين.

"لقد ضبطناها على "المؤشّر الوطني". ستنتفح تلقائيًا حين تستعيد البورصة وضعها".

نظرت سيجرين حولها. كل شيء تم ترتيبه بدقة، كأنهم مسافرون في رحلة طويلة. دخل كل منهم صندوقه، واحد تلو الآخر: ماما، بابا، وسيجرين التي يأكلها الفضول لتعرف ماذا سيحدث حين تدخل الصندوق؛ كان الزجاج شفافًا، ارتعشت أذناها حين أغلق الصندوق فأضاء داخله بضوء أزرق. تحوّل كل شيء إلى الأسود، للحظة واحدة فقط، ثم انفتح الصندوق مرة أخرى. سارت بحذرٍ شديد إلى الرواق. ارتعشت حين شعرت برطوبة الأرض؛ ذهبت إلى غرفة المعيشة

وذهلت حين رأت سرباً من طيور النورس برؤوس سوداء يندفع محلقاً بعيداً. كان على الأريكة غزالٌ صغير قفز حين رآها ليهرب من النافذة. في منتصف الغرفة ضربت شجرة "تنوب"⁽¹⁾ بجذورها بين الألواح الخشبية للأرضية، وفي أحد الأركان اكتست الأرض بالسرخس. نَعق غرابٌ، رفعت سيجرين بصرها ورأت السماء الزرقاء من فتحة في السقف. طار الغراب بعيداً بعنكبوتٍ ضخم في منقاره.

في المطبخ، لم تندهش حين رأت سنجاباً يجلس في الحوض. هرب السنجاب من النافذة المكسورة، التي نمت الأشجار حلقها حتى غطت جدار المنزل، وكسرت أحد أفرعها الزجاج. كانت الخزانات كلها مفتوحة، ويوجد عُش سنونو في طبقها المفضل.

إيو، كان الاقتصاديون مُحققين، هذه أزمة فظيعة، فكّرت وهي تحاول ألا تُزعج السنونوات الصغيرة التي تشقشق في خزانة المطبخ. لا بُد أن صندوقها سار في الاتجاه الخطأ. بدأت تتحرك بسرعة لأنهم لا ينبغي عليهم مغادرة صناديقهم قبل انتهاء الأزمة. أراحَت النباتات المتسلقة جانباً ورأت الصورة العائلية المعلقة على الجدار صارت قديمة. سارت بصعوبة على سجادة السرخس التي نمت أمام غرفة نوم والدّينها، ودفعَت البابَ تفتحه بصعوبة. حين اعتادت عيناها على شبه الظلمة، رأتها يقفان في صندوقيهما، يبدوان شاحبين وسحبَين في الضوء الأزرق. بدا أن أباهما يقول شيئاً ما، وكانت عيناها نصف مُغمضة كما في صورة فوتوغرافية سيئة. أرادت أن تخبر أمها أن صندوقها قد انفتح لسبب ما؛ جذبت المقبض بقوة، ودفعت الصندوق بقدّمها. لم يحدث شيء. نُقرت على الزجاج. ظلّت تعبيرات

(1) التنوب أو الراتنج: شجر من الفصيلة الصنوبرية، ويضم 35 نوعاً، من بينها شجرة أعياد الميلاد، وأشجار باسقة، قد يبلغ طولها تسعين متراً، وهو شجر دائم الخضرة، مُنتشر في جميع أنحاء العالم.

وجَهَيَّ وَالِدَيْهَا جَامِدَةً دُونَ تَغْيِيرِ، فَبَدَأَتْ تَطْرُقُ بِكُلِّ قُوَّتِهَا. لَكُنْهُمَا ظَلًّا جَامِدَيْنِ.

صَاخَتْ "مَامَا! مَامَا!". ثُمَّ بَدَأَتْ تَبْكِي، لَكِنْهَا أَوْقَفَتْ نَفْسَهَا وَحَاوَلَتْ التَّفَكِيرَ بِالْمَنْطِقِ.

مِفْتَاحُ سُدَاسِي! أَحْتَاجُ إِلَى مِفْتَاحِ سُدَاسِي! فَكَّرَتْ وَهِيَ تَعُودُ إِلَى غُرْفَةِ الْمَعِيشَةِ. "لَا بُدَّ أَنَّهُ هُنَا فِي مَكَانٍ مَا". قَالَتْ بِصَوْتٍ عَالٍ وَهِيَ تَحَاوَلُ فَتْحَ الْبَابِ الْمُؤَدِّيِّ إِلَى الْجِرَاجِ بِصَعُوبَةٍ. سَمِعَتْ فَجَاءَهُ صَوْتًا عَالِيًّا خَلْفَهَا يَقُولُ: "لَا تَدْخُلِي، الْمَكَانُ هُنَاكَ مَلِيءٌ بِالنُّحْلِ".

نَظَّرَتْ حَوْلَهَا وَرَأَتْ وَوَلَدًا يَقِفُ فِي الْفَنَاءِ. يَرْتَدِي سُرَّةَ صُوفِيَّةٍ قَدِيمَةٍ بِلَوْنٍ بُنِّيٍّ دَاكِنٍ، وَبِنَطَالٍ قُطْنِيٍّ أَزْرَقٍ وَاسِعٍ، وَبِهِ ثِقْبٌ عِنْدَ إِحْدَى الرِّكْبَتَيْنِ.

"مَنْ أَنْتَ؟"

"مَارْكُوسُ" قَالَ الْوَلَدُ. "يَجِبُ أَنْ تَأْتِي مَعِي".

نَظَّرَتْ إِلَيْهِ.

قَالَتْ "أَلَدِيكَ مِفْتَاحُ سُدَاسِي؟".

"مَاذَا؟".

"أَنَا فِي حَاجَةٍ إِلَى مِفْتَاحِ سُدَاسِي، أَتَعْرِفُهُ؟ إِنَّهُ قِطْعَةٌ مَعْدِنِيَّةٌ، فِي أَحَدِ طَرَفَيْهَا شَكْلُ سُدَاسِي".

"لَا" قَالَ الْوَلَدُ. "الْمِفْتَاحُ السُّدَاسِيُّ لَنْ يُفِيدَكَ فِي شَيْءٍ. هِيَ تَعَالَى، أَسْرَعِي. الْبَابُ الْأَمَامِي لَا يَنْفَتِحُ، سَيَكُونُ عَلَيْكَ الْقَفْزُ مِنَ النَّافِذَةِ، أَحْضِرِي مَعْطَفًا وَحِذَاءً".

كان المستوى السفلي من غرفة المعيشة المنقسمة إلى مستويين مغمورًا كله بالماء. جلس ضفدع على طاولة القهوة، كأنه يجلس أعلى البركة.

"لا يمكنني الوصول إلى النافذة" قالت سيجرين. "يوجد ضفدع على طاولة القهوة".

"اقفزي على الأثاث".

استخدمت سيجرين المقاعد كأحجارٍ للقفز عليها عبر الغرفة حتى وصلت إلى النافذة المكسورة. كان الفناء مليئًا بعشب أصفر جاف ينمو بوفرة.

"هل ما زالت توجد أزمة؟"، سألت وهي تنظر حولها. تحاول تمييز شارعها؛ الذي بدا كأن الغابة قد ابتلعتة.

"الأمر أسوأ من ذلك" قال الولد.

توجها إلى الطريق، الذي لم يعد يبدو كطريق الآن؛ وأشجار الحور الضخمة تنمو في منتصفه. بدا أن المدينة تحثت تأثير تعويذة سحرية. المنازل رمادية ومتداعية، بلاؤها تقشر أو تآكل تمامًا، وتكسو جدرانها النباتات المتسلقة. بدا أيضًا أن الجميع قد اختفوا، كأنه عالم مهجور. كان هناك ملصقات غريبة على صناديق البريد والأبواب الأمامية.

الاثنين البائس!

عند تقاطع الطرق توجد لوحة إعلانات متحركة مكتوب عليها:

هل نَجَحَت اليوم؟

اليوم الضائع لا يعود ثانية!

صندوق الزمن- ماركة مسجلة

رأت كتلاً من العشب مُتفرقةً في الطريق.

"أهذه سيارات؟ إنها تبدو كالقنافذ! ماذا حدث؟ أين الناس؟".

"هشش" قال ماركوس. "يجب أن نكون حذرين، أسرعي".

سارت سيجرين مع ماركوس في طريق سريع مهجور حتى وصلا إلى نهر يجري عبر وادٍ أخضر في مركز المدينة. سارا بحذاء النهر نحو الضواحي. على الجانب الآخر مبانٍ سكنية ضخمة، لكنهما توجَّها إلى المنازل القديمة المنفصلة، أعلى التلَّة، شقًّا طريقهما عبر الأفنية، حتى صاح عليهما فتى يرتدي سُرَّةً بألوان زاهية، وأشار لهما أن يأتيا إلى أحد المنازل.

دخلت سيجرين المنزل. البهو بسقفٍ عالٍ، تزدهم جدرانُه بصفوف من الأعمال الفنية والمقتنيات؛ يوجد صَفٌّ من دعائم يعلوه منحوتات حجرية لرؤوس آدمية بعيونٍ من لآلئٍ سوداء. دخلوا غرفة فوجدوا مجموعة من الأطفال بدا أنهم من أماكن وأعمار متباينة. تطلُّ نوافذ المنزل على المدينة بأكملها، لكن لا وجود لأثر حياة هناك. لا أثر لإنسان واحد. تومض لوحة إعلانات ضخمة أعلى أحد المباني السكنية خلف النهر:

لا فبرابر بعد الآن!

كانت سيجرين حائرةً تمامًا.

ظَهَرَت امرأةٌ عجوز. بثوب أسود وضميرة رمادية طويلة. ابتسمت لماركوس، ثم لسيجرين وحيثها بؤدٌ قائلةً:

"مرحبًا عزيزتي. أنا اسمي جريس. تفضلي بالجلوس مع الأطفال الآخرين".

ذهبت جريس إلى المطبخ، وعادت سريعًا بطبقٍ فطائرٍ القُرْفَةِ المخبوزة حديثًا. راقبتها سيجرين بارتياب. كانت قد بدأت تفهم أن

هذا ليس حُلْمًا. المدينة انهارت. اختفى الجميع. نَظَرْتُ بِسُرْعَةٍ نحو الباب المفتوح حيث يقفُ الفتى، كأنه حارس.

بدأت طفلة تبكي، فتاة بشعرٍ أشقر.

"أريد أن أعود إلى البيت."

تحدّثت جريس معها بِرِقَّةٍ: "لا تبكي عزيزتي. كل شيء سيكون بخير، إن سار كل شيء كما ينبغي سنعود جميعًا سريعًا."

"أين أختي الصغيرة؟ أين ذهب الناس؟"

"للإجابة على هذه الأسئلة أريد منكم جميعًا أن تساعدوني" قالت المرأة.

حدّثت سيجرين خارج النافذة: الأشجار في الشارع، اللافتات الباهتة، العالم الخالي تمامًا، وشعرت أنها خاليةً مثله.

أمسكت جريس بمنظارٍ مُقَرَّبٍ ونظرت إلى المدينة.

"سيكون علينا أن ننتظر الآخرين". ثم وصّعت المنظار وعادت إلى

المطبخ.

تسلّلت سيجرين إلى النافذة وأمسكت بالمنظار. لا بُدُّ أن يكون أحدٌ ما في بيته، في مكانٍ ما في المدينة. التقطت عينها ضوءًا أزرق في أحد المنازل يبدو كضوء التلّفاز. قرّبت رؤية المنظار في اتجاه المنزل فرأت على باب المنزل مُلصقًا لوجه مبتسم:

الأوقات الجميلة عند المنعطف!

دققت النظر في غرفة المعيشة من النافذة التي توجد أزهار ذابِلَّة على إطارها، رأت أكوابًا على الطاولة داخل الغرفة، والأرائك مُغطّاة بطبقة تراب رمادية. بدا البيت كأن أصحابه غادروه باستعجالٍ شديد. بحثت عن مصدر الضوء الأزرق فوجدته امرأة في صندوق، وجهها

ثَابِتٌ كَتَمْنَا لِسَمْعِي؛ يَوْجَدُ أَيْضًا زَوْجَهَا وَطِفْلَهُمَا، جَامِدَيْنِ مِثْلَهَا. لَمْ يَكُنْ مَا تَرَاهُ أَسْرَةً تُشَاهِدُ التَّلْفَازَ، بَلْ مَجْمُوعَةٌ وَجُوهٌ مَتَحَجَّرَةٌ.

وَصَعَتِ الْمَنْظَارَ جَانِبًا، وَرَأَتْ فَتَاةً تَرْكُضُ عَلَى الطَّرِيقِ، كَانَ مِعْطَفُهَا الْأَزْرَقُ يَسْقُطُ عَنْ كَتْفَيْهَا؛ قَبَدَتْ كَأَنَّهَا بِجَنَاحَيْنِ أَزْرَقَيْنِ. طَارَتْ نَحْوَ الْمَنْزِلِ مِثْلَ فَرَّاشَةٍ تَطِيرُ نَحْوَ ضَوْءِ الشَّرْفَةِ، تَسْتَدِيرُ مِنْ حِينٍ لِآخَرَ لِتُنَادِيَ عَلَى فَتَى يَتَّبِعُهَا.

"توجد فتاة بالخارج"، صاحت سيجرين. "إنها تتجه نحونا".

نظر ماركوس إلى الخارج.

"إنها كريستين. لقد وجدت شخصًا ما".

قالت جريس: "أخبرها أن تسرع، اقترب الغسق وربما حرجت الذئب للبحث عن فريسة".

ظهرت الفتاة ذات المعطف الأزرق عند الباب، وخلفها فتى مرتبك.

"تعاليا وتناولوا بعض الكاكاو" قالت جريس. "لقد حدث شيء ما في العالم، لكننا سنصلحه".

"هل معك أطفال آخرون؟"، سألها ماركوس.

"لا" أجابت كريستين. "لم أر آخرين" قالت لاهئة وهي تخلع معطفها.

"أين أنا؟" سأل الفتى الجديد. "أين جميع الناس؟ لا أحد بالخارج هناك!".

قالت جريس "من الأدب أن تقدم نفسك أولًا".

"أنا بيتر ويلسون".

"مرحبًا بيتر، لا داعي للخوف".

نظرت سيجرين إلى المرأة العجوز ويديها الرقيقتين. ثم نظرت إلى اثاث البيت: السجادة على الأرض، والثريا المتدلية من السقف. لم

بكن بيتًا بقدر ما كان مزيجًا من معرض فني ومكتبة ومختبر. هزت رأسها حين عرّضت عليها جريس قطعة من كعكة الشوكولاتة وكوب لبن؛ إنها تعرف قصة هانسل وغريتل⁽¹⁾ جيدًا.

قالت جريس: "تعالوا معي".

تبعها الأطفال إلى غرفة مكتب. يوجد هناك إناء خزفي عتيق أعلى دُعامة، وعلى أحد الأرفف توجد خوذة مكسورة، كأن أحدهم شقها بسيف. بقايا سجادة قديمة مُعلّقة على الجدار، ولوحة حديثة لقلعة قديمة مهيبّة. يوجد على المكتب أيضًا: جراب، خاتم فضي، منحوتة لفيل صغير وناب حوت النروال⁽²⁾. يوجد أيضًا خرائط قديمة للعالم كما تخيّلها الناس في الأوقات الماضية، بأماكن مُعلّم عليها بقلم سميك. على إحدى الخرائط وُزيّقة صفراء مكتوب عليها: لعنة أميرة بانجيا⁽³⁾.

أزاحت جريس ستارًا لتكشف عن جدارية، متكسرة قليلًا، لكن ألوانها زاهية ورسوماتها مُتقنة. تُظهر الصورة رجلًا من الواضح أنه ملكٌ يمتطي خرتيتًا بلجام؛ وفتاة تحمل سمكة ذهبية عملاقة، ووكّدا يحمل الفتاة إلى بحيرة صغيرة؛ والفتاة نفسها ترقد في شيء ما يبدو كتابوت زجاجي.

"من هذه الفتاة التي في الصندوق؟"، سألت سيجرين.

"هذه أوبسيديانا، أميرة بانجيا. لقد جمعتُ عنها آلاف القصص، ودرستُ كيف تتعلّق حياتها بما يحدث هنا؛ ظللتُ أنقب في الآثار

(1) حكاية أطفال خيالية مشهورة دُونها الإخوان غريم الألمان في القرن التاسع عشر.

(2) Narwhal: ويسمى أيضًا حريش البحر أو المُرْفُط وهو أحد الحوتين الوحيدين في فصيلة العيتان البيضاء جنبًا إلى جنب مع الحوت الأبيض، لكنّه يتميّز عنه بنابٍ أو سنٍّ حلزونيّ طويل وقوي، يمتدّ من فكّه الأعلى. ويبلغ طوله حوالي مترين.

(3) Pangea: قارة بانجيا، وتعني: "الكل" و"الأرض" بالإغريقية، وهي القارة العملاقة التي كانت العالمَ بأكمله قبل 350 مليون عام قبل أن تنقسم إلى القارات المعروفة اليوم؛ لذلك يُطلَقُ عليها في العربية أحيانًا اسم "القارة الأم".

القديمة والمخطوطات، وقد اقتربت من الحل. أعتقد أنني وجدت الطريقة الوحيدة لتحرير العالم من اللعنة، لكن عليكم جميعاً أن تساعدوني".

شغلت لهم جريس مقطع فيديو لرجل يقف في مدينة مهجورة ويشير إلى تل خلفه. يهز رأسه ويقول بصوت كئيب: "لا بُدَّ أن أحداً ما قد أزعجها! لقد تجددت اللعنة!".

جلس الأطفال جامدين. كان كل شيء بالخارج ساكناً؛ لا يوجد أحد في المدينة ولا ضوء سوى الوهج الأزرق الباهت المنبعث من المنازل الصامتة. شاهدوا مقاطع فيديو من جميع أنحاء العالم. الأمر نفسه في كل مكان: بيوت شبحية، طُرُق شبحية، ومُدن شبحية. كلُّ شيء مهجور وخالٍ، لكن العالم لم يكن ميتاً، كان أخضر ووارقاً، تكسو الغابات أرضه وأسمنته. كان بالتأكيد تحت تأثير تعويذة.

أمسكت جريس برزمة أوراق ووضعتها على الطاولة، مثيرةً ذهول الأطفال.

"أتريدون سماع القصة؟".

أوماً الأطفال برؤوسهم.

فبدأت جريس تحكي.

الشَّقِيقَاتُ الثَّلَاثُ

منذ زمنٍ طويلٍ جدًّا، حينَ كانَ البشرُ قليلينَ، وكانوا يتجولون لصيد طعامهم، وُلِدَت ثلاثُ شقيقاتٍ.

اكتشفتُ أمهنَّ سريعًا أن إحداهنَّ لا ترى ولا تسمع، لكنَّها تتحدَّثُ فقط، والثانية لا ترى ولا تتحدَّثُ، لكنها تسمع فقط، والثالثة لا تسمع ولا تتحدَّثُ، لكنَّها ترى فقط.

كَبُرَتِ الأَحْوَاتُ، تُعَوِّضُ كُلُّ مِنْهُنَّ أَخْتَيْهَا عَمَّا يَنْقُصُهُمَا. كانت مَنْ تسمع فقط لديها حاسةُ سَمْعٍ خارقة، وكانت عَيْنَا مَنْ ترى فقط أقوى من عيني الضُّفْر، وكان بمقدور مَنْ تتحدَّثُ فقط الصِّيَاحُ بصوتٍ عالٍ للغاية، يجعلُ الوحوشَ تَفِرُّ هاربةً. وهكذا كُنَّ يتجولنَ في الغابة، وَيَعْرِفْنَ طَرِيقَهُنَّ أَفْضَلَ مِنْ أَيِّ شَخْصٍ يَرِي وَيَسْمَعُ جَيِّدًا. مع ذلك كان الناس يخافونهنَّ ويظنون أنَّهنَّ يَجْلِبْنَ الحَطَّ السَّيِّئَ؛ لذا اضطرَّ أمهنَّ إلى تَرْكهنَّ في فسحة في الغابة لِيَمُتْنَ هناك.

تأبوت الرُّضن | 19

لكنْ أشرس الوحوش لم يَسْتَطِيعْ مَسْهِنٌ. كانت مَنْ ترى تحَدِّقُ
بِعُمقٍ في عيون الحيوانات، وَمَنْ تسمع تسمعها بتعاطُفٍ، وَمَنْ
تتحدَّثُ تربُّت عليها وتهِمُّسُ لها بكلماتٍ عَطوْفَةٍ.

عِشْنَ فِي خَلِيَّةِ نَحْلِ عِمْلَاقَةٍ بَنَاهَا النُّحْلُ خِصِيصًا لَهَا. كانت
الأبقار تأتيهنَّ لتمنهنَّ اللبن، والأحصنةُ تحملهنَّ عبر الجبال، والذئاب
تَجَلِبُّ لَهَا الأرانب وطيور التُّدْرُجِ⁽¹⁾ لِيَاكُلْنَها.

لم يكن الناس يعرفون متى وأين قد يقابلون الأَخْوَاتِ فِي الغابة،
وقد أربهم هذا للغاية، لِحَدِّ أَنْ اختاروا شَابًا شَجَاعًا لِيَذْهَبَ وَيَقْتُلَهُنَّ
ويعود بقلوبهنَّ كدليل. انطلق الشَابُ، وَعَثَرَ عَلَى خَلِيَّةِ النحل التي
يَعِشْنَ فِيهَا فِي إحدى فسحات الغابة. اختبأ أسفل فراء، بِسَكِينٍ فِي يده.
رأى فتاة صغيرة تعود إلى البيت، تهمس لطائر صغير فِي رَاحَةِ يَدِهَا.
رَكَزَ الشَابُ لِيَسْمَعَ كَلِمَاتِ الفتاة الموزونة. رَقَدَ سَاكِئًا كَالصَّنَمِ طوَالِ
اليوم يسمع لها وهي تهمس للبقرة وللحصان، وتهدئ بكلماتها
الموزونة الذئاب المتوحشة. لم يَرَ بَشَرًا يتواصل مع الحيوانات بهذه
الرُقَّةِ مِنْ قَبْلِ قَطُّ.

كان ما زال فِي مَخْبِئَتِهِ حِينَ وصلت مَنْ تَسْمَعُ. توفَّقَت، تسمع دَقَّاتِ
قلبٍ غريبة. تحرَّكْتَ نَحْوَ الصَّوْتِ، مَدَّتْ يَدَهَا أَسْفَلَ الفِراءِ وَجَدَّتْ
الشَابَ. جاءت مَنْ ترى ونظرت فِي عَيْنَي الشَابِ بِثَبَاتٍ، حدَّقَتْ فِي
أعماق روحه، ثُمَّ هَمَّسَتْ مَنْ تتحدَّثُ فِي أذنه بِحَنَقٍ قَائِلَةً:

"لقد تعلَّمْتُ كَلِمَاتٍ ستجعلك أقوى المخلوقات. لكن اعلم أنك
لا يَجِبُ أَنْ تُثَيِّرَ العداوةَ بَيْنَ البشر والحيوانات. أبدًا! مَنْ يفعل ذلك
يَفْقِدُ أعزَّ ما لَدَيْهِ".

(1) طيورٌ داجنةٌ تُشبهُ الدجاج المنزلي إلى حدِّ كبير.

هرب الشاب مذعورًا، ظلَّ يَجُولُ في الغابة مُرْتَبِكًا لبقية اليوم، منى قابل أَيْلًا⁽¹⁾، مدَّ يده إلى سَكْنِيهِ تَلْقَائِيًا، لكنه بدلًا من اصطياده ردَّد الكلمات التي سمعها. وهكذا عاد إلى الناس يمتطي أَيْلًا بَدَلًا من سمل قلوب الأخوات الثلاث. ركع الناس أمامه وجعلوه مَلِكُهُمْ. راح الملك الشاب الشُّجاع يروِّض الجيادَ والأبقارَ والفَيْلَةَ، وبنى قصرًا أكبرَ من أى قصر رآه بشر. روِّض الجمالَ وعَبَّرَ بها صحاري لم يَعْبُرْهَا أَحَدٌ. هكذا نَشَأَتْ أوَّلُ بَلَدَةٍ، ثم صارت أوَّلَ مدينة، ثم صارت أوَّلَ مَمْلَكَةٍ؛ وسُمِّيَتْ بانجيا. أنجب الملك الشابُ أبناءً ورثوا عرشه، ومرَّت قرونٌ وقرونٌ أخرى كثيرة.

على مدار الأجيال، ظلَّ الهامسون الرسميون يخدمون ملوك بانجيا، لم يكن جميع الملوك حُكَّامًا عادلين، مع ذلك لم يجرؤ أحدٌ على إثارة العداوة بين البشر والحيوانات.

لم يسمع أحدٌ عن الشقيقات الثلاث لزمان طويل، لكن الأسطورة تقول إنهن يظَهَرْنَ أحيانًا ليتنبَّأْنَ بأحداث سيئة. كذلك تدور الأقاويل عن مشاهدتهن في بانجيا؛ واحدة على قِمة جبلٍ، يومَ اكتمال القمر، وأخرى بالقرب من صَيَادٍ يسحب شبكته، وأخرى تجلس في عَشْ غراب.

لم يكن الملك دايمون الثالث عشر يهتمُّ بهذا الأمر؛ لأنه كان غارِقًا في الحب، حتَّى قِمة رأسه.

(1) Stag: هو الحيوان الوحيد الذي له عظام على رأسه تُسمَّى القرون الساقطة، وهو من أكثر الثدييات الأرضية الكبيرة انتشارًا، ويشتهر بقدرته على العَدْوِ، يوجد أكثر من 60 نوعًا من الأيائل في العالم، منها الموطن والرُّة.

الحياة والموت

ظلُّ الملك دايْمون، ملك بانجيا، شارِدَ الذَّهْن بشكْلِ ملحوظٍ مؤخَّرًا. كان مستشاروه وحاشيته يرونه يحملق في الفراغ بعينين حاملتين، وكانوا جميعًا يعرفون السبب: لقد قابل دايْمون، وهو يصطاد في الغابة، امرأةً جميلةً فتَنَّتَه، كانت تصطاد سمك السلمون المرُقُّط في بحيرة صغيرة. وَمَرُّ قَوِيٍّ يستلقي عند قدميها.

حيَّاهَا، وَحَيَّتَه، وقالت له إن اسمها "شعاع الشمس".

كانت عيناها حاملتين كقنديل البحر على سطح الماء، وشعرها مُنْسَدِلًا كأعشاب البحر على الشاطئ، وشفاتها حمراوين كنجمة البحر.

"نجمة البحر"، فُكِّر دايْمون، "نجمة البحر". قلبه يقفز كدولفين وُلِدَ حديثًا.

سَبَحًا مَعًا إِلَى جَزِيرَةٍ صَغِيرَةٍ فِي الْبَحِيرَةِ، حَيْثُ جَلَسَا الْيَوْمَ بِطَوْلِهِ
أَسْفَلَ غَبِيرَاءَ⁽¹⁾ عَجُوزٍ، يُتْرَثِرَانِ وَيَمْضِغَانِ الْقَشَّ. بِحُلُولِ الْمَسَاءِ كَانَ قَدْ
غَرِقَ فِي حُبِّهَا لِحَدِّ أَنْ تَلْبَسَ مِنْهَا الْإِنْتِقَالَ إِلَى الْقَلْعَةِ مَعَهُ.

"الأفضل أن تبقى أنت معي" قالت مبتسمةً تقصد إغاظته.

"وَمَنْ سِيحْكُم مَمْلَكْتِي؟"

"أحيانًا قد يحكم المرة أكثر حين يحكم أقل" قالت وهي تضع
سمكة سلمون مرقط تلتوي في سلتها.

حين عاد إلى قلعته، كان هذا تحديدًا هو ما قرّره. ودون تأخير
قفز على ظهر حصانه وتوجّه إلى الغابة.

"أراك في الخريف!"، صاح على كونسيجليو، مستشاره.

"لكن مَنْ الذي سيحكم؟"

"أحيانًا قد يحكم المرة أكثر حين يحكم أقل"، أجابه دايمون،
واختفى.

قضى دايمون و"شعاع الشمس" الصيفَ بأكمله معًا في كوخٍ يُطلُّ
على البحيرة الصغيرة، وكان يمكن سماع ثرثرتهما وضحكهما واضحين في
الليل. أخبرها عن حلمه بالتوسّع في مملكته، لكنها عانقته، وقالت:
"الآن، ألم تفهم أن كل ما نحتاجه هو حديقة وبركة ومروجٌ قليلة".

بمرور الوقت، نمت حياةٌ صغيرة جديدة في بطنها، وصار العالمُ
للملكِ كقطعة حلوى رائعة، وصار كل صوت بالنسبة له كرقزقة
العصافير.

(1) Whitebeam: شجرة برّية، أو زراعية، من الفصيلة الوردية، يبلغ ارتفاعها من 12 - 16
مترًا، يوجد منها أنواع في جميع أنحاء العالم.

عَقَدَا حَفْلَ زَفَافِي فِخْمٍ، بِحَشُودٍ تُهَلِّلُ، وَأَلْفِ الطَّيُورِ تُشَكِّلُ صُورًا
مِئَةً لِأَلْعَابِ نَارِيَةِ فِي السَّمَاءِ.

عندما حان وقت وصول الطفل إلى العالم، حملوا شعاع الشمس
إلى غرفة في بُرج عالٍ في القصر، وأرقدوها على فراشٍ بأغطية حريرية،
كانت الغرفة تُطُلُّ على جبالٍ وأوديةٍ تُحَلِّقُ فيها الببغاوات من
شجرة إلى أخرى. لكن الولادة كانت صعبةً. مرَّ يومٌ وليلة قبل أن
يصل الطفل إلى العالم أخيرًا، وصَدَرَتْ من البُرجِ صَيْحَةٌ:
"المولود فتاة!".

أَخَذَتِ الْمَلِكَةُ الطُّفْلَةَ بَيْنَ ذِرَاعَيْهَا، وَابْتَسَمَتْ يَوْهَنٍ قَائِلَةً: "إنها
جميلة".

ثم أغمضت عينيها، ولم تفتحهما مرة أخرى أبدًا.
أخذت القابلةُ الطُفْلَةَ منها، فيما يحاول الملك إيقاظ حبيبته
الوحيدة، لكنها لم تستيقظ.

دفن الملك داهمون وجهه في يديه. قلبه على وشك الانفجار. شعر
أن أحدهم أمسك بمقصٍ وأخذ يقطع أوتارًا كأوتار القيثارة في صدره.
يستحيل أن يكون هذا حقيقيًا! منذ دقيقة واحدة فقط كانت حبيبة
عمره تقبله، لكنها الآن ذهبت بلا عودة. كأن نجمة صغيرة في صدره
قد انفجرت ذاتيًا وتحولت إلى ثقب أسود امتص كل الفرح الذي
عاشه، وكل طعم حلو ذاقه، وكل لون يحيط به. كان يُحدق في الأفق،
في الشمس والرياح والعالم الذي ظل يسير كعادته كأن شيئًا لم يكن.
ظلَّ الذُّبابُ يَنْزُرُ، والطُيورُ تَغْرُدُ بِمَرْحٍ، والشمسُ تشرق - كأن مصيبتَه
مُجْرَدُ شَيْءٍ عَادِيٍّ.

صاح داهمون بكل عزمه:

"كُفُّوا عن الغناء! أنا أُمُرُكُمْ بِالْكَفِّ عَنِ الْغِنَاءِ! لتذهبوا جميعًا إلى الجحيم!".

سمع فجأة غمغمة ناعمة رقيقة، صوت هادئ وضعيف غير نبض قلبه على الفور. أخذ ابنته المولودة حديثًا بين ذراعيه ليوقف بكاءها. كان أخرق، ولم تكن يدها الضخمتان قد حملتا مخلوقًا صغيرًا مثلها من قبل. قَبَّلَ جبينها. كانت رائحتها كالزهور، وحدقت في أبيها بعينين كعيني الفقمة، مُتَسَائِلَتَيْنِ، وعميقتَيْنِ، ودَكِيتَيْنِ. ضحك وبكى في آن واحد، بدأت الطفلة تبكي مُجدِّدًا.

"إنها جوعانة" قالت القابلة.

اندفع رجال الملك من منزلٍ إلى آخر يبحثون عن امرأةٍ يُمكنها إرضاع الطفلة. هكذا عثروا على ثورديس؛ امرأةٌ بيدين رقيقتين، ابتسامة جميلة وشعر ذهبي. يتدفق اللبن من ثدييها بسخاءٍ، وقد أغدقت على الطفلة بكل الحنان الذي تحتاجه.

كان دايمون يشتعل بالغضب لفقدانه حبيبته: لقد انقلبت الأقدار عليه. في تلك الليلة، أخذ الملكة المتوفاة بين ذراعيه وامتنى بها فرسه وذهبًا معًا إلى الغابة. دفنها عند البحيرة الصغيرة حيث قضيا صيفهما الأول معًا.

سرعان ما انتشرت الأخبار في المملكة عن ولادة أجمل البنات: بيضاء كالثلج، بشفتين حمراوين كالدم، وشعر أسود كجناح غرابٍ نُوحِيٍّ. أغمض أبوها عينيه وقال: "أقسم بكل الآلهة أن أفعل كل شيء من أجل هذه الطفلة. سأعبر الجبال وأخوض الحروب. كل شيء من أجل سعادتها". وأسماها أوبسيديانا.

حملها دايمون إلى الشرفة ليرى رعاياه أميرتهم الجديدة. فرح الناس وكتب الشعراء الملاحم. لم يتخيل أحد أنها سوف تقف في الشرفة نفسها بعد عقود، وحينها سينظرون إليها بعيون مليئة بالخوف.

إكسِل

كان الملك في جِداده شاردَ الذَّهن بشكل أسوأ ممَّا كان عليه حين كان غارقًا في الحب. في محاولة منه لإراحته وإلهائه عن حزنه قليلًا؛ اقترح عليه كونسيجليو أن يذهبًا ليتمشِّيًا معًا. كان المستشار قد درَّب سِرِّبًا من النحل على الطيران حول رأسه في دوائر كحلقات زُحل. وكان يجلس على كتفه أيضًا سنجابٌ عجوز، ومن خلفه تزحف حول ظِلِّه أصلتان عاصرتان⁽¹⁾ سوداوان، تتشابتًا معًا أحيانًا، فتَبْدُوا كأفعى واحدة، بِرَأْسَيْن.

حاول كونسيجليو لَفَتَ نظر الملك إلى ازدهار مملكته، ومدى روعتها، وكيف أنها أفضل مملكة في العالم. رَأْيًا وَهُمًا يمرَّان بالنهر. كلبٌ ماءٍ يصعد إلى الضفَّة جالبًا سمكة لصيَّاد ينام بالقرب من النهر. رَأْيًا أيضًا قردًا يتسلَّق شجرةً ليجمع ثمار جوز الهند في كومة بالقرب

(1) الأصلة العاصرة أو البُواء Boa: نوع كبير من الثعابين ثقيلة الجسم، ومن الأنواع التي ينمُّ الاحتفاظ بها وتربيتها في الأسر.

من امرأة عجوز جالسة تغزل قُبْعَةً من الصوف. وفي حقل قريب من النهر كان خرتيت يجرُّ محراثًا. المملكة ثرِيَّة بالفعل: الحظائر مليئة بالعَلَف، والمخازن مليئةً بالسَّمَكِ المَجْفُف، والمربطانات مليئة بالمربي حتى فُوْهتها- مع ذلك لم يُخَفَّف شيءٌ من هذا من حُزْنِ الملك.

غاص چاكو، الحكيم العجوز، في أعماق المكتبة، يبحث عن كلمات حكيمة قد تُحَرِّرُ المَلِكَ من أحزانه، لكنه لم يَجِدْ شيئًا. أعدَّ طَبَّاخُو القصر أفضل الأطعمة لملكهم؛ أعدوا نعاماً كاملة مشويةً ومحشوةً بطائر أوك⁽¹⁾ كبير، محشوً بديك رومي، محشوً بطائر فلامينجو⁽²⁾، محشوً بدجاجة، محشوةً بطائر ترمجان⁽³⁾، محشوً ببيغاء، محشوً بجُشنة الحقول⁽⁴⁾، محشوةً بطائر الطُّنان⁽⁵⁾، في بطنه نَحْلَةٌ مَدَهونَةٌ بالعَسَل- لكن الملك لم يرغب في تناول شيء. بدأ ينسى أحزانه فقط حين بدأت ابنته الصغيرة تُعْمِغُ وتمسك بأنفه. أدرك أن في انتظاره مهامٌ لا تُحصى، وفي تلكم الأزمنة لم يكن من عادة الرجال الذين يشغلون منصبًا مهمًا كمنصبه قضاء الوقت في تربية الأطفال؛ لذلك صارت ثورديس مُربيَّة الأميرة، بمساعدة مائة جليسة أخرى يقفن في انتظار الأوامر.

(1) الأوك Auk: طائر من فصيلة البطريقيات يشبه البطريق لكنه يختلف عنه في إمكانية الطيران

(2) Flamingo: طير مائي أحمر يُسمى أيضًا النُخام، يتميز بسيقان طويلة ورفيعة، وله لونٌ ورديٌّ أو أحمر فاتح.

(3) Ptarmigan: طائر صغير الحجم يعيش في المناطق المرتفعة الباردة.

(4) Meadow pipit: طائر صغير نحيل، ألوانه رمادية مخضرة، وينشط كثيرًا في الحقول الزراعية ذات الأعشاب الكثيفة.

(5) Hummingbird: يُسمى أيضًا الطُّنون، يُعتَبَر أصغر طائر على وجه الأرض، وزنه حوالي 2 جرام، وطوله 5 سنتيمترات. اشتُق اسمُه من مرعة ضربات أجنحته، التي تصل إلى مائتين ضربة في الثانية.

"هل لدينا أفضل مدرّسين في العالم؟"، سأل الملك، "هل درّست الموسيقى والفلك؟".

"إنها مولودة منذ شهور قليلة فحسب" قال كونسيجليو. "لكننا نجلب لها أفضل المدرّسين".

"هل لديها أفضل طعام في العالم؟"، سأل الملك.

"ما زالت ثورديس تُرَضُّعُهَا" قال كونسيجليو. "لكننا سنأتي بطباخين متخصصين حين يحين الوقت".

في الليل كان الحزن يتملّك الملِكَ تمامًا؛ فيظُلُّ يجول في أرجاء القصر كالأسد الحبيس.

استمع دكتور ستاج، طبيب القصر، إلى دَقَّات قلب الملك وسأله: "ما الشيء المفريح الذي قد يُسَاعِدُ في تخفيف حُزْنِكَ؟".

"إن حزني عميق للغاية، لِخَدِّ أَنْي قد أغزو العالم كله به".

"في هذه الحال لا يمكنني عمل شيء لك"، أجابه الطبيب.

حينها صدر من خلفهما صوتٌ رفيع يقول: "أنا أعرف كيف يمكنك غزو العالم".

نظر الملك حوله. رأى عند الباب رجلًا طويلًا، وجهه بلون الطين الرمادي؛ ما يجعله يتماهى مع جدران القلعة. يرتدي بَدَلَةً مطبوعة بمربّعات كورق الرسم البياني، ويحمل مسطرة مَطْلِيئةً بالفضة. أتضح فيما يقترب من الملك جِرْصُه على ألا يخطو على أيِّ حَظٍّ. كان بلاط الأرضية بأحجام مختلفة؛ لذلك كان كُلُّ حُطَوَتَيْنِ يخطو الخطوة الثالثة، إمَّا صغيرة جدًا أو واسعة جدًا. تَنَحَّحَ الرَّجُلُ، وقال بصوت رفيع:

"أتمنى ألا أتسبّب لجلالتك في أي إزعاج، أنا اسمي إكسل، وأعتقد أن بإمكانني مساعدتك".

"من أين ظهرت؟" سأله الملك.

"أنا أقوم بحساباتك سيدي".

"أهذا حقًا؟"، سأل الملك مندهشًا؛ لأنه لم يتذكّر رؤية الرجل من قبل، "ولماذا قد تعرف كيف يمكن غزو العالم؟".

"لأنني قُمتُ ببعض الحسابات" قال إكسل. "أنت في حاجة لكميَّاتٍ هائلة من الذهب، وقد وجدتُ طريقةً لتحويل الهواء إلى ذهب".
رفع الملك حاجبيه، وهزُّ طيب القصر رأسه.

"حسنًا"، قال الملك، "ماذا تحتاج لتحويل الهواء إلى ذهب؟"

"أحتاج إلى سنْدَرَة وصينيَّة كبيرة من الهاجيس⁽¹⁾".

لم يسمع الملك من قبل شيئًا بهذا السخف، لكنه، من باب الفضول، أمرَ لإكسل بما طلبه.

في اليوم التالي انبعث من ثقبِ المفتاح في باب السندرة ضوءٌ ساطعٌ. حين فتح الملك الباب دُهِل، كانت السندرة مَلِيئَةً بقطع الذهب والألماس البرّاقة. جلس إكسل إلى مكتبه بجوار الكومة المتلألئة بفخر، يَزِنُ كُلَّ شيءٍ من مكوّنات الكنز، ويُسجّل وزنه في دفتر حسابات ضخّم.

"بماذا أخبرتكَ!" قال إكسل بهرح وهو يَزِنُ الذهب، ووجهه يتوهّج بلمعته.

"ما سرُّ هذا السحر؟" سأل الملك.

"لقد علّمتُ الغِربانَ أن تجلب لي كلَّ ما يلمع مقابل قطعة من الهاجيس"، قال إكسل بنبرة انتصار.

(1) Haggis: طعامٌ محليٌّ اسكتلندي يُشبهُ السجق، يُصنع من أعضاء الخروف: الكبد والقلب والرئتين، مفرومة جميعًا، ومحمّسوةٌ في مَعِدَة الخروف.

أضاعت عيننا الملك وهو ينظر إلى الكنز. وتَبَخَّرَت قطره حُزِنٍ
مُتَبَلِّةً فِي رُوحِهِ.

قال كونسيجليو: "لا يجوز أن نسمح للغربان بجمع الذهب".
"لا تقلق"، قال إكسل. "لقد قُمتُ بكلِّ الحسابات. سيتبعها الباقون
المُتَابِعِينَ".

لم يَمُرَّ وقت طويل قبل أن يبدأ حُكَّامُ الممالك المجاورة المطالبة
بالذهب، والرَّغْمُ أنه من خزائنها الخاصَّة. حَسَدَتِ الممالكُ المجاورةُ
مَعًا جيشًا مَهُولًا، وَضْرِبَ حصارًا حَوْلَ مملكة بانجيا.
"لقد تَسَبَّبَتْ لنا في مازق يا إكسل!" هَدَرَ الملك.

لكن إكسل ظلَّ على موقفه "لا تقلق سيدي الملك، لقد رَبُّتُ
الأمر على نحوٍ يجعل أصغر الوحوش يَهْزِمُ أضخمَ الجيوش".
"كيف ذلك؟"

"ثق فيّ".

"لكنَّ جلالتك"، احتجَّ كونسيجليو. "لا يجوز لنا أن نشير العداوة بين
الوحوش والبشر".

اهتزَّ القصرُ بخطواتِ كتائبِ جيش العدو تقربًا؛ فاستيقظت
الأميرة الصغيرة وبدأت تبكي.
قال دايمون: "هذا الجيش يُهدِّدُنِي ويهدِّدُ طفلي!".

وَصَعَوْا المتاريس عند بوابات المدينة فيما يقوم رجال الملك
بتنفيذ تعليمات إكسل، يعملون ليلاً ونهارًا على ترويض النمل
الأبيض، والنحل وجيوش النمل. في اليوم الثالث وَصَلَتِ الحشراتُ إلى
العُزَاة، ظلَّ الجنود يحكُّون جلودَهم مَدْعورين، والبراغيتُ تعضُّهم
أسفلَ ثيابهم. نَهَشَ النَّمْلُ الأبيضُ السُّهَامَ والعجلات الحربية والدروع،

وأَكَلَتِ العِئْثَةُ الأَرِيْطَةَ والملابس، حين صار الجنودُ عُراةً تمامًا، هجم النُحل. بحلول الليل كان الجنود يقفون عُراةً ومُتورِّمين من كَمِّ السُّع والقرص الذي نالوه. رفعوا الراية البيضاء، لكنها سقطت فورًا حين نَهَشَ النَّمْلُ الأَبْيَضَ دُعَامَتَهَا الخشبية.

"حسنًا"، قال دايمون، يقهقه لانتصاره السهل. "ماذا تقترح؟ هل نتركهم يتعدون أم نقضي عليهم؟".

"أقترح أن نعطيهم الذهب"، قال إكسل.

"ماذا!!" قال الملك مذهولًا.

"لقد قمت بحساب جميع نقاط القوة ونقاط الضعف والفرص والمخاطر في موقفنا هذا. وأنا أقترح أن نشترى ولاءَ هذا الجيش ونُضْمُ الممالك التي هاجمتنا إلى مملكتنا".

سار كلُّ شيء كما خطَّط إكسل: استسلم العَدُو، وحصل في المقابل على ميدالياتٍ ذهبية، وأسلحة، وبعض الاحترام.

وهكذا انطلق جيشٌ مُضاعَفٌ للاستيلاء على المملكة التالية، حيث تكرر الأمرُ نفسه. اتَّسَعَت مَمْلَكَةُ الملك دايمون كحريق غابيةٍ في عاصفة غربية. كَبُرَ قَصْرُهُ، وازدادت مملكته ازدهارًا، ووُضِعَت مَائِيلُ له في أماكنٍ من الأرض لم يسمع أحدٌ عنه فيها من قبل.

نظر دايمون بكأبةٍ إلى الخريطة، ورأى كيف اتَّسَعَت مملكته العظيمة.

قال: "الآن ماذا؟".

قال إكسل: "لقد هَزَمَت أصغَرُ الوحوش أضخَمَ الجيوش، لكننا لن نغزو العالمَ كُلَّهُ ما لم نَنصَّبْ إلى المعركة أضخَمَ الوحوش".

ابتسم الملك، لكن وجهه كونسيجليو احمر. جلس النحل على رأسه الاسلع كقُبعة. قال: "حين علّمت الأخوات الثلاث أسلافك ترويض الحيوانات، قُطِع عهدٌ بالأ نثير أبة عداوة بين البشر والحيوانات!". قال الملك: "لا تقلق بشأن أساطير القدماء، حين أغزو أنا العالم، لم أكن الخير".

أصدر الملك مرسومًا. مُنح الهامسون الرسميون أشعارًا جديدةً لهمسوا بها للحيوانات. اجتمعت طيورُ الخرشنة القطبية⁽¹⁾ معًا للتدريب على الهجمات الجوية؛ نُخّرت الثيران؛ صرّبت الأرض بحوافرها وأخفضت قرونها؛ صاحت الخراثيت (حيوانات وحيد القرن)، وتسلّح الجميع من أجل المعركة. نظر دايمون إلى قطعان حيواناته: كان من الواضح أنها لا تُقهر. تخور، تنخر، تعوي، تصرّ، تصرخ وتصيح وتقوق. شكّلت الطيورُ الجارحة سحُبًا أعلى القلعة. لُوّح الملك دايمون بقبضته للالهة بالأعلى.

"تظنّون أنكم تحكمون العالم، لكنني سأريكم من الأعظم! أيها القادة، احشدوا جنودكم! شدّوا الأليجة! وسنّوا قرونّ الوحوش! اسقوا الجياد! واشحذوا الحراب! باسم ابنتي أوبسيديانا، سوف أغزو العالم!" قال دايمون، وقبّل الأميرة الصغيرة قبلةً الوداع، وانطلق مع جيشه. عبرَ الجبال الائتني عسّر، اجتازَ الصحاري الأربع، وتوغّل في غابات لا حصرَ لها. ذهب بعيدًا إلى حيث لم تسمع أذنّ، ولم ترَ عينّ، وأبعد حتى ممّا يمكن لذهني أن يتخيّل.

(1) Arctic tern أو الخرشنة الفردوسية، نوع من الطيور من الفصيلة النورسية، يُعدّ الطائر الذي يقوم بأطول رحلة هجرة في العالم كله، لأنه يهاجر كل عام من موطن تكاثره في القطب الشمالي إلى البحار القريبة من القطب الجنوبي، طوله يصل إلى أربعين سنتيمترًا، وعرض جناحه إلى 85 سنتيمترًا، وتصل فترة حياته إلى 30 عام.

حين ذهبت كل تلك المخلوقات في حَمَلَتِها الحربية؛ باتت المدينة خالِيَةً وصامِتَةً بشكلٍ غريب. كانت الطفلة الصغيرة وحدها في القصر مع مُرَبِّيَتِها ثورديس، ومائة جليسة يَقِفْنَ في انتظار الأوامر، وألف حارس. كانت أوامر الملك أن تكون الأميرةُ أسعدَ طفلة في العالم. كان إكسل المسؤول عن القصر، وضع مساعدوه حساباتٍ في منتهى الدقَّة لتحقيق مصلحة أوبسيديانا الفُضلى. كانت هي الوريثة الوحيدة للعرش، وبدونها تغدو كلُّ غَزَواتِ دايمون بلا فائدة.

أوبسيديانا والبركة

اهتزت الأرض تحت أقدام الملك دايمون وجيوشه وهم ينتقلون من منطقة إلى أخرى ومن مملكة إلى أخرى. كان تقدم الجيش يُفرّق أسراب الطيور ويُشئت قطعان الوحوش البرية، ويدفع بالناس إلى الفرار من المدائن إلى الأراضي الأعلى. لم يكن على الأرض جيش أعظم من جيشه. لم يحدث من قبل أن أطلق الرجال النحل والخراثيت المسلحة على أعدائهم من البشر. كان الصباح والزئير كافيّين ليفقد أشجع المحاربون شجاعتهم، وحين لا يستسلم عدو على الفور؛ تنزل به الكوارث: تهجم الخراثيت على الصف الأول، ثم يندفع محاربون متوحّشون يمتطون أسودًا تزار، ثم الفرسان على ظهور الخيل يلوحون بسيوفهم مميّنا ويسارًا ليقترحموا مخابئ الملوك ورجالهم. ثم يتركون الضباع والذئاب في المدن المنهارة.

كان الملك دايمون بعد كل معركة يقود عربته الذهبية، التي يجرها حصان أدهم قوي، في ميدان المعركة بين جموع الجنود الجرحى

المهزومين، وأكوام الجثث المرتفعة التي تُحلق فوقها الطيور الجارحة. ثم يدعو الملوك والأمراء على قهوة وكعك، حينها يفتح مستشاره كونسيجليو حقيبة أوراقه ويقول: "هذا عقْدٌ من ثلاث نُسُخ، يُعَلِنُ استسلامك وولاءك الأبدي ملك بانجيا. وقّع هنا وهنا". بذل المؤرخون قصارى جهدهم ليرسلوا إلى الوطن بأوصافٍ خياليّةٍ للمعارك الملحميّة وشجاعة الجنود العظيمة.

اتّسعت المملكة. أطلق أبناء الشرق على قصر الملك اسم كربادوسو روندي، أي "رأس الأخطبوط"؛ لأن أطرافه تُشبه لوامِسَ الأخطبوط، وتمتدّ إلى جميع أنحاء العالم. في حين أطلق أبناء الغرب عليه اسم "الدّوامَة"؛ لأنه منبع القوّة كُلّها، وتصبُّ فيه الثروة كُلّها، كبالوعَة عملاقة. توهج القصر تحت أشعة الشمس، يبدو كقوِّعةٍ حلزونيّةٍ عملاقة على قمة زبّوّة تُشرفُ على مدينة بانجيا، وفي قلبه الأميرة الجميلة أوبسيديانا، التي كانت تجلس على نافذةٍ تُراقبُ العَمال وهم يُرْضعون الجدران الذهبية بلالئٍ سوداءٍ وبيضاء. تُراقِبُهُم وهم يبنون الأبراج واحدًا أعلى الآخر، لأعلى وأعلى، حتى يبدو أن قُبَّتْها المستدقّة العليا ستلمس السحب وتزاحم النجوم.

كان العالم كله بين يديها، لكنّها تتحرّق شوقًا لرؤية والدها الملك. نظرت إلى المدرج الكبير وسمعت صيحات التهليل البعيدة. لماذا يُهلّلون؟ حدّقت في السبعة أبراج على قِمَم الجبال البعيدة نحو الشرق. ممّنت أن تذهب إلى هناك. نظرت إلى أبراج جِراسَة القصر وتساءلت إن كان بمقدورها تسلُّق سور القلعة والقفز منه، هل ستجرح نفسها إن سَقَطت من أعلاه. لم تجرح نفسها من قَبْلُ قط؛ لأن الملك دايْمون حين سمع وهو في ميدان المعركة أنها بدأت تسير؛ أصدر مرسومًا: "لذلك يُمنَع منعًا باتًا وجود أيّة زوايا حادّة في أيّ مكان في بانجيا".

أمر دایمون بتبطين القصر كله بالسجاد والمساند الحريرية. وقف الخراس على أهبة الاستعداد لالتقاط أوبسيديانا في أي وقت قد اسقط فيه. كطفلة صغيرة كانت تُجِبُّ لعبة صعود السلم وشخص ما يركض خلفها للإمساك بها. تشعر بدغدغة في معدتها وهي تسقط نحو الأرض الحجرية وتضحك بصخب حين يلتقطها الخراس في سجادة حريرية. يتنهَّد الخرس بارتياح ويمسحون العرق عن جباههم لأنهم لم ينقذوا حياة الأميرة فحسب، بل وحياتهم هم أيضًا. كانت أوبسيديانا تتمتع برعاية جيدة للغاية، لحد أنها لم تخذش ركبته حتى، ولم تعرف قط متعة نزع القشرة عن جرح التام.

كانت تُحدِّق في الأفق أملًا أن ترى غرابًا يطير برسالة من والدها. لم يصلها شيء منذ عدة أسابيع. كان لديها كومة خطابات ضخمة، قرأتها مرارًا وتكرارًا:

ابنتي الغالية

بعد انتصارنا الأخير، لكِ عندي قصرٌ ماسيٌّ في المدينة التي تحمل اسمك الآن: مدينة أوبسيديانا. سوف نزورها معًا حين نستكمل انتصارنا النهائي.

كانت خطابات دایمون مليئةً بجبال رائعة، غابات مظلمة ومدن ذهبية. كتب لها عن بلدان غريبة، حيوانات متوحشة وغابات مليئة بأكلي لحوم البشر. أخبرها عن وحوش عجيبية، أسماك مذهلة، ومعارك عظيمة. أغمضت أوبسيديانا عينيها وحاولت تذكّر والدها. حاولت تذكّر عينيها، أنفه، وصوته. ليس لديها سوى خطاباته. صار والدها مجرد مجموعة من الخطابات.

ابنتي الغالية،

لقد ظللنا نجوب العالم الآن لمدة عشر سنوات، وهو أكبر مما كنت أتخيلُه. حين أعود إلى الوطن سأريك البستان الذي ترقد فيه أمك أسفل صفصافة بابلية. أنا فقط من أعرف مكانه. إنه في غابة جميلة، بها بحيرة رائعة مليئة بسمك السلمون المرقط.

أفتقدك كثيراً- بابا

فَقَرَّت باندا حمراء بين ذراعيها. ربَّت عليها أوبسيديانا برقة. كانت باندا بحجم القط، نادرة وقيمة، ككل ما تمتلكه أوبسيديانا. رببت الأميرة على أذني الباندا وهي تتابع بعينها كلباً ضالاً يتقافز على الأسطح في المدينة. أرادت أن تُربت على الكلب أيضاً.

"ألن تُحببي اللعب مع كلب كهذا، باندي؟" همست؛ لمست الباندا عنق أوبسيديانا بخطمها تُدغدغه بشواربها.

كان مع الكلب ولد، ممّت أوبسيديانا أن تلعب معه أيضاً، لكنها تعرف أن هذا لن يحدث. كانت قد رأت مئات الأطفال يقفون في طابور لاجتياز "اختبار الصداقة": يأتون بملابس أنيقة وشعر مصفف بعناية فائقة، فقط ليغادروا بعد وقت قصير بحزن، توبُّخهم الأمهات، ويسير أمامهم الآباء. منذ أسبوع واحد فقط جاء إكسل بدفتره وأعلن النتيجة بجفاء:

"لقد حدث ما لا نفهمه مُجدداً: من إجمالي ثلاثة آلاف طفل متفوقٍ تقدّموا للاختبار، لم يكن واحد منهم بمستوى ذكاء أوبسيديانا. أليس هذا رائعاً؟".

صق جميع من في القاعة، ما عدا أوبسيديانا. نظرت إليه وسألته:

"أهذا يعني أن لا أحد منهم سيكون صديقاً لي؟".

"أخشى هذا، لم ينجح أحد منهم في الاختبار"، أجاب إكسل.

"هل يمكنني دخول الاختبار؟" سأله.

"لماذا؟"، سأل إكسل مندهشًا.

"حسنًا، أريد أن أعرف إن كنتُ جيّدًا بما يكفي لنفسي."

ضحك إكسل وقال: "أليست ذكيّة؟ أرايتم طفلًا آخر قد يفكّر في شيء كهذا؟".

قرّرت أوبسيديانا أن تنتقم. رسّمت خطوطًا بالطباشير في الرواق الذي يمرُّ به إكسل في مساره المعتاد في القصر، وجلّست تنتظره. حين جاء توقّف فجأة، قفزت ممرُّ به، ورسّمت خطوطًا أخرى خلفه؛ فوقف هناك كأنه قد تجمّد.

"لماذا لا يُمكنك عبور الخطوط؟" سأله تغيظه.

حاول إكسل التّقدّم بين الخطوط، لكنه استسلم، وصاح: "يا حُرّاس! يا حُرّاس! امسحوا الأرض!".

قالت أوبسيديانا ضاحكةً: "أليست ذكيّة؟ أرايتم طفلًا آخر قد يفكّر في شيء كهذا؟".

ارتعش إكسل خوفًا، لكنه لم يجرؤ على صرّفها. بالأمر الملكي: لم يكن لأحد أن يصرف الأميرة.

راقبت أوبسيديانا الوَلَدَ والكلب يختفيان في منعطف. جاءت إليها مُربيّتها ثورديس وقالت بِرِقَّةٍ: "أنتِ تشردين خارج النافذة كثيرًا".

"نعم"، قالت أوبسيديانا. "أريد أن أربّت على كلب، أريد أن أأخذش ركبتي".

"ماذا تقولين؟".

"أريد أن يكون لي صديق".

"هذا ليس بيدي، عزيزتي. إن الأطفال يفشلون في اختبار الصداقة. سيكون عليك أن تتحدّثي مع أبيك في هذا الشأن".

"متى سيعود؟".

"حين يغزو العالم. سرعان ما سيكون كل شيء أفضل، تذكّري كلماتي. اذهبي وتحدّثي مع چاكو، سيقول لك بعضًا من أقوال الحكمة".

ذهبت أوبسيديانا، تزغت ثورديس تنظر من النافذة بحزن؛ في مكان ما في المدينة يوجد طفل وأسة تتوق لرؤيتهما منذ تلك الليلة الليلية حين جاء رجال الملك وأخذوها إلى القصر لتنال شرف أن تكون مربّية الأميرة.

سارت أوبسيديانا في الأروقة الذهبية، وخرجت إلى حدائق القصر. حيث يقضي چاكو العجوز وقته في العناية بالأسماك الذهبية وزنابق الماء في بركة صغيرة، ويعتني بحيواناتها. كان لديها حديقة حيوان مُصغّرة: خرتيت ضئيل بحجم القطّة، وفيلان بحجم أكبر قليلاً من جرو صغير، لكنّ المفضّلين لديها كانا: موون وبييك؛ غزالتان بيضاوان، تأتيان إليها دائماً حين تناديهما. لم يكن مسموحًا للخدم والحرس بالتحدّث إلى الأميرة؛ ليسوا متعلّمين بما يكفي، لكن چاكو بإمكانه التحدّث إليها، شريطة ألا ينطق سوى بالجمّم والأقوال المأثورة فقط.

"طاب يومك چاكو"، قالت.

"طاب يومك أوبسيديانا. الطريق إلى صديق طريق صائب".

جلست أوبسيديانا على حافة البركة؛ فسبحت الأسماك نحوها بهدوء. كانت أسماك مُعتنى بتغذيتها جيّدًا؛ فكانت بعض السمكات الذهبية بحجم السلحفاة أو التمساح الصغير.

"إن عيد ميلادي قريب"، قالت أوبسيديانا.

"من يذُق رَعَدَ العيش يُحب حياته!".

"سأتمُّ العاشرة من عمري".

"الحياة تبدأ في العاشرة".

"سوف يرسل لي بابا المزيد من الحيوانات".

"يا إلهي! أمل ألا يرسل بأية زرافات"، قال چاكو وهو يرتبُّ على
نهر الرمادي.

"أكان ذلك قولاً ماثوراً؟" قالت تغيطه. هرش چاكو رأسه وفكّر في
الأمر.

"الزرافة الطويلة تأكل الثّرايا"، قال مُحاولاً أن يبدو عميقاً. "هذا
بول ماثور، أليس كذلك؟".

"سنقيم حفلاً حين يعود بابا"، قالت أوبسيديانا بصَجَرٍ قليلاً. مرّ
وقتٌ طويل جداً على عودته آخر مرة.

كانت غابتها المصغّرة بجوار البركة مُحاطةً بجدران حجرية واطنة.
نمو هناك أشجار بلوط ضئيلة وأشجار سيكويا⁽¹⁾ وكَرْزٍ مُصغّرة،
بالكاد تصل إلى رُكبتَيْها، وأوراقها رقيقة، وجذوعها نحيلة، رغم أنها
تبلغ من العمر مئات السنين. هناك أيضاً بيتٌ دُمِيّةٍ عاجيٍّ، وعيش
غرابٍ ضخمٍ للغاية، لِحَدِّ يُمكنُها أن تلوذ بظله من المطر أو الشمس.

تَجَوَّلَتْ في الغابة، تهمس "موون! ببيك! أين أنتما؟"، وتعبث في
العشب في دلوها لتلفت انتباههما. جاءت الغزلتان البيضاوان تركضان
نحوها، فحملت موون وربتت عليها برقّةٍ.

(1) Sequoia: أشجار السكويا العملاقة، وتُسمى أيضاً شجر الماصوث أو شجر كاليفورنيا الأحمر
هي أكبر الأشجار في العالم، وتُعتبر أضخم الكائنات الحيّة وأطولها عمراً؛ حيث يزيد ارتفاعها
عن 80 متراً، ويبلغ قُطرُ بعضها حوالي 9 أمتار، وتبلغ أقدم السكويات حوالي 3500 سنة.

بالأمر الملكي، لم يكن لأي شيء خطيرٌ أن يقترب من الأميرة، وعلى الحرس قتل أي حشرات يرونها. مع ذلك كانت أوبسيديانا تتدبّر دائماً أن تعثر من حين لآخر على أم أربع وأربعين⁽¹⁾، دعسوقة، أو صرصار لتحفظ بها في صندوق جواهر قديم تخبئه في بيت الدمية الصغير خاصيتها. لم تخبر أحداً بشأن الحُفّاش الذي ينام مُتدلياً من سقف مقصورة الحديقة؛ حين أشارت إلى حُفّاشٍ ذاتِ مَرَّةٍ، جاء حارس وأخذه بعيداً في حقيبة. كذلك التزمت الصمت بشأن صديقتها العنكبوت التي تعيش في سندرة بيت الدمية وتستولي على عُرقَةٍ بأكملها تغزل شباكها فيها. كانت تلك غرفة الرعب، حيث تحتفظ بألعابها الغريبة. تتحوّل الذبابات -حين تنزع عنها أجنحتها- إلى دِببَةٍ سوداء، والنحل إلى نمور، والعناكب السوداء إلى ذئاب مفترسة. مُلئت غرفة أخرى بقطع حُلِيٍّ مكسورة، توجد هنا سحلية صغيرة ملتحمة بكومة من الجواهر الذهبية القديمة.

لم يَدْرِ أحدٌ بشأن حديقة الحشرات هذه، إلى أن وجد أحد الحُرّاس نَحْلَةً بلا أجنحة، فقتلها. بعد وقت قصير ظهرت ثورديس وأُنبتتها. "لكنّه نمراً!" قالت أوبسيديانا.

"ليس مسموحاً لك بتحويل النحلة إلى نمراً!"

عبست أوبسيديانا وغمغمت: "أنتِ لستِ أُمِّي! لو لم أُولد لكانت أُمِّي على قيد الحياة".

سكّنت ثورديس، لأنَّ وَجْهها، واحتضّنت أوبسيديانا قائلةً:

"لا تقولي هذا أبداً! لا شيء في العالم قد يكون خطأ طفلي صغير".

(1) Centipede: وتُسمّى أيضاً الحريشة، أو منوية الأرجل، حيوانات من فصيلة كثيرات الأرجل، سُمّيت هكذا لاحتوائها على 44 زائدة، لكنها في الواقع لها أرجل كثيرة تتراوح من 20 لـ 300. يبلغ طولها من 10 لـ 15 سنتيمتراً.

حدّقت ثورديس في عينيّ أوبسيديانا بعُمق، وقالت: "أنا أوّمن
أن أمك في مكانٍ ما، تراكِ طوال الوقت، حين تضحكين؛ تضعك هي
أيضًا".

ثم دسّت يدها في جيب مريولها، وأخرجت كعكةً؛ مسّحت
أوبسيديانا دموعها وتناوَلتها. نظرت إلى قلاذتها، التذكار الوحيد لديها
من والدتها، وقالت:

"ليتني كان لديّ أمّ".

طَعَنَ قَوْلُهَا هذا ثورديس في قلبها؛ لأنها أرصّعت أوبسيديانا،
اطعمتها وألبستها وقرأت لها القصص منذ يوم ولادتها.

كبرت أوبسيديانا حبيسةً القصر، تشعر أنه يخنقها، كثوبٍ صَغَرَ
عليها وبدأت خيوطه تَمزّق. يجب أن يكون لها أصدقاء. يجب أن
تذهب إلى مركز المدينة وترى العالم. لم يَعدُ بوسعها الانتظار لأكثر
من هذا. كانت تنظر من النافذة إلى الجدران الحصينة، وتفكّر في
الجلوس على إطار النافذة قليلاً، حين فوجئت بوصول غرابٍ بريء.
انحنى الغراب ورفع لها مخلّبه. همست بكلماتٍ شكرٍ قليلةٍ موزونة،
وفتحت الورقة الصغيرة المربوطة بقدم الطائر.

ابنتي الغالية،

أرسل إليك بهذه الرسالة من أقصى شمال العالم. لقد غزونا
الجنوب، وضمنا الشرق والغرب معًا، لم يتبقّ سوى أقصى الشمال.
مرعان ما سترفع رايتنا أعلى العالم كلّهُ، إلى حيث تشير إبرة البوصلة
من أي مكانٍ في العالم، الذي غزوته من أجلك.

كل حبّي - بابا

قَفَزَتْ فرحة وصاحت: "سيعود بابا! بابا سيعود!" ثم ركضت في أروقة القصر وهي تلوِّح بالخطاب.

"بابا سيعود! أسرعوا، ثورديس، لنبدأ الاستعداد لعودته! يمكننا أن نحتفل بكل أعياد ميلادي مرَّةً واحدة!"

عائقتها ثورديس وابتَسَمَت، رَقَصَت الجليسات اللائي يَقِفْنَ في انتظار الأوامر حولهما. ثم ظهر إكسل بدفتره. وقال بجفاء:

"هذه أخبار جيِّدة. بعد غزو القطب الجليدي، ستستغرق رحلة عودته من هناك عامين فقط."

اختَفَّت ابتسامه أوبسيديانا للحظة، لكنها قالت:

"هذا لا يَهْمُ... على الأقل سيعود!"

عادَت إلى النافذة تُراقِبُ الطيور تحلُّق في السماء بتشكيل رقم 7. تمَنَّت أن تذهب مئات الطيور إلى الملك وتعود به محمولاً على أجنحتها البيضاء.

سَيِّدَةُ الشُّمَالِ الْغَرِيبَةِ

كان مُجَرَّدَ نَصْرٍ رَمَزِيٍّ لِدَائِمُونَ أَنْ يَرَفَعَ رَايَتَهُ فِي الْقُطْبِ الشَّمَالِيِّ لِلْعَالَمِ، حَيْثُ تَلْتَقِي جَمِيعَ الْاِتِّجَاهَاتِ فِي نَقْطَةٍ وَاحِدَةٍ. كَانَ الصَّقِيعُ هَارِصًا، وَالرِّيَاحُ الْبَارِدَةُ تُحَرِّكُ التُّلُجَ الْمَتَسَاقِطَ فِي دَوَامَاتٍ أَعْلَى الْأَرْضِ نَحْجَابٍ أَبْيَضٍ.

"جلالتك، هل يجب أن نأخذ الجيش بأكمله؟" سأل كونسيجليو، يرتجف ويشدُّ أربطة قُبَعَتِهِ المصنوعة من فراء سنجاب. "لا شيء هناك، ربما فظ"⁽¹⁾ عجوز على أقصى تقدير.

لكن دايمون صاح في رجاله أن يتقدّموا "إلى الأمام شمالًا!"; فتقدّم الجيش ببطء، خطوة تلو الأخرى، نحو الهدف. كانت لحاهم مجمّدة

(1) Walrus: حيوان الفظ هو حيوانٌ قطبيٌّ من الثدييات البحرية التي يُطلق عليها رعنفيّات الأقدام، يشبه الفقمة، لكنه يُميّزه عنها زوج من الأنياب العاجية الحادة، يصل طولها إلى مترين، وتساعد في تسلُّق الصخور الجليدية.

بالثلج، والرياح تلطم وجوههم. وبعضهم ينزع كُتلاً ثلجية ملتصقةً
 بأطراف أنوفهم؛ وأصابع أيديهم وأقدامهم زرقاء من قسمة الصقيع⁽¹⁾.
 يصطفُ على جانبي مسارهم جنودٌ جمدهم الثلج في مواقعهم.
 وقفوا في الجليد على مسافات متقاربة، راسخون فيه بقوة كأعمدة
 التلغراف، ليستطيع الجيش المنتصر إيجاد طريق عودته. شعر دايْمون
 بالتعب، وبالفخر أيضاً، حين بدأت إبرة البوصلة أخيراً تدور في دوائر.
 رُفَعَت الرايةُ البرتقالية لأعلى بدعامة، ترفرف كشعلةٍ مُنْقَذَةٍ،
 ودليلاً على أن العالم بأشْرِهِ قد تمَّ غَزْوُهُ. تأثّر دايْمون، اغزورقت عيناه
 بالدموع. هلّل الجنود وصلّلت لِحاهُم ككؤوس كريستال.

فجأةً رأوا امرأةً عجوزاً تتحرك على الجليد نحوهم، تلتحف بفراءٍ
 دُبُّ قُطْبِيٍّ ثقيل. كانت تحمل ما بدا أنه نابٌ حوتِ الثُروال، طويل
 ومُقوس، تَغْرِزُهُ في الأرض وتقفز كالأطفال أعلى الحُفَر والصدوع
 الثلجية. ظلّت تَغْرِز وتقفز، وتغرز وتقفز، كأنها تخطيط غُرْزاً في قماش
 أبيض. كانت وهي تقترب نحوهم بتلك الحركات تَلَهَتْ وتثاقُف،
 وتُرَدُّ تعويذةً غريبة. فُتِّش كونسيجليو حقيبتَه بيدين مرتعشتين
 ليجد لها عقداً لتوقيعه.

"أيتها الملك الجشع!" قالت بحنق. "لقد نقضتَ عهدك! نقضتَ
 عهدك!"

اقتربت من الملك -كانت قصيرةً للغاية، ومُحدودبة؛ فلم يشعر
 أحدٌ من الجنود أن عليه إيقافها- وضغطت بعصاها في صدره. نظرت
 إليه مباشرةً، فبدا كأنها عمياء، لكن النار تضطرم في عينيها الزرقاوين
 الثلجيتين.

(1) Frostbite: ويُسمى أيضاً الحُصْر أو غُصّة البرد، وهو مرض جلدي يحدث حين يكون الجوّ
 قارِئاً ومصحوباً برياح باردة.

"مَلِكُ جَشَعٍ! لَقَدْ أَكْرَبَتْ عداوَةٌ بَيْنَ الحِواناتِ والبِشْرِ! هَمَسَتْ الحِواناتُ بِكلماتٍ عداوِيَّةٍ! لِمَذا أُنْها المَلِكُ الجِشعُ؟ ماذا تَريدُ أنْ تَعلَمَ؟ ألا تَعلَمُ أنَ الشَّيْءَ إنْ زادَ عَنَ حَدهُ انقلبَ لِضِدِّهِ!"

أَمَسَّتْ بِهِ، وبدا الأمرُ كأنها أَمَسَتْ بِروحِهِ وَقَلْبَها داخِلها سارِجها. لِلحِظةِ اِختَفَى الجَلِيدُ، وَتَحَوَّلَ كُلُّ شَيْءٍ إلى السِوادِ. وَجَدَ دايْمونُ نَفْسَهُ مُحاطًا بِأشخاصٍ مِنَ المَاضِي والمِستَقْبَلِ. بَدَتْ لَهُ الأرواحُ، والوُجوهُ والأحْداثُ كأنها سَرابٌ، أو سُدْرَاتُ مِنَ قوسِ قَزحٍ. ساءت "شِعالُ الشَّمسِ" تَسيرَ نَحوهِ، بِهَيْئَةٍ وَشِفافَةٍ، كأنها قُدَّتْ مِنَ الشِّفقِ القُطْبِيِّ⁽¹⁾. مَدَّ دايْمونُ ذِراعِيهِ قائلًا: هَلْ عُدْتِ؟ لَقَدْ اِفتَقَدْتُكِ. رَوَّفَقَتْ المَلِكَةُ، نَظَرَتْ بِحِزنٍ عَلى سَاحاتِ المِعارِكِ التي تَرَكَها خَلْفها، النيرانُ المِشْتَعَلَةُ، الغابِباتُ المِحرَقَةُ والمِدنُ المِتهَدِّمَةُ. فَجأةً رَأى نَفْسَهُ، جِوزًا وَعاجِزًا، وَسَطَ قَلْعَةٍ مُحطَمَةٍ. رَأى أوبِسيديانا تَتَقَدَّمُ في السَّنِّ بِسَرعَةٍ مَربِعةٍ، كَنَزِهِ الصَّغِيرُ يَشِيبُ وَيَهْرُمُ، يَتَحَوَّلُ إلى هَيْكَلٍ عَظْميٍّ، وَفي النِهايَةِ إلى تِرابٍ يَرتَفِعُ وَيَخْتَفِي في الدُّوامَةِ السِوادِ. اِبْتَلَعَتْ تِلْكَ الدُّوامَةُ كُلَّ ما لَدِيهِ، حَتى لَمْ يَعدْ شَيْءٌ البَتَّةَ، وَلا دَرَّةٌ عَشِيبٍ حَتى.

سَمِعَ شَخْصًا ما يَهْمَسُ:

كُلُّ شَيْءٍ فَانٍ

كُلُّ شَيْءٍ يَمُوتُ

كُلُّ شَيْءٍ عَدَمٌ

تَرَدَّدَ صدى الكَلِماتِ في صَدْرِهِ كأنه يَتَرَدَّدُ في قَبوِ ذَهَبِيٍّ فارِغٍ. حَرَكَتِ العِجوزُ عِصاهَا، وشَعَرَ دايْمونُ بِسُكُونٍ تَنكأُ جِرحَهُ. فَتَحَ عَينِيهِ وَرَأى نَفْسَهُ عَلى جَلِيدِ القُطْبِ الشِّماليِّ لِلعالمِ. لا يَتَذَكَّرُ سَببَ وَجودِهِ هِناكَ، لَكنه يَشعُرُ بِالبَرْدِ. نَظَرَ حَولَهُ واطِصَّكَتْ أَسنانُهُ وَهو يَسألُ:

(1) Aurora Borealis: ظاهرة طبيعية جميلة لمزيج من الألوان تتشكل على القطبين الشمالي والجنوبي للكرة الأرضية، ويُعرف أيضًا بالفجر القطبي، والأضواء القطبية.

"أين طفلي؟".

خَفَّقَت العَجُوزُ من قَبَضَتِهَا وصاحت:

"تظنُّ أنَّكَ قد عَزَوْتَ العالم، لكنني سأخبرك بشيء: لا أحد يمكنه غزو العالم ما لم يهزم الزمن!".

وقف الجنود هناك كأنهم تماثيلٌ ثلجِيَّةٌ مُجمَّدة

"افعلوا شيئاً ما!" صاح دايمون. "افعلوا شيئاً ما!".

لَوْحٌ بسيفه، لكنَّ العَجُوزَ صاحت:

"كُلُّ حروبِكَ بلا فائدة! سيهزمك الزمن في النهاية!".

ثم خَلَعَت فراء الدُّبِّ القطبيِّ. كان لديها خَطْمٌ كَلْبِيٌّ، وجِلْدٌ قَقْمِيٌّ، وأصابعٌ مُلتصِّقة. ضَرَبَت الجليدَ بعصاها فانشَقَّ، واختفت عبر الشَّقِّ في أعماق مياه المحيط الزرقاء.

اتَّجَهَ الملك دايمون إلى بيته، صامتًا. يصطفُّ الجنود المتجمِّدون على جانبيِّ طريقِ عودته. تحطُّ الغربان النُوحِيَّة على رؤوس مَنْ لم تَصِلْ إلى عِظامِهِم بَعْدُ.

الْحَرْبُ ضِدَّ الزَّمَنِ

استقبلت بانجيا الملك داهمون بالجوقات النحاسية والمواكب. انتفخ صدره فخرًا حين رأى الشوارع المفروشة بالحصى وأبراج القصر الذهبية، لكنه كان يتوقُّ لرؤية ابنته أوبسيديانا أكثر من أي شيء آخر. حين رآها تقف هناك في ثوبٍ أزرقٍ رائع، بالكاد تعرّف عليها، لقد كُبرت. كانت تتمنى أن تقفز بين ذراعيه، لكنها -مُراعاةً لبروتوكولات القصر- مدّت يدها وردّدت التحية الرسمية التي تعلّمتها:

"مرحبًا بك في وطنك والدي الملك".

شعر الملك بالمجد، كما يليق بملك، وقال:

"شكرًا لك؛ أنا سعيد لرؤيتك يا ابنتي الغالية".

نظرت أوبسيديانا إلى أبيها. لا يُشبهه اللوحات المرسومة له، وصوته مختلف عما تخيلته. لكن لا وقت للكلام؛ أعلنت الجوقة النحاسية أن عليهم التوجّه إلى قاعة المأدبة فورًا، حيث جلس كلٌّ منهما إلى طرفي

مائدة طويلة، يفصل بينهما نحو مائتين من الضيوف النبلاء يجلسون جنبًا إلى جنب، ويحتفلون بالأنخاب والأناشيد. نهض كبار المفوضين واللواءات الذين لم ترههم أوبسيديانا من قبل؛ ليلقوا بِحُطْبٍ طويلةٍ من الآن فصاعدًا سيحكم القصر الملكي في بانجيا العالمَ بأكمله.

لم تستطع أوبسيديانا رؤية أبيها الجالس على الطرف الآخر من المائدة جيدًا، وحين قدّموا الصنف الرئيس فَصَلَ بينهما كالجبل؛ إذ كان فيلاً كاملاً مشويًا، مَحشُومًا ببقرة، مَحشُومًا بحمار وحشي، مَحشُومًا بطبي، مَحشُومًا بماعز، مَحشُومًا بأرنب، لديه زيتونة سوداء مُخلّلة، مَحشُورة في مُؤخَّرته.

فيما بعد، حين غادر الضيوف، وكانت أوبسيديانا تستعدُّ للنوم، جاء الملك وجلس معها. "شعور رائع أن أعود إلى هنا مرة أخرى"، قال وهو يربت على رأسها برقّة.

"شكرًا لك على كل خطاباتك"، قالت بخجل. "لكنني أفضل عليها وجودك أنت هنا معي".

كانا يراقبان النجوم اللامعة من نافذة في السقف. أشار الملك إلى نجمة حمراء تسطع أكثر من النجوم الأخرى.

"لقد أسميتُ تلك النجمة على اسم والدتك؛ شعاع الشمس. إنها تحرسك وترعاك".

حدقت أوبسيديانا في النجمة، وشعرت بغصّة في حلقها. أخرج الملك خطابًا من جيبه وناولها لها. كان مكتوبًا على جلد عجّل، ومختومًا بختم ذهبي.

"إن حدث أي شيء، أوبسيديانا، إن لحق بي أيُّ أذى ووجدت نفسك في مشكلة، افتحي هذا الخطاب. سيخبرك بالطريق إلى كوخ قريب من

هيرة صغيرة، حيث قبر والدتك. ستكونين في أمان هناك. لكن يجب ألا تفتحيه إلا إذا فشلت كل المحاولات الأخرى".

لاحظت أوبسيديانا تعبير وجهه الجاد. أومأت برأسها وأخذت الخطاب.

قبل الملك جيبته برقة.

"أنت رقيقة كالسنونو حقاً"، قال وهو يربت على خدها، وتمنى لها ليلة سعيدة. شعرت بضخامة ونعومة يده، وعمق ورنين صوته. ابتسمت لنفسها. كل شيء على ما يرام الآن.

"ليلة سعيدة"، قالت، وسقطت في نوم عميق ومبارك.

حين استيقظت كان شيء غريب يحدث. كان الصباح قد أشرق، لكن السماء مُعتمة، وجاءت من الخارج أصوات نعيب وصياح تصم الأذان.

نظرت أوبسيديانا إلى الخارج، بدت أبراج القصر كقبعات من ريش أسود؛ لأن كل أسطحها مغطاة بغربان البريد. خلقت الغربان حول الأبراج في الأعلى، تنعب بصوت عالٍ للغاية لحد لا تستطيع معه سماع صوت تفكيرك. راقبت أوبسيديانا حرس القصر وهم يصطادون الغربان بالشباك، يفرزون الخطابات التي تحملها ويلقونها في أكوام لتوصيلها إلى الملك. جلست لتناول فطورها؛ لم تر الملك في أي مكان.

"لا بد أنه مشغول بحكم العالم"، قالت ثورديس.

مر يوم، أسبوع، ثم أسبوع آخر، دون أن ترى والدها. كان في مكتبه دائماً، يحكم العالم.

في النهاية، قررت أن تذهب للبحث عنه. أمسكت بياندها، تسأل بين الراكضين هنا وهناك يحملون شتى أنواع الأوراق، إلى أن وصلت أخيراً إلى مكتب الملك، الذي كان يجلس خلف كومة هائلة من

الوثائق واللوائح. على الجدار خريطة كبيرة للعالم، وإكسل يقف إلى جانبه يدرج قوائم طويلة:

"11,493 شخصًا يطلبون موعدًا، سيدي، 398 مفوضًا يطلبون زيارات رسمية. يوجد 3,578 لائحة للتوقيع عليها، 2,567 أمرًا ملكيًا، 465 أمرًا بالإعدام، وأربعة أوامر بتأجيل الحكم. وما زال هناك 14,522 غرابًا في الانتظار برسائل لم تُفَضَّ بعدُ".

"دَعَهَا تنتظر"، زَمَجَرَ الملكُ قائلًا، "يجب أن آخذ قيلولة".

"آسف سيدي، لكن الغرابان قد تأكل النباتات لو تركناها تنتظر طويلًا. لقد أطلقنا ألفي غرابٍ ليلة أمس، لكننا نتوقَّع وصول ثلاثة آلاف أخرى غدًا بالتماساتٍ طارئة. العالم لن يحكم نفسه".

اقتَرَبَت أوبسيديانا بخجل. نظر الملك إليها وابتسم بإنهاك قائلًا:

"اذهبي إلى الفناء والعبي قليلًا. سألحق بك خلال وقت قصير، يوجد خطابٌ مهمٌ يجب أن أُرَدُّ عليه".

خَرَجَت حزينَةً إلى حدائق القصر والباندا خلفها، ذهبت إلى چاكو. جلست بجوار البركة تراقب الأسماك الذهبية السمينة وهي تسبح. كانت الخراثيت المصغرة تلوك القش، والغزلان نائمة أسفل عيش الغراب الضخم.

قال چاكو: "الصمت لا يُخَفِّفُ الحزن".

"لماذا هو مشغولٌ للغاية؟".

"مَن يجمع الخشب كُلَّهُ تُحْرِفُهُ النيران".

"لكن متى سينتهي من حكم العالم؟" قالت أوبسيديانا. "إنه ليس لديه أي وقتٍ فراغٍ!".

"قد لا ينتهي أبدًا"، قال چاكو. "العالمُ كبيرٌ جدًّا على رأسٍ واحدٍ".

كان الملك في المركز من شبكة نفوذ تحيط بالعالم، يدور رأسه
على شئ شؤون السُلطة والإدارة. كان في اجتماعاتٍ دائماً من قبل حتى أن
يبيّظ أوبسديانا؛ لذلك لم يُمكنه رؤيتها في الصباح أبداً، ولا في المساء
أيضاً. لم يكن متأكّداً أكان هو العنكبوت أم الذبابة التي سقطت في
شبكة.

"هل لديّ وقتٌ لاصطحاب أوبسديانا إلى البحيرة الصغيرة هذا
الصيف؟" سأل الملكُ إكسل.

"أخشى أنك مشغول لمدة الثلاث سنوات والخمسة أشهر القادمة."

"اليس من الأفضل أحياناً أن تَحكّم أقلّ لِتَحكّم أكثر؟"، سأل الملك
بجهد أمل في صوته.

"ستنهار الممالك إن لم تَجِدْ مَنْ يحكمها"، قال إكسل.

حين استطاع الملك أن يذهب إلى النوم أخيراً؛ بحث عن أوبسديانا.
كانت تنام في سلام. لقد كبرت كثيراً لِجَدُّ أن أصابع قدميها تبرز من
احت بطانييتها. ذهب إلى غرفته، تمُدّد ورقد في فراشه عاجزاً عن النوم.
كانت كلمات سيدة القطب الشمالي تتردّد في رأسه: لا أحد يمكنه
غزو العالم ما لم يهزم الزمن. كل هذه السنين، كل تلك الانتصارات لا
معنى لها طالما يظلّ الزمن خارج سيطرته. كأن الكلمات قد نُقِشت
في روحه بناب النروال. سيهزمك الزمن في النهاية. كانت لحظة أن
لمسته عصاها ثابتة في ذاكرته، والرعشة لم تَبْرَحْ صدره. كنغمة عَلِقَتْ
بالذهن سريعاً، يتردّد صدى الكلمات في فؤاده الفارغ:

كُلُّ شيءٍ فانٍ، كُلُّ شيءٍ يموت، كل شيءٍ عَدَمٌ. شعر كأن الغربان تصيح:

"كرو كرا.. كُلُّ شيءٍ فانٍ! كرو كرا.. كُلُّ شيءٍ يموت! كرو كرا.. كل
شيءٍ عَدَمٌ!"

كانت تكأنت ثابتة في رأسه تقوده إلى الجنون. تك، تك، تك، كساعة مُنبه أو قطرات ماء تتساقط من صنبور. أينما نظر يجد كل شيء كما هو؛ شعر كأن العالم كله يسخر منه. تنظر إليه قمم الجبال بتعالٍ، إن عمرها ملايين السنين. تضحك عليه الأمواج قبل أن تتكسر، تعرف أنها ستظل ترتفع وتتكسر إلى الأبد. تسطع النجوم في السماء دون أن تبالي به. كأنه ريشة صغيرة سيطيها الهواء سريعاً.

عاد إلى مكتبه بخطوات ثقيلة ومُتعبّة. وقف يتأمل الرسومات واللوحات التي تُصوّره هو وأميرته الجميلة. نظر إلى الفخامة والأسلحة والأزياء الرسمية. لماذا كل هذا إن كان في النهاية سيتحوّل إلى تراب؟ إن كان الزمن سيبتلع كل شيء؟ نظر إلى الخريطة ورأى مملكته التي تمتدّ الآن إلى أقصى أطراف العالم. فكّر في الأماكن، العجائب، الأطعمة والرفاهيات، القصور التي يملكها لكنه لن يدخلها أبداً.

"كم قصرًا أملك؟" سأل الملك إكسل.

"9,882" أجابه إكسل.

"كم سيستغرق مني قضاء ليلة واحدة في كل قصرٍ منها؟"

"246 عامًا، بحساب فترات السّفَر"، قال إكسل.

"كم لديّ من النبيذ؟"

"197,185 جالونًا من النبيذ الراقِي."

"كم سيستغرق الأمر لأشربه؟"

"409 عامًا؛ إن شربتَ خمسَ زجاجاتٍ في اليوم."

"هل سيمكنني إدارة حكم مملكتي إن شربت خمس زجاجات في اليوم؟"

"بل لن يُمكنك السّيْر حتّى، سيّدي"، قال إكسل.

"كم لدي من الجياد؟".

"54,983"

بالطبع لن يعيشَ طويلًا ليمتطيها كُلُّها، أيضًا. ثار حَتَقُ دايمون وصاح: "إنه أنا مَنْ يحكم المملكة. أنا مَنْ أحكم بالإعدام وَمَنْ أسدر العفو. أنا مَنْ ينتصر في الحروب، يمكنني خَلْعُ الآلهة وجَعْلُ الناس يعبدونني بدلًا منها، ومع ذلك ما زلت لا أملك من الوقت سوى القدر الضئيل ذاته كأَيِّ شخصٍ بانس! قد يعيش أَيُّ شحاذٍ مائة سنة في حين قد أَلْفُظ أنا أنفاسي الأخيرة غدًا. لماذا غزوتُ العالم إذا لو كان ذلك قد سَلَبني وقتي؟ إكسل، أنت بإمكانك تحويل الهواء إلى ذهب، يجب أن تعرف كيف تهزم الزمن".

نقر إكسل شيئًا ما على آله، هزُّ رأسه وقال ببرود:

"لسوء الحظ، إنها حقيقةٌ مُجرِّدة، سيدي. سيتقدَّم بك السَّنُ وموت، وفي نهاية الأمر ستُنسى. كأي شيءٍ آخر في العالم، للأسف".

راقب الملكُ من بُرْجِه أوبسيديانا وهي تركض خلف الغزالتين: بيبك وموون. كان أسوأ ما في الأمر أنها -أَعَزُّ ما يملكه في العالم كله- ستتقدَّم هي الأخرى في السن، ستذوي، وتموت، وتُنسى؛ سيبتلعها الزمن في فمه الشَّره، تمامًا مثلما فعل بأُمِّها وبجميع مَنْ يُطْلُون من اللوحات الزيتية في قصره. لقد غادر هو منزله لوقتٍ قصيرٍ فحسب، لكنه حين عاد وجد أن اثنتي عشرة سنةً قد مضت.

فجأة، بدا كأنه عاد إلى صوابه. استدعى كبار المسؤولين في المملكة وصاح فيهم ليؤكِّد على كلماته جيِّدًا بالأمر الملكي التالي:

"مَنْ سيمكنه حفظ شباب وجمال الأميرة، وهزيمة عدوي اللدود، الزمن؛ سأمنحه نصف مملكتي!".

شحب وجهه كونسيجليو وشكّل النحل علامةً تعجّبٍ أعلى رأسه،
سأل، كما ينبغي للمستشار أن يسأل:

"هل من الضروري حقًا التخلّي عن نصف مملكتك؟"

كان كونسيجليو يحاول إخفاء الحقيقة التي يصرخ بها ضميره:
"لتحفظنا السماء! لقد جُنّ الملك تمامًا!"

لكن الملك أجابه: "وما قيمة نصف مملكة بالنسبة إلى لو لم يُتخ
لي الوقت للاستمتاع بها؟"، ثم أشار إلى امرأة تُنظف الأرضية بالقرب
منهم قائلاً: "نعم، لو لم يمكنني العيش لوقت أطول من تلك الخادمة
الحقيرة!"

ما كان الملك يعرف أن الخادمة الحقيرة خبيرةً بالعام. هزّت المرأة
رأسها وكتبت بمسحتها على الأرض: احذّر ممّا تَتَمَنَّا!

تجمّد الملك في مكانه. اشتعل غضبًا، وصاح بصوت كالرعد: "ماذا
قُلْتِ؟"

رفعت المرأة بصرها، لكنها لم تُجِبْ بشيء. كانت عيناها بيضاوين
تمامًا، كبيضتي نعامة.

صاح الملك فيها: "أنتِ لا تتحكّمين في أقدارك، أنا من أفعل. ألقوا
بتلك المرأة إلى الأسود!"

ثم سار مبتعدًا بخيلاء، وترك مستشاره يقف هناك حائرًا. بدا له
أن الملك يُحدّث نفسه؛ لأنه لم يَرَ أئمةً امرأة.

طعام الأسود

انتقل رجال الملك من بلدٍ إلى أخرى، ومن مدينة إلى أخرى، بحثون عمَّن يُمكنه هزيمة الزمن. كانوا يتصيّدون الحكايات عن السحائر والنسك الذين عاشوا لمئات السنين. بدأت الحشود تتجمّع خارج القصر، كان زحامًا مُتباينًا، وكان الملك دايّمون متحمّسًا للغاية لرؤية مَنْ ينتظرون في طابور لا نهاية له لدخول قاعة العرض الملكية.

"أنا أعرف تعويذة ستضمن للأميرة الخلود". قال عرّاف.

"أنا لا أصدقك"، قال الملك. "مَنْ علّمك تلك التعويذة؟".

"أبي".

"كم عمره؟".

أجاب العرّاف: "لقد مات منذ وقت طويل".

قال الملك "لم يَعْشُ إلى الأبد إذن!" ولوّح بيده للعرّاف لينصرف.

دخل شابٌ يَجْرُ خلفه تمثالًا ضخماً.

قال: "هذا التمثال لابنتك سيُخلد اسمها وجمالها إلى الأبد سيدي".
"إنه عمل رائع"، قال الملك، "لكن ما الاسم المكتوب على قاعده التمثال؟".

"إنه اسمي: مايكل هوجمين"، قال الفنان، مُعتدًا بنفسه قليلاً.
"وهل سيُعجب أحدٌ بجمال هذه المنحوتة بعد آلاف السنين؟".
"نعم"، قال الشاب مبتهجًا، "سيُعجب به الناس بعد ألفي سنة وثلاثة آلاف سنة من الآن".

"وماذا سيقروون على قاعدته الحجرية: مايكل هوجمين؟ أتريد أن تستغلَّ جمال الأميرة لضمان خلودك أنت؟".

ارتعش النُحات بجسده كله، والملك يصيح:

"خذوه من هنا! ألقوا به طعامًا للأسود!".

وهكذا صار تمثال الأميرة آخرَ أعمال هوجمين الفنية.

على مدار الأيام والأسابيع التالية، كان السحرة والفنانون والشعراء يتجمعون عند القصر.

"الضحك يطيل العمر!" صاح مُهرجٌ وهو يسقط على مؤخرته.

"أنت تُضحِرني"، صاح الملك. "ألقوا به طعامًا للأسود!".

جاء بعض النسوة العجائز بدهاناتٍ وزيتٍ في أواني خزفية، وقُلن:
"هذا الإكسير يضمن شبابًا دائمًا".

سألهنَّ الملكُ بغشونة: "إن كان سيحفظ شباب ابنتي، فماذا حدث لشبابكنَّ أنتنَّ إذا؟".

جاء السحرة والمعالجون، لكن الملك صرّفهم جميعًا في النهاية وهو
م "دجالون! كيف تجرؤون؟".

مع الملك جميع أنواع الأكاسير تحديدًا؛ إذ كان يشك أن أعداءه
حاولون تسميم ابنته.

قال طبيب التجميل: "يمكنني إصلاح أنفها، وشدّ جليدها حين
تأم بها السنّ"، وفتح صندوقَ مشارِطه اللامعة؛ نظر الملك إليها
وشرع بإهانة بالغة.

فصاح: "إلى الأسود!".

قال الشاعر: "يمكنني تخليدها في قصيدة".

"وجه من الخزف؟" قال الملك بعد أن ألقى الشاعرُ قصيدته.
الذبول إن وجهها مثل الكوب والطبق؟ ألقوا به إلى الأسود!".

أخشى أن الأسود قد شَبِعَت تمامًا سيدي الملك". قال كونسيجليو.
لم يمكنها إنهاء جراح التجميل حتى".

قال الملك: "إلى التماسيح إذًا، أو الحشرات السامة!".

صاح الشاعر باكئًا: "لكنني لا أريد أن أموت!".

"أوه، حقًا"، قال الملك بحنق شديد. "ألم تقل إن أعمالك ستجعلك
هالداً؟ وهل يجب أن أموت أنا؟ خذوه!".

ألقوا بالشاعر وهو يصرخ في حفرة مليئة بالحشرات السامة. ذهب
الملك إلى نافذة تطلّ على حدائق القصر؛ رأى أوبسيديانا من بعيد،
جالسة تربيّت على غزالتها البيضاء. تزداد جمالاً يوماً بعد يوم. كانت
رهرةً تتفتح. لكن لأي غرض؟ نعم، ما الغرض من الزهور رغم كل
شيء؟ لتذبل وتذكّرنا بزوال العالم فحسب.

كل يوم، يَقِفُ الوافدون أمام الملك، ولا أحد لديه الحل؛ فَقَدِ
الأسودُ شهيتها، ثَقَلَتِ العشرات السامة ببطونها المنتفخة، وتورّمت
الأفاعي السامة كالنقانع المقلية. كاد الملك أن يياس. وضع رأسه بر
يديه وغمغم: "وها قد جاء الليل مُجدِّدًا، لكنَّ غدًا يوم جديد".
كان حينها أن تلقى نبأ هامًا: تدور الأقاويل في المملكة عن العثور
على حَلٍّ جديد، وأنه الآن، في طريقه إلى القصر.

أُمُّ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ الذَّهَبِيَّةُ

كانت قافلة أقزام في طريقها إلى القصر. يرتحلون سيرًا على الأقدام، همرون خلفهم عربة صغيرة عليها خزانة مغطاة بقماش ذهبي. يُثيرون فضول الجميع أينما ذهبوا، يتجمع الناس حولهم لمشاهدة الموكب الصغير والضحك عليه فيما يمرُّ.

كان الناس يصيحون فيهم: "سيلقي بكم الملك طعامًا للأسود".

تقدّم الأقزام بسرعة الحلزون، خطوة تلو الأخرى. كان الأطفال برمونهم بالحصى الصغير وقشر البرتقال، لكنهم كانوا يتقدمون دون أن يعبؤوا بهم. أصدرت إدارة الجمارك نشرة تبليغ فيها عن رفض الأقزام السماح لها بتفتيش محتويات خزانتهم.

قال القزم القائد: "للملك فقط أن يرى ما بداخل الخزانة".

قال قزم ثانٍ: "وإلا سنعود من حيث أتينا".

وقال ثالث: "ولن يجد الملك حلاً لمشكلته".

أصدر لهم الملك مُذَكَّرَةً سَمَّاحٍ بِالْمُرُورِ، وَأَمَرَ بِأَنْ يَصْحَبَهُمْ مُرَافِقٌ عَسْكَرِيٌّ أَتْنَاءَ سَيْرِهِمْ فِي الْمَمَرَاتِ الْجَبَلِيَّةِ حَيْثُ قَدْ يَتَرَبَّصُ بِهِمْ قُطَاةُ الطَّرِيقِ. وَأَمَرَ الْفَلَاحِينَ بِإِطْعَامِهِمْ، وَالْبِقَالِينَ بِمَدِّهِمْ بِكُلِّ شَيْءٍ آخَرَ.

أخيراً وصل الأقرام إلى بوابة المدينة بعد رحلة طويلة، مُغْبِرِينَ. وَأَقْدَامَهُمْ مُتَوَرِّمَةً. حَمَلُوا الْخَزَانَةَ عَلَى أَكْتَافِهِمْ فِي طَقْسٍ مَهِيْبٍ وَسَارُوا بِهَا فِي الطَّرِيقِ الرَّئِيسِ، بَدَّوْا لِجَمِيعِ كَأْمٍ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ ذَهَبِيَّةً. كَانَ النَّاسُ يُفْسِحُونَ لَهُمْ وَهُمْ يَمْزُونَ بِهِمْ، وَهَكَذَا وَاصَلُوا سَيْرَهُمْ فِي الشَّوَارِعِ الْمَمْهَّدَةِ بِالرَّخَامِ نَحْوَ الْقَصْرِ الذَّهَبِيِّ. كَانُوا صَغَارًا وَبَسْطَاءً، مُتَّسِخِينَ وَمُتَعَبِينَ مِنْ مَشَقَّةِ الرَّحْلَةِ، وَقَفُوا أَمَامَ الْمَلِكِ وَوَضَعُوا الْخَزَانَةَ فِي مَنْتَصَفِ قَاعَةِ الْعَرْضِ، أَمَامَ الْعَرْشِ. دَخَلَ خَلْفَهُمْ رِجَالُ الْقَصْرِ، يَدْفَعُهُمْ فِضْلَهُمْ لِأَنَّ الْأَقْرَامَ لَمْ يُسْمَحْ لَهُمْ بِدُخُولِ الْقَصْرِ مِنْ قَبْلِ قَطْ؛ كَانَ أَسْلَافُ دَائِمُونَ قَدْ غَزَوْا أَرْضَ الْأَقْرَامِ، الَّتِي كَانَتْ غَنِيَّةً بِالْخَشَبِ الْمَمْتَازِ، الْحَدِيدِ الصَّلْبِ، النَّحَاسِ، الْأَمَّاسِ، وَالذَّهَبِ. حَاوَلَ الْمَلِكُ إِخْفَاءَ سِرُّورِهِ بِاسْتَفْرَازِهِمْ.

"لقد أمرتُ بتجويع الأسود من أجلكم خُصِيصًا".

ضحك رجال القصر مع الملك.

تقدَّم القزم القائد خطوة للأمام، رفع قبعته الصفراء، وانحنى قائلاً:

"يُسْعِدُنَا سَمَاعُ هَذَا سَيِّدِي الْمَلِكِ". كَانَ حِذَاؤُهُ بِالْيَا، وَتَبَرَّرُ مِنْهُ أَصَابِعُ قَدَمِيهِ.

قال قزم ثانٍ: "لكن سيظل على الأسود أن تنتظر طعامها لوقت أطول قليلاً".

وقال الثالث: "لقد جئنا لك بما تريده".

ثم قال الرابع: "جئنا لك بثلاث هدايا".

الملك إلى القزم القائد بِشْك. إن كان هذا دَجْالًا آخر؛ فسيُنزل
مغابًا سيئًا حقًا. كان في وجه القزم نُدْبَةٌ تمتدُّ من جبينه إلى ذقنه،
جفنيته مقطوع نصفين، يكشف عن عين بيضاء بأكملها. ويمكن
رأب أصفر من الشقِّ في شفثيه.

أله الملك "ماذا حدث لك؟"

أفضل ألا أتحدّث عن هذا الأمر."

"لست لك أن تخفي عني أي شيء"، قال الملك. "ماذا حدث؟"

"احتلَّ العُزاةُ موطني، سيدي، وقتلوا عائلتي كلَّها تقريبًا. جرحني
أي بسكين وأنا رضيع في مهدي، لكنني نجوت".
"أي عُزاة؟"

"حدث ذلك في عصر أبيك، سيدي، حين احتلَّ وطننا".

انفهر وجهُ الملك.

همس لكونسيجليو "أقزامٌ وقِحون"، وابتُضت مفاصلُ أصابعه وهو
يضع على سيفه. "أنت!" صاح في القزم. "كيف تجرؤ على تشويه
أبى أبي؟!"

انحنى القزم بخنوع، ونظر بثباتٍ في عيني الملك قائلاً: "لقد
أمرتني أن أخبرك بالحقيقة. أكان عليّ أن أكذب عليك سيدي؟"

"ما شأنك هنا؟"

انحنى القزم انحناءً عميقة.

"إن أول هدية نقدّمها هي زهرة الألبينو. إنها تزهر مرّةً كلَّ قرين
لدقيقة واحدة فقط، ثم تذبل."

سار القزم نحو الخزانة وأزاح جزءًا من القماش الذهبي جانيًا.
نظر الملك من خلال غطاء الخزانة المصنوع من الكريستال النقيّ

إلى زهرة لم يسمع عنها سوى في الحواديت الخيالية. إن الزهرة المهقاة. أندُر من الحصان وحيد القرن، هكذا تقول الحواديت القديمة. ومع ذلك ها هي ذي أمامه بساقها وأوراقها البيضاء الباهتة. تلك الزهرة الأسطورية التي يظنُّ أغلب الناس أنها لا وجود لها. رقيقة وجميلة، وشبه شفافة كسراب.

"أي خدعة هذه أيها القزم؟ كيف تحفظ تلك الزهرة؟".

"أنا لستُ هنا لأقدم خُدَعًا سحريةً سيُدي"، قال القزم، "لقد جئت لك بالحقيقة"، وحينها، نزع الغطاء ليكشف عن بقية محتويات الخزانة.

سار الملك حول الخزانة، يلمسها براحة يده.

في الطرف الآخر من الخزانة يقف صقر الفردوس. كان أثر رؤيته من هذا القرب أقوى بكثير من كل ما قيل عن هذا الحيوان الأسطوري. منقاره يلمع كأنه من فضة، ريشه أصفر وأزرق، وصدرة قوي، وبرائنه ذهبية.

"رافق صقر الفردوس الملووك في عائلتك لآلاف السنين، كلهم ما عداك"، قال القزم بهدوء، وبنبرة شك دايمون أنها تحمِلُ سخرية. كانت جميع لوحات وتمائيل أسلاف دايمون تتضمن صقر الفردوس. جميعهم، ما عدا دايمون.

"لقد انقرضت صقور الفردوس من العالم منذ خمسين عامًا مَصَّت"، قال القزم. "وهذا هو آخرها".

"لا يَنْقُضنا الآن سوى حصان وحيد القرن!" صاح مهرج القصر، وانفجر الحضورُ في الضحك.

انتظر القزم بصر حتى هدؤوا جميعًا.

"الآن، انتبهوا جيّدًا. إن هذا التابوت ليس مصنوعًا من ذهب، بل
،، هيوط عنكبوت مَغزولَةٍ بِإِتْقَانٍ شَدِيدٍ، لِحَدِّ أَنْ الزَّمنَ نَفْسَهُ لَا
،، لَهُ النِّقَادُ مِنْهَا. حينَ يَنْغَلِقُ التَّابُوتُ، يَتَوَقَّفُ الزَّمنُ".

لمهزت على عنق الملك بَقَعِ حمراء.

"حقًا؟" قال، لا يُصَدِّقُ ما يسمعه. "أي أن هذا الصقر ليس مُحْنَطًا
،، لا نائمًا؟".

"لا"، قال القزم، "النوم زمن. لا نوم في التابوت، لا تفكير ولا زمن.
،، س لدى صقر الفردوس أدنى فكرة عن مرور خمسين عامًا منذ
،، وضع بالداخل. قد يبدو لك مُحْنَطًا أو نائمًا، لكنه في الحقيقة لا هذا
،، ولا ذاك. بل هو بمنأى عن الزمن؛ لذلك لا يتقدّم في السن، لا ينمو
،، حجمه، لا يشيب، لا يفكر، ولا يحلم ولا يجوع. لا يمر به الزمن. قد
،، يبدو مُحْنَطًا. لكن الحقيقة أننا أوقفنا مرور الزمن عليه فحسب، وما
،، أن يفتح التابوت؛ ستذبل الزهرة، وسيطير الصقر مبتعدًا".

حبس الملك أنفاسه. كان فضوله يقتله تقريبًا.

"افتحه وأثبت ما تقول".

لم يُسرِعِ القزم في تنفيذ الأمر.

"انظر جيّدًا إلى زهرة الألبينو"، قال، ستكون هذه آخر مرّة تُرى
،، فيها زهرةٌ مثُلُها. يجب أن تسمح لمزيد من الأشخاص بالاستمتاع
،، بتلك اللحظة. ما أن أفتح التابوت؛ سيصل الزمن إلى الزهرة وستذبل
،، خلال ثوانٍ".

"افتح التابوت!" قال الملك بنزقٍ.

"جيّد جدًا"، قال القزم مُحَبَّطًا. ألقى نظرةً أخيرةً طويلة على
،، الزهرة، وضع يده على غطاء التابوت. صدر صوتٌ مُرورِ الهواء من
،، الشقِّ الضيّق. تحولت زهرة الألبينو الرائعة إلى الأسود، وتحلّلت

كُفْصَاةٍ وَرَقٍ أَكَلَتْهَا النَّارُ، تَحَوَّلَتْ إِلَى رَمَادٍ. لَمْ يَتَبَقْ مِنْهَا سِوَى بَعْضِ خَيْوِطٍ صَغِيرَةٍ حَمَلَهَا الْهَوَاءُ. نَدَّتْ عَنِ الْجَمِيعِ صَيْحَاتُ الدَّهْشَةِ، ثُمَّ أَخْفَضُوا رُؤُوسَهُمْ حَذْرًا مِنْ صَقْرِ الْفَرْدُوسِ الَّذِي حَرَّكَ جَنَاحِيهِ، وَرَفَرَفَ بِهِمَا وَحَلَّقَ لِأَعْلَى فِي أَرْجَاءِ الْقَاعَةِ.

لَمْ يَسْتَطِعِ الْمَلِكُ تَصْدِيقَ عَيْنِيهِ. صَفَّقَ بِحَرِيصٍ، لَا يَرِيدُ أَنْ يَبْدُو أَحْمَقًا.

"كَانَتْ تِلْكَ خُدْعَةٌ سَحْرِيَّةٌ مُثْبِتَةٌ..." قَالَ "... خُدْعَةٌ مِمْتَازَةٌ. شَكَرًا لَكَ".

تَقَدَّمَ قِرْزَمٌ آخَرَ خُطْوَةً لِلْأَمَامِ وَأَطْلَقَ حَمَامَةً بِيضَاءً فِي الْهَوَاءِ. طَارَتْهَا صَقْرُ الْفَرْدُوسِ عَلَى الْفُورِ وَأَمْسَكَ بِهَا بَيْنَ بَرَائِنِهِ، ثُمَّ طَارَ إِلَى عَرْشِ الْمَلِكِ، حَيْثُ حَطَّ، وَبَدَأَ يَنْقُرُ فِي فَرِيستِهِ لِيَنْشُرَ رِيَشَهَا فِي كُلِّ مَكَانٍ وَيُلَطِّخَ مَنقَارَهُ بِالْدَمِ.

نَظَرَ الْمَلِكُ إِلَيْهِ بِإِعْجَابٍ شَدِيدٍ. "مَنْ أَيْنَ أَتَيْتَ بِهَذَا الطَّائِرِ؟ عِشْرِينَ سَنَةً ظَلُّ وَالَّذِي يَرْسَلُ بَبْعَاتٍ لِلْبَحْثِ عَنْ وَاحِدٍ مِثْلِهِ لِيَقْدِمَهُ هَدِيَّةً لِي! إِنْ صَقْرًا كَهَذَا يَسَاوِي أَكْثَرَ مِنْ هَذَا الْقَصْرِ!".

"إِنَّهُ الْآخِرُ مِنْ نَوْعِهِ، سَيِّدِي. حِينَ يَمُوتُ هَذَا الصَّقْرُ، سَتَنْقَرُضُ سُلَالَتُهُ رَسْمِيًّا".

"أَنْتِ وَائِثِقُ مِنْ هَذَا؟".

"نَحْنُ نَعْرِفُ الْغَابَةَ. لَقَدْ حَفِظْنَا هَذَا الصَّقْرَ، عَلَى أَمَلٍ أَنْ نَجِدَ لَهُ أَنْثَى لِتَسْتَمِرَّ السَّلَالَةُ. لَكِنْ الْأَشْجَارُ كُلُّهَا قَدْ قُطِعَتْ".

"لِمَاذَا؟" سَأَلَ الْمَلِكُ.

نَظَرَ الْقِرْزَمُ حَوْلَهُ، ذَهَبَ إِلَى أَحَدِ الْأَعْمَدَةِ وَنَقَرَ عَلَيْهِ.

"خَشَبٌ بَاتَا جُونِيَا"، قَالَ. "لَدَيْكُمْ جَمِيعًا ذَائِقَةٌ مِمْتَازَةٌ لِلْأَشْيَاءِ الثَّمِينَةِ".

شَعَرَ الْمَلِكُ بِخُدْيَتِهِ يَسْخَنَانِ. "هَلْ تَحَاوَلِ اسْتَفْرَازِي؟".

"لَا سَيِّدِي، أَنَا أَقُولُ الْحَقِيقَةَ فَحَسَبُ".

اقترب الملك من التابوت مُجدِّداً، ونَقَرَ عليه برُقَّة.

واصل القزم كلامه: "كما قلتُ من قبل، لا يمكن للزمن النُّفادُ
من حرير العنكبوت. لقد قَضَى الصُّقْرُ والزُّهْرَةُ خمسين عاماً داخل
التابوت. كان الصقر يبلغ من العمر خمس سنوات حين وُضِعَ فيه،
وما زال عمره خمسة أعوام. الزهرة تتفتَّح لدقيقة واحدة فقط لا
أكثر، وقد حفظها التابوت مُزْدَهْرَةً تماماً لخمسين عاماً. لقد ظلَّ هذا
التابوتُ أكثر شيء مُقدَّساً لدينا - نحن الأقرام - لقرونٍ كثيرة".

"وفيمَ سأستخدم هذا التابوت؟" قال الملك.

حينها ساد الصمت، قبل أن يتحدَّث قِزْمٌ آخرُ بِشَعْفٍ: "إن الزهرة
بمكثها قضاء آلاف السنين في التابوت دون أن تذبُل. البيضة قد تظُلُّ
هناك لمئات السنين دون أن تفسد. والشخص قد يرقد هناك لمائة عام،
ألف عام، عشرة آلاف عام، في أمان تامٍّ من مرور الزمن. فإن كنتَ
تريد حفظ شباب ابنتك وجمالها؛ يمكنها الرقود في التابوت لنصف
قرن دون أن يتقدَّم بها السَّنُ يوماً واحداً".

"أتظنُّني فقدتُ عقلي لأغلق على ابنتي تابوت لنصف قرن؟!".

تراجَعَ القزم إلى الخلف. "لقد طلبتُ حلاً، جلالتك، وقد أتينا به،
والأمر يعود إليك في كيف أو ما إن كنت ستستخدمه. لقد جننا لك
بمِيايَةَ من الزمن ومفتاح الخلود".

نظر الملك إلى الأقرام بريبة، هؤلاء الرجال الصغـيرون بأحذيتهم
البالية المصنوعة من جِلْدِ العَنَمِ ووجوههم الخالية من التعبير.

"هل هذا التابوتُ فَحٌّ؟"

"لا، جلالتك، الأقرام لا يَنصبون فخاخاً".

لم يكن الملك يَثِقُ فيهم، لكنه يُصدِّق عينيه. ظلَّ الصقر أثناء ذلك
يصيح بصوتٍ حَسَنِ: كويبي! كويبي!

التابوت السحري

تَبَيَّنَ أن التابوت أحدُ عجائب الوجود حقًّا. استدعى الملكُ أفضلَ مُبرِّاءِ المملكةِ جميعًا لِيُدَقِّقُوا النظرَ فيه. انكبَّ عليه صاغةُ الذهب، النُّجَّارون، أطباءُ الأسنان، الحَدَّادون، الحِرْفِيُّون، عُمالُ الغزل والنسيج ومُلمِّعو الألباس- يتفحصونه. وضعوا فيه ساعةً رملية، توقَّفت الرمال عن الإنسلاال ما أن أغلقوا الغطاء. ملَّؤوه بالقراشات، ظلَّت عالِقَةً في الهواء كالستائر. اتَّفَقَ الجميع على أنه أفضلَ عمَلٍ فَنِّيٍّ في العالم. نقر إكسل على الغطاء برفق.

"تخيَّل فقط كيف سنستخدم هذا الشيء!" أخرج مسطرته المنزلقة. "في العام الماضي مرَّ مائة يومٍ مُشمِسٍ ومائة يومٍ مطير. بشيء مثل هذا التابوت كان بإمكاننا أن نوَقِّرَ على الأميرة قضاءَ أيَّامها في الطقس السيئ. انظُرْ إلى اليوم، رياح عاصفة وأمطار. يا لها من مضيعةٍ للوقت! لا يجب أن تقضي الأميرة وقتها في أية ظروف أقلَّ من ممتازة، ألا تظنُّ ذلك سيدي؟".

"كلام سليم"، قال الملك.

"إن جَمَعنا معًا كل الأيام الممطرة والأيام الغائمة، فقد ضاع منها بلا رجعة ما يزيد عن مائتي وخمسين يومًا خلال العام الماضي. تخيل إن كان بمقدورك اختيار قضاء الأيام الجيدة فقط وترك الأيام الأخرى تمر". ثم قام بمزيد من الحسابات، وقال: "إن فَتَحْتَ التَّابُوتَ أيام الأحاد فقط؛ سيمكنها العيش لسبعمئة عام!".

صاح الملك مذهولًا، سبعمئة عام!

"وإن كان نصف أيام الأحاد مُمَطَّرَة، يمكنها العيش لألف وأربعمئة عام. حينها ستقتضي جميع أيام الأحاد في طقس مُشمِس!".

"وماذا إن فتحنا التابوت في احتفالات أعياد الميلاد فقط؟" سأل كونسيجليو (الذي يتمنى أحيانًا أن تكون جميع الأيام احتفالات بأعياد الميلاد).

قام إكسل بالحسابات وصعقه الناتج. "هذا ليس صحيحًا"، تمتم وأعاد حساباته. سِتَّة وثلاثون ألفًا وخمسمائة عام!".

حسب الآخرون الأمر في رؤوسهم ووجدوه صحيحًا.

احمرُّ وجه كونسيجليو. "سيدي، لقد وعدتَ بمنح نصف مملكتك لمن يمنحك المزيد من الوقت. يبدو لي أن الأقرام قد نجحوا في تلبية طلبك. ماذا ستفعل؟ لا يمكنك منح نصف مملكتك للأقرام، أليس كذلك؟".

أسرع إكسل يجيب. "طبقًا لحساباتي، الأفضل أن تحكِّمَ نصف مملكة لستَّة وثلاثين ألف عام من أن تحكِّم مملكةً كاملةً لمائة عام. لكن علينا أولًا أن نجرِّب التابوت".

بناءً على أوامر من الملك، أحضرت ثورديس الأميرة أوبسيديانا إلى القاعة.

الملكري يا ابنتي!" قال الملك بمَرَحٍ. "جاء بعض الأقزام بهديّة
الملك."

الملك الأقزام يرتدون ثيابًا جديدة أمر الملك بصنعها خصيصًا لهم.
الأميرة يدها، وانحنى أحد الأقزام لها فاحمرّ وجهها.

"لقد جلبوا لنا تابوتًا سحريًا سيمنحنا المزيد من الوقت"، قال
الملك. "أريدك أن تجرّيه".

"تابوتٌ سحريّ؟" سألت الأميرة. نظرت من خلال زجاج التابوت
الملك فاف إلى وسادة وغطاء من الحرير الأبيض بداخله.

نظرت حولها إلي جميع رجال القصر الذين يقفون مُتَشَوِّقين، وإلى
الملك الأقزام الخالية من التعبير. دخلت التابوتُ ووضعت رأسها على
الوسادة.

"الآن عدّي من واحدٍ لعشرة!" قال الملك.

أغمضت أوبسيديانا عينيها وبدأت العدّ.

"واحد، اثنان، ثلاثة، أربعة..." صوت طَرْقٍ! انغلق التابوت وانفتح
جديدًا.

"... خمسة، ستة، سبعة..."

فتصّت أوبسيديانا عينيها. كان الملك يقفُ فوقها وإكسل يُسجّل في
دفتره كل ما يحدث بالتفصيل.

"الآن تُغلقه؟" سألت الأميرة.

"لقد أغلقنا التابوت لعشر دقائق"، قال الملك.

أغلقوه وفتحوه مرة أخرى، قالت أوبسيديانا ثانيةً: "الآن تُغلق
التابوت؟".

"لقد أغلقناه لساعة"، قال الملك ضاحكًا.

ثم أغلقوا التابوت وفتحوه مرة أخرى.

نظرت أوبسيديانا حولها وضيقّت عينها. كانت الشمس مُشرقةً، مع أن الجو منذ دقيقة واحدة فقط كان عاصفًا ومُمطرًا. نهضت تقف على قدميها. فيما بدا جزءًا من الثانية، كانت ثورديس قد غيّرت ملابسها، ورفعت شعرها. كيف غيّرت ثورديس ملابسها بهذه السرعة! ركضت أوبسيديانا إلى الأبواب الكبيرة المؤدية إلى حدائق القصر وفتحتها. كانت أشجار الكرز مُثقلّةً بثمارها. شهقت مدهوشةً: كانت الأشجار جميلةً للغاية. كانت الأميرة تتوق إلى الربيع بشدة. وها قد جاء.

"كيف عادت أوراق الشجر سريعًا هكذا؟".

"بل كان ذلك ببطء شديد؛ استغرق الأمر عشرة أيام. أنتِ فقط لم تلاحظي".

"لقد أغلقنا التابوت في الخامس من أبريل. واليوم هو الخامس عشر منه". وقف إكسل هناك، مبتهجًا، بمسطرته المنزقة. "لقد وفّرنا عليك عشرة أيام!".

حازت أوبسيديانا. هذا مستحيل. كانت رائحة الهواء مختلفة: عبر ودفء الربيع، رائحة التربة الخصبة. ركّضت تبحث عن باندها. "باندا!!" صاحت تنادياها.

لكن الباندا الحمراء كانت ترفع ذيلها في الهواء وتلهث وهي تقترب.

"ظلت راقدةً أعلى التابوت وهي تبكي طوال الوقت". قالت ثورديس. "ظننتكِ ميتةً. لا يمكنك شرح الأمور للحيوانات".

ركّضت أوبسيديانا إلى غرفتها وفتحت دفتر يومياتها. قلبت الصفحات الخالية. كان هذا غريبًا. ليس لديها أي ذكرى لتلك الأيام، لقد اختفت فحسب. كتبت:

عزيزتي يومياتي،

توجد بعض الأيام المفقودة هنا. جاء بعض الأقرام بتابوت سحري.
٥.٥ دت فيه فمرّت عشرة أيام في ملح البصر. أين ذهب هذا الزمن
الذي فقّده؟ هل يُمكنني استعادته؟

في البرج الزجاجي العالي كان الملك يجلس إلى مائدة مستديرة كبيرة.
على الجدار خلفه خريطة ضخمة للمملكة التي قضى العقْد الأخير
من عمره يحارب من أجلها. يحمل في يده مرسومًا ملكيًا يقول:
سأكافئ مَنْ سيأتي لي أو لابنتي بالمزيد من الزمن بمنحه نصف
مملكتي.

كان من الواضح أن الأقرام قد لبّوا طلب الملك: كان ذلك تابوتًا
سحريًا حقًا، يمكنه به حفظ ابنته بعيدًا عن ويلات الزمن. من حقّ
الأقرام نصف المملكة.

مَمْلَكَةُ الْأَقْرَامِ

رَافَقَ حُرَّاسُ الْقَصْرِ الْأَقْرَامَ لِيُمَثِّلُوا أَمَامَ الْمَلِكِ. قَرَّرَ دَائِمُونَ أَنْ
بِهَاطِئِهِمْ يَحْرِصُونَ؛ قَدْ يَبْدُونَ صَغَارًا، لَكِنَّهُمْ يُمْكِنُهُمْ فِعْلُ أَيِّ شَيْءٍ. مَنْ
لَدَيْهِ الصَّبْرُ لِيُغْزَلَ خَيْوُطَ الْعَنْكَبُوتِ لِصُنْعِ ذَاكَ التَّابُوتِ السَّحْرِيِّ لَدَيْهِ
أَيْضًا الصَّبْرُ لِتَدْبِيرِ الْإِنْتِقَامِ.

"لماذا قمتم بغزل التابوت؟" سألهم.

"الحياة في الجبال قاسية؛ كُنَّا نستخدمه لحفظ الطعام"، قال أحد
الأقزام.

"لكننا بعد ذلك وضعنا فيه الصقر". أضاف قزم آخر.

"ماذا عن الأشخاص؟".

"لا، لم نستخدمه لحفظ الأشخاص قط".

"ولم لا؟".

"لَمْ يَخْطُرَ الْأَمْرُ بِبَالِنَا، عَلَى مَا أَظُنُّ"، قَالَ الْقَزْمُ.

"لِمَاذَا أَحْضَرْتَ لِي التَّابُوتَ؟ هَلْ هُوَ خَطِيرٌ؟".

"لا"، قَالَ الْقَزْمُ، "التَّابُوتُ فِي حَدِّ ذَاتِهِ لَيْسَ خَطِيرًا، بَلْ يَكْمُنُ الْخَطْرُ فِيمَنْ يَسْتَعِدُّهُ. يَنْبَغِي التَّحَلُّي بِالْحِكْمَةِ فِي اسْتِعْدَادِ شَيْءٍ كَهَذَا".

بَدَأَ تَعْبِيرُ وَجْهِهِ غَامِضًا، مُعْضَلًا.

"أَهَذَا فَخٌّ؟ انْتِقَامٌ مِنْ نَوْعِ مَا؟" سَأَلَ الْمَلِكُ.

"لَقَدْ هَزَمْنَا جَيْشَكَ تَمَامًا"، قَالَ الْقَزْمُ. "سَلَبْنَا الْمِعَادِنَ النَّفِيسَةَ فِي جِبَالِنَا. حَارَبْنَا أَبُوكَ وَجَدُّكَ بِالنَّارِ، لَكِنِ الْإِنْتِقَامَ لَيْسَ جِزَاءً مِنْ ثِقَافَتِنَا. التَّابُوتُ الْآنَ بَيْنَ يَدَيْكَ. الْأَمْرُ يَعُودُ إِلَيْكَ فِي جَعْلِهِ لِصَالِحِكَ أَمْ ضَدِّكَ".

نَظَرَ الْمَلِكُ إِلَى الْقَزْمِ لَوْقْتٍ طَوِيلٍ.

"إِنَّ التَّابُوتَ صَغِيرٌ، يَنْسَبُ ابْنَتِي لَكِنَّهُ لَا يَنْسَبُنِي. هَلْ يُمْكِنُكَ صُنْعُ وَاحِدٍ آخَرَ لِي؟".

"مُقَابِلَ النِّصْفِ الْآخَرَ مِنَ الْمَمْلَكَةِ؟" سَأَلَ الْقَزْمُ ضَاحِكًا.

"مُقَابِلَ مَبْلَغٍ مَعْقُولٍ"، قَالَ الْمَلِكُ.

"لا"، جَاءَ الْجَوَابُ حَاسِمًا.

"لَا؟ مَاذَا تَعْنِي بِذَا؟ أَنَا أَرْفُضُ هَذَا الرَّدَّ".

"هَذَا التَّابُوتُ لَا يُمْكِنُ صُنْعُهُ وَاجِدِ مِثْلَهُ مَرَّةً أُخْرَى أَبَدًا. كَانَتْ جَدَّتِي وَأُمِّي هُمَا مَنْ تَعْرِفَانِ كَيْفَ تَغْرِزَانِ نَسِيجَهُ. كَانَتَا تَرْتَبِئَانِ عَلَى الْعِنَاكِبِ لِتَصْنَعُ خِيوطَهَا، وَاسْتَعْرِقَ مِنْهُمَا عَزْلُهُ أَرْبَعِينَ عَامًا".

"اسْتَدْعِيهِمَا إِلَى هُنَا!".

رَفَعَ الْقَزْمُ أَصْبَعَهُ وَمَرَّ بِهِ عَلَى النَّدْبِ فِي وَجْهِهِ قَائِلًا:

لقد جرحني جُنْدِيٌّ بِسِكِّينِهِ وَأَنَا فِي مَهْدِي، وَمَعَ ذَلِكَ نَجَوْتُ.
ع. أن جَدَّتِي هَرَبَتْ، لَكِنَّ وَالِدِي وَشَقِيقَاتِي وَأَبْنَاءَ عَمِّي لَمْ يَحَالِفَهُمْ
الملك.

"هذا ليس من شأني".

اقترَبَ القَزْمُ مِنَ المَلِكِ. تَأَهَّبَ الحُرَّاسُ. شَدَّ أَحَدُ الرُّمَاهُ - يَقِفُ
لِ العَوَارِضِ الخَشَبِيَّةِ لِلسَّقْفِ بِالأَعْلَى - قَوْسَهُ، مُوجِّهًا السَّهْمَ نَحْو
ب. القَزْمِ.

قال القَزْمُ: "إن رأس الأخطبوط لا يعرف دائماً بما تفعله لوامسه،
سلالتك".

نظر دايْمون إلى القَزْمِ والحضور مُطَوِّلاً وبامعان. قال أخيراً بصوت
ع. ال ليسمعه الجميع: "كفى تعني كفى أيها القَزْمِ. لقد أتيت لي
ب. ل لمشكلتي".

ثم أعلن وهو يجول ببصره في الجمع: "إنَّ وَعْدَ المَلِكِ قائِمٌ. لقد
ع. مدتُ بِمِنَحٍ نصف مملكتي لمن يمكنه إيقاف الزمن وحفظ جمال
انتقي. ها هو ذا، أيها الأقرام! إنه حَقُّكُمْ!".

ثم سار إلى الخريطة المعلقة على الحائط، سحب سِكِّينَهُ وقطعها
إل نصفين.

ساد الصمت القاعة. ازْمَدَ وجهُ اللوآات. هل سيفعلها حقاً، بعد
ل تلك الحروب، سيتمنح نصف مملكته لِثُلَّةٍ مِنَ الأقرام؟

استدار دايْمون إلى القَزْمِ الأعور: "هل أنت مُستَعِدُّ لِقرَضِ قُوَاتِكَ
على نصف مملكتي؟ هل سيقسم الناس بالولاءِ لَكَ أيُّها المَلِكُ القَزْمِ؟".

نظر القَزْمُ إلى المَلِكِ، ما زال تعبيرُ وجهه غامضاً.

"أيُّها المَلِكُ، لا شيء يمكنك منحه لنا يعوضنا عن ما أخذته مِنَّا.
كان الصقر، الزهرة، والتابوت كل ما لدينا. لديك تابوتُ زَمَنِ لابنتك

تابوتُ الزَمَنِ | 77

الآن. الخلود بين يديك. استخديمه بحكمة. لكن نصف المملكة لن يفيدنا. نحن نرفض عرضك".

سرت همهمة في القاعة. تحول وجه الملك إلى الأحمر.
"أنا عند كلمتي"، قال الملك. "لك نصف مملكتي؛ كان هذا الاتفاق".

"نحن لا نريد شيئاً. أنت لا تحفظ وعودك؛ وتستحق كل ما يحمله المستقبل لك".

حدق القزم في عيني الملك مباشرة.

"ماذا تعني: كل ما يحمله المستقبل لي؟ أهذه لعنة؟".

"لم أقل سوى إنك تستحق كل ما يحمله المستقبل لك، سواء كان جيداً أم سيئاً. هذا هو كل شيء".

استعد الأقرام للرحيل. شمل الضمض الحضور.

"هذه إهانة!" هذر الملك. "أنت تسخر مني! أنا وعدتُ بنصف مملكتي وأنت ترفضها! تمنحني تابوتاً، وزهرة سحرية وصقر الفردوس، دون أن تأخذ شيئاً في المقابل!".

عض شفته واشتعل غضباً.

"ليس أمامي سوى أن أحكم عليكم جميعاً بالإعدام. وإن طلبتم العفو؛ سأمنحكم حينها حياتكم على الأقل. وإن لم تطلبوه، سأعتبر التابوت غنيمة حرب. لن أعتبره هدية أبداً".

نظر الأقرام إليه. بدا بعضهم على وشك فقدان وعيهم، لكن القزم ذا النذبة قال: "جيد. هذا رائع. لأننا لن نقايض حياتنا مقابل عفوك ورحمتك".

لقى الحُرَّاسُ القَبْضَ على الأَقْزَامِ، قَيَّدوهم وقادوهم إلى مدرِّجِ
الْمَاءِ، بِنَةِ، حيث احتجزوهم في أقباصِ بجوار عمالقة مُتَوَحِّشِينَ: أُسود
٤٠٧.

جاء إليهم رسولُ الملك ثلاثَ مرَّاتٍ ليقول:

"الملك يعرض عليكم العَفْوَ: ما رَدُّكُمْ؟"

بَصَقَ الأَقْزَامُ نَحْوَهُ.

في النهاية جاء الملكُ بنفسه تحت ستار الليل، يُضِيئُهُ وَهَجٌ شُعْلَةٌ.

"هل تقبلون رحمتي؟"

لكنَّ الأَقْزَامَ حَدَّقُوا فيه من ظلام قفصهم، ولم يقولوا شيئًا.

في الفجر جاء إليهم السِّيَافُ، رجلٌ قويُّ البنية؛ لِيُعَايِنَهُمْ. كان عاريًا
حتى خصره، يكسو الشَّعْرُ جِلْدَهُ كَقَرْدٍ، ومَلُوهُ الندوب. يرتدي قبعة
رسمية. كان مُتَخَصِّصًا في القتال الخبيث والميتات المطولة. دَقَّقَ النظر
في الأَقْزَامَ جيِّدًا وأبسهم خوذاتٍ سخيْفَةً على رؤوسهم.

ثم جأر قائلًا: "إِنَّ أُمَّتَ سَيِّءٍ في العالم أن تُشَاهِدَ أُسودًا يُطَارِدُونَ
الأَقْزَامَ!".

منح الحُرَّاسُ الأَقْزَامَ سيوفًا ودُرُوعًا كَبِيرَةً للغاية عليهم، ثم
دفعوهم إلى الساحة، حيث قُوِّلُوا بالتهليل وَصَخَبِ الضحكات. لكنهم،
حين رُفِعَتِ الحواجز ودخلت الأسود الجائعة إلى الساحة، رقدوا ثابتين
على الأرضية الحجرية للساحة. تَشَمَّمَتِهم الوحوشُ وتَرَكَّتْهم دون أن
تَمْسُهم. ثار الجمعُ الغاضب الذي دفع نقودًا لمشاهدة دماء. جلس
الملك في المقصورة الملكية يشاهد ما يحدث في صمت، ويشعر بأنقال
من الرصاص في مَعِدَّتِهِ، وبالقبو الفارغ في صدره، لم يشعر بفراغه من
قبل مثلما في هذه اللحظة. كان يتعَرَّقُ ويكاد يفتنق من الحرِّ. دخل
مدرِّبُ الأسود إلى الساحة يَسْبُها بوجهٍ أزرَقٍ من الإحراج، وأعادها إلى

أقفاصها. خرج المصارعون إلى الساحة الآن. لكن الأقرام رفضوا قتالهم، حتى بعد جَلْدِهِم بالسُّيَاط ووخزهم بالحِراب.

"هذا قتال لعينٍ عديم الجدوى!" تَمَّتَم السُّيَافُ.

أخذ الغوغاء يتذمرون ويلقون بِعُلب الصفيح وأواني الخزف على الساحة.

"دماء! دماء! دماء!"

كان واضحًا أنه لن يُشَبَّ أيُّ قتال بين الأقرام والمصارعين: لا سبيل إلى استدراج الأقرام إلى قتال. دخل السُّيَافُ إلى الساحة يرتدي عباءة سوداء ويمسك ببَلْطَة كبيرة. رقد الأقرام بلا حراك. حتى حين نكزهم بمقبض بلطته، وهكذا بدأ تنفيذ مَهْمَتِهِ، وقطع رأس أول قزم راقِدٍ على الأرض. هَلَّل الحشد.

تحرك السُّيَافُ نحو القزم الثاني، وهكذا قطع رؤوسهم واحدًا تلو الآخر. لم يبدر منهم أدنى مَقَاوِمَة، لكنَّ القزم ذا التُدْبَة كان يثبَّت نظرتَه على الملك، الجالس هناك في المقصورة الملكية. رفع السُّيَافُ بَلْطَتَهُ لأعلى في الهواء، وهوى بها بكلِّ قوته. بدا للملك أن أثر تلك الضربة قد استمر طوال اليوم بأكمله؛ ظلَّ لوقتٍ طويل بعدها يُعيدُ المشهد في ذهنه بكلِّ حذافيره، منذ أن رفع السُّيَافُ بَلْطَتَهُ وحتى اصطدمت بالأرض. يتذكَّر جيدًا نقوش سُرَّةِ السُّيَافِ ووجه القزم الذي ارتسمت عليه ابتسامةٌ حزينةٌ قبل لحظة من طَيْرَانِ رأسه في الهواء. حين اصطدمت البلطة بالأرض الحجرية، شعر الجَمْعُ بهبَّةِ هواءٍ، وخَبِطَ ثَقِيلٌ تحتَ أقدامِهِم، كأنها بداية زلزال. ساد الصمت، ورأس القزم تَحَطَّ على الأرض. نظر السِّيفِ إلى بَلْطَتِهِ مَصعوقًا، ورأى الصَّدْعَ في الأرض الحجرية تحتها. صدر صريرٌ فيما تتصدَّع الأرض. انقسم المدرجُ الكبير إلى نصفين، وامتدَّ صَدْعٌ يُشْبِهُ الخَيْطَ الرفيع بطول المدينة بكاملها. ثم صار الصَّدْعُ شَقًّا، ثم وَهْدًا، ثم واديًا

١٤١. امتلأ ماء وصار قنأة، ثم صار خليجاً، وأخيراً: مُحيطًا شاسعًا.
١٤٢. مت المدينة والمملكة بأكملها إلى نصفين. صارت بانجيا ما نعرفه
الآن. وم بقارتي: أمريكا الجنوبية، وأفريقيا.

رَأْسُ قِزْمٍ

أَغْلَقَتْ جَرِيْسَ الْكِتَابِ. كَانَ الْأَطْفَالُ صَامِتِينَ. خِيْمَ اللَّيْلِ.

قَالَتْ "حَسَنًا، لَقَدْ حَانَ وَقْتُ النَّوْمِ".

"هَلْ قَطَعُوا رَأْسَ الْقِزْمِ حَقًّا؟" سَأَلَ بِيْتِرَ.

"نَعَمْ، قَطَعُوا رَأْسَهُ". قَالَتْ جَرِيْسُ.

"لِمَاذَا؟"

"لَأَنَّ عَلَى الْمَلِكِ أَنْ يَحْفَظَ كَلِمَتَهُ".

"أَلَمْ يَكُنْ رَجُلًا طَيِّبًا؟"

"طَيِّبٌ؟ لَقَدْ غَزَا الْعَالَمَ بِأَسْرِهِ. كَيْفَ لِرَجُلٍ كَهَذَا أَنْ يَكُونَ طَيِّبًا؟".

"أَنَا لَا أَصَدِّقُ أَنْ بَلَطَةً وَاحِدَةً يُمْكِنُهَا فَصْلُ الْقَارَاتِ عَنْ بَعْضِهَا!".

"وَمَاذَا أَعْرِفُ أَنَا؟" قَالَتْ جَرِيْسُ. "انْظُرْ إِلَى الْأَسْلِحَةِ النَّوَوِيَّةِ. قِطْعَةٌ

بِحِجْمِ قَبْضَةِ الْيَدِ مِنْ مَعْدِنٍ لَهُ نَشَاطٌ إِشْعَاعِي يُمْكِنُهَا تَفْجِيرُ مَدِينَةٍ

بأكملها إلى قطع صغيرة. قد يُعتَبَر شيءٌ كهذا معدنًا سحريًا في عصر ما. ربما كان الأقرام على علم بأشياء لا نعرفها نحن. كان بإمكانهم صُنْعُ أشياءٍ مُذهِلةٍ من الذهب والصخور، وقد استطاعوا غَزَلَ تابوتٍ من حرير خيوط العنكبوت. تقول الأسطورة إن في تِلْكَ الأيام حين كان البشر على وفاق مع الحيوانات، كان الأقرام على وفاق مع الأرض: ربما كان باستطاعتهم وصل القارات أو فصلها عن بعضها إن شاؤوا".

مَدَّت جريس يدها إلى خزانة وأخرجت آنيةً زهورٍ مكسورة.

"انظروا إلى هذه"، قالت، "كانت هذه آنيةً زهورٍ مكسورة، لَصَقْتُهَا مَعًا بالصمغ. وُجِدَ نِصْفُهَا فِي أفريقيا، والنصف الآخر في أمريكا الجنوبية".

"لكن كيف تنفصل القارَّات عن بعضها البعض بهذه السرعة؟".

"كان هذا تحديداً ما ظلُّ أهل بانجيا يتساءلون بشأنه".

بَدَت كريستين مُرهَقَةً للغاية وهي تتشاءب بصوتٍ عالٍ. ذَهَبَتْ جريس وأحضرت بطاطينٍ ووساداتٍ وأرَقَدَت الأطفال عليها. حاولت سيجرين أن تحتفظ بعينٍ واحدة مفتوحة -لا يمكنك الوثوق في أحد- لكن حين سقط الأطفال في النوم واحدٌ تلو الآخر، سقطت هي الأخرى في النوم أخيراً.

استيقَظت على الرائحة الشهية للشوفان الساخن. فَرَكَّت النُومَ عن عينيها، انضمت للأطفال الآخرين الجالسين إلى مائدة طويلة، يتناولون إفطارهم بشهية. فجأةً ظهرت غزاةٌ في الفناء بالخارج، نَظَرَتْ إليهم ثم ركضت بعيداً. كانت سيجرين تتضوَّرُ جوعاً، وقرَّرت أن تتناول ملعقةً صغيرة فقط.

كانت جريس قد حَلَّتْ صغيرتها، وبدا شعرها رَمادياً ومنكوشاً.

"حسناً، مَنْ يريد مساعدة ماركوس في صيد الأسماك للعشاء؟".

لالت سيجرين تتوق إلى الخروج، فعَرَضَتْ بسرعة أن تذهب.
"لا تُنْسِيا المضرب"، قالت جريس وهي تُناوِلُ ماركوس مضرب
- جول.

لم تحب سيجرين منظره.

"هل سنصطاد السمك بهذا؟" سألت سيجرين.

"لا. المضرب للذئب". قال ماركوس.

"أو الزُّومبي"، قالت جريس.

سقط فَكُّ سيجرين: "زومبي؟".

"أنا أمزح فقط"، قالت جريس ضاحِكةً. "مع ذلك توجد حيوانات
.. وحُشة بالخارج هناك؛ لذلك عليك أن تحذري".

انطلقا: سيجرين وماركوس، والطيور تُغرِدُ في الأشجار. وَقَفَا على
اسد جانبي الطريق، فيما يَخْبُ مَوْظُ أمامهما ويتوقَّف ليفرك مؤخَّرته
في دعامة سياج.

"كيف تعرف جريس؟" سألت سيجرين ماركوس.

"أنا لا أعرفها". قال ماركوس. "لقد وَجَدْتَنِي كما وَجَدْتُكَ أنا. كان أبي
بُنهي صفقة للاستيلاء على شركة فنلندية كُبرى، وأُمِّي تستكمل رسالة
الدكتوراة خاصتها. حين كَسَرْتُ نافذة في المدرسة وعُوِّبْتُ بالوَقْفِ عن
الدراسة لمدة أسبوع. كان حينها أن أحضر أبواي أحدَ صناديق الزمن
نلك إلى البيت؛ قالوا إنهما ليس لديهما الوقت للتعامل معي، ناهيك
بالعناية بي لمدة أسبوع كامل".

"وماذا حدث إذن؟".

"دخلتُ في الصندوق؛ ثم رأيتُ جريس تقف أمامي في ثوبها الأسود.
كان الأمر كأنه كابوس. حاولتُ الهرب منها، لكنني كنت وحدي في

العام وكل شيء مُغطى بالأشواك والعُلق؛ فَعُدْتُ إليها. كانت تقه
في انتظاري، لكنها كانت تُرعبني. استدارت لتعود إلى المنزل، سمع
الذئب على التل؛ ففكرتُ أن الأفضل أن أتبعها. أرتني كل الأشياء،
القديمة التي جمعتها، وقالت إنها تحاول اكتشاف ماذا حدث للعام
نظرتُ سيجرين خلفها نحو منطقتها (أو بالأحرى نحو الغابة التي
ابتلعت منطقتها).

"هل يمكننا التوقف عند بيتي؟" سألت.

"لماذا؟"

"يجب أن أفتح صندوقي بابا وماما."

"لن يُمكنك هذا"، قال ماركوس.

"لماذا لا؟"

"تقول جريس إن هذا ليس مُمكنًا."

حدقتُ سيجرين في البيوت القريبة من البحيرة. كانت في حالة
انهيار تقريبًا، كأنها حواجز ميناءٍ قديمة. يوجد في منتصف البحيرة
عجلةٌ ملاهي كبيرة، نصفها مغمور في الماء؛ لا بُدَّ أنها تَدَحْرَجَتْ إلى هنا
من أحد الملاهي القريبة. كانت الشمس مُشرقةً، وسطح المياه أَمَلَسَ
كالمرآة. رأتُ بَجَعَتَيْنِ تَسْبَحَانِ بعيدًا، ومن مكانٍ ما صاحَ عَوَاصٌ⁽¹⁾. مرًا
بِعُشٍّ على الضفة ترقد فيه بطُّةٌ عَيْدَرٌ سَمِينَةٌ، لم تتحرك حتى حين
اقترَبَ منها جدًا. أخذًا زورقَ تجديفٍ برتقالي، جدفًا نحو جيركن أحمر
بلاستيك يطفو بالقرب من عجلة الملاهي. وضع ماركوس المجدافين،
أمسك بالجيركن الأحمر، وبدأ يسحب شبكة الصيد المربوطة به. في
البدء لم يَرَيَا سوى غَبْشٍ أبيض في أعماق المياه، لكنهما سَحَبَا الشبْكَ
الثقيلة إلى القارب بسرعة، كانت مُحَمَّلَةٌ بِسَمَكِ السلمون المرُقَطِ

(1) Loon: طائر من الفصيلة الغواصية، يُشبه البَطَّ، يُسَمَّى أيضًا الغماس أو السماك.

«م السمين الذي ظلَّ يتلوى عند أقدامهما. حرَّرتَ سيجرين سمكةً .. الشبكة وخبطت رأسها بحافَّة القارب.

في منتصف البحيرة توجد لافتة صدئة: تجاوز الأزمة! صندوق
المن ماركة مسجلة.

أشار ماركوس إليها قائلاً: "إنه خطأ هؤلاء. لقد أفسد صندوق
العالم. إنهم المسؤولون عن كل هذا".

"لكنني لا أعرف ماذا يمكننا فعله؟"

"ولا أنا أيضًا"، قال ماركوس. "ظنني أنه ليس لدينا خيار آخر سوى
الاستماع إلى القصة. ليس لدينا ما نخسره أيضًا".

عادا إلى البيت بحمولتهما من السلمون المرقط.

كانت الشوارع تُشبه الأدغال، تَمَّت الأشجار على النوافذ المكسورة.
..ت النوارس أعشاشها على أطرِ النوافذ وأقاريز الأسطح؛ حلَّقت في
الأعلى، تنوح بحُزن. نظرتَ سيجرين لأعلى.

قالت "النوارس جميلة".

"نعم".

"إن قَدَمي مُبلَّتان، أحتاج إلى حذاءٍ مَطاطيٍّ عالي الرقبة، جديد".

قال ماركوس: "إن دَهَبتِ إلى مركز التسوق لن يتبقَّى منك شيءٌ
سوى حذائك".

"أوه؟".

"سَمعتُ أن الدبَّبةَ كانت هناك بالأمس حين ذهب الأطفال
للحصول على بعض الأطعمة المعلَّبة. لقد عَثرتَ الدبَّبةَ على مرطبات
العسل. الأفضل الابتعاد عن هناك".

وَجَدَا جَرِيْسَ وَكْرِيسْتِيْنَ خَارِجَ الْمَنْزِلِ تُقَشِّرَانِ الْبَطَاطَسَ. أُعْطِيَا
السُّلْمُونَ لِجَرِيْسَ فَأَخَذْتَهُ إِلَى الْمَطْبَخِ، وَوَضَعْتَهُ فِي إِنَاءٍ لَطْهِيْهِ. سَرَعَانَ
مَا جَلَسُوا جَمِيْعًا يَسْتَمْتَعُونَ بِوَجْبَةِ شَهِيَّةٍ. فِيمَا يَأْكُلُ الْأَطْفَالُ، فَتَحَّتْ
جَرِيْسَ خِزَانَةٌ زُجَاجِيَّةٌ وَأَخْرَجَتْ مِنْهَا جَمِجْمَةً عَتِيْقَةً.
قَالَتْ "انظروا إلى هذه، أليست رائعة؟" كادت سيجرين أن تختنق
بالطعام.

أشارت جريس إلى انبعاث في الجمجمة.

"أحدهم لگم هذا الشخص في وجهه وهو طفل، لكن الجرح
اندمل". رأَت سيجرين علامةً ممتدُّ من مَحَجَرٍ إِحْدَى الْعَيْنَيْنِ لِأَسْفَلِ
الْفَكِّ.

أدارت جريس الجُمُجْمَةَ لِتُرِي سيجرين جزءًا من عظم القفا.

"بعد ذلك بوقت طويل قُطِعَ الرَّأْسُ كُلُّهُ".

"هل هذه هي رأس القزم؟" سألت سيجرين.

"إن كل ما أخبركم به يأتي من مصادِرٍ موثوقٍ فيها"، قالت جريس
وهي تُنَاوِلُ سيجرين الجمجمة. ارتعشت سيجرين وكادت أن تُسْقِطَهَا.
ضَحِكَ كْرِيسْتِيْنَ وَبَيْتِرَ.

استراح الأطفال في جلستهم، وواصلت جريس قِصَّتَهَا.

المدينة التي اختفت

في تابوت زجاجي بجوار عرش الملك، ترقد أجمل فتاة رأتها عين إنسان من قبل: بشرتها بيضاء كالثلج، شفاتها حمراوان كالدم، شعرها أسود كجناح غراب نوحى. رقدت مرتاحة في التابوت، ساكنة كدمية سرفية، لا تدري شيئا عن الأحداث الجسيمة التي تزعج العالم.

كريبييك! كريبييك! صرت الأرض وهي تنشق. امتطى دايمون جواده وسار به على حافة الشق مع مستشاريه. راقب نصفي بانجيا وهما يتعدان عن أحدهما الآخر مثل حاملتي طائرات عملاقتين. نظر إلى المدرج الممزق والمنازل وهي تتأرجح على الحافة قبل أن تسقط في طي النسيان. بالكاد يمكنك سماع صوتك من الدمة الباطنية للأرض، فيما يتسع الشق ويمتلئ بصراخ الأمواج المتكسرة.

وقف إكسل متجمدا من منظر أكبر خطأ في العالم يجري رسمه.

"هل أنت واثق من أن هذا صدع؟"

"ماذا تقصد؟" سأله دايمون.

"طبقًا لحساباتي هذا مستحيل... مستحيل تمامًا حدوث هذا! مستحيل تمامًا!".

اقترب دايمون من الحافة وألقى بحجر؛ هوى الحجر وهوى وهوى. رأى حشود الناس تتجمع على جانبي الشق. ينظر الأجباء؛ أحدهم إلى الآخر، بشوقٍ شديد، بعد أن فصلهم شقٌّ لا تجتازه سوى الطيور بأجنحتها. رأى الجسورَ العالية تتحوّل إلى مقاليع ضخمة، فيما تتمدّد، ثم تنقطع، قاذفةً بالعابرين سيّئي الحظ على مسافة أميال. نجا المحظوظون منهم بوجود دغل أو ريوّة هذات من وقع سقوطهم، لكن آخرين لقوا حتفهم مرتطمين بالجدران أو الصخور كتحلّة سمينة ارتطمت بلوح زجاجي، ومن سقط منهم في الماء التهمته أسماك القرش الجائعة.

جاء الرسل من جميع الاتجاهات، مُتعرّقين ولاهثين، بعد أن امتطوا أحصنتهم في رحلة إلى الموت.

"جلالتك! لقد انقسمت بانجيا كُلّها إلى نصّفين".

أقزام لثيمون! فكّر دايمون. لقد نجحوا في تقسيم مملكتي رغم كل شيء إذًا!

"وأنا أحمل أبناء مأساوية من الجنوب: لقد اختفت مدينة أوبسيديانا".

"اختفت؟" قال الملك. "إن المدن لا تختفي بهذه البساطة!".

"بل هذا حقيقي، لقد اختفت تمامًا!".

"ماذا عن ناسها؟".

"لا أترّ لهم، سيدي. ماذا نفعل؟".

سرعة، لَفْ دَائِمُونَ نَفْسَهُ بَعْبَاءَ سَوْدَاءَ، وَامْتَطَى فَرَسَهُ. انطلق
 إلى الطريق الحجري عبر الغابة المظلمة التي يعرفها جيدًا، لكنه وجد
 أن يجب أن تكون المدينة في استقباله، مُنِيرَةً وَبِرَاقَةً، بحرًا هَائِجًا
 ؛ نَسْبُ غَوْزُهُ. نظر من بوابات المدينة المشدودة ولم يَرَ سوى الفراغ.
 ساقط الصخور من قشرة الأرض وتبرز منها جذور الأشجار كأيدي
 سال يغرقون. تراجعت الفرس، تسهل، توازن نفسها بحرص على
 الهمة الجرف، فرك دَائِمُونَ عَيْنِيهِ لَا يَصْدُقُ مَا يَرَاهُ. كان يجب أن
 يكون قَلْعَةً هنا، مدينة مزدهرة يتصاعد الدخان من مداخنها. كان
 ب أن يسمع صياح الباعة المتجولين في الشوارع، وضحك الأطفال،
 ورائيم الرهبان. انبعت رائحة كريهة من المياه، وحاول دَائِمُونَ الْأ
 نَهْرُ فِيمَا قَدْ يَكُونُ سَبَبِهَا. اختلج وجهه، وجَزَّ عَلَى أَسْنَانِهِ. كيف
 الأرض أن تَنَشَقُّ فَجْأَةً هَكَذَا؟ تَذْكَرُ نَبْوَةَ سَيِّدَةِ الشَّمَالِ الْغَرِيبَةِ الَّتِي
 «زَت فِي حَفْرَةٍ فِي الْجَلِيدِ وَهِيَ تَصِيحُ مَا يَزِيدُ عَنْ حَدِّهِ يَنْقَلِبُ
 امْدَهُ! سِيَهْزَمُكَ الزَّمَنُ! هل تَأْمَرْتِ مَعَ الْأَقْرَامِ؟ الزَّمَنُ، الزَّمَنُ اللَّعِينُ!
 حين عاد إلى القصر قابل چاكو، الفيلسوف الحكيم. جلس بجانبه
 وسأله بَقْلِي: "ماذا أفعل؟ كيف لي أن أحلَّ مشكلةً تَعَجَّرُ عَنْ خَلْهَا
 ملايين العقول؟".

"ظَنَنْتُكَ تَرِيدُ أَنْ تَحْكُمَ الْعَالَمَ. هَذَا عَمَلٌ كَبِيرٌ فِي حَدِّ ذَاتِهِ"، قَالَ
 چاكو، وَهُوَ يُدْخِنُ غَلِيُونَهُ بِهَدْوَةٍ. "لَدَيْكَ الْآنَ مَا يَكْفِيكَ فِي طَبَقِكَ".
 "أَيُّ حِكْمَةٍ هَذِهِ؟" سَأَلَ الْمَلِكُ.

"إِنْ كُلُّ مَا أَرَدْتُ فِعْلَهُ هُوَ تَدْخِينُ هَذَا الْغَلِيُونِ"، قَالَ چاكو. "أَرَدْتُ
 مِنَ الْوَقْتِ مَا يَكْفِينِي فَقَطْ لَأَمْضَعَ الْقَشَّ فِي أَيَّامِ الْعَطْلَةِ".
 "أَتَمْنَى أَنْ يَغْرَقَ الزُّمْنُ فِي رَوْثِ الْبَقَرِ!" هَدَرَ دَائِمُونَ.

تَرَدَّدَتِ أَغَانِي الْجِدَادِ فِي أَرْجَاءِ الْمَمْلَكَةِ...

امْتَطَيْتُ فَرَسِي إِلَى الْمَدِينَةِ الذَّهَبِيَّةِ

فِي انْتِظَارِي هُنَاكَ زَوْجَةً وَسَبْعَةَ أَطْفَالٍ

امْتَطَيْتُ فَرَسِي إِلَى الْمَدِينَةِ الذَّهَبِيَّةِ

فَلَمْ أَجِدْ شَيْئًا

لَا شَيْءَ هُنَاكَ

امْتَطَيْتُ فَرَسِي إِلَى الْمَدِينَةِ الذَّهَبِيَّةِ

ضَاعَتْ فِي الْغَابَةِ

وَذَابَ قَلْبِي مَعَهَا

كما اختفت مدينة الحرير من قبل، اختفت كذلك مدينة أوبسديانا، وانقَسَمَتِ الْمَدِينَةُ الذَّهَبِيَّةُ إِلَى نِصْفَيْنِ. حَمَلَ دَائِمُونَ عَلَى كَتْفَيْهِ عِبَاءَ الْعَالَمِ كُلِّهِ. لَقَدْ تَمَزَّقَتِ نِيَابَةُ قَلْبِي بِنَابِ النُّوَالِ ذَاكَ، فَكَّرَ.

عرف العالم أجمع بشأن الشَّقِّ؛ جميع من في العالم، فيما عدا أوبسديانا الجميلة، راقِدَةً فِي تَابُوتِ الزَّمَنِ، عَلَى شَفْتَيْهَا ابْتِسَامَةٌ بَرِيئَةٌ. سُرَّ الْمَلِكُ دَائِمُونَ لِهَذَا؛ أَمْرٌ جَيِّدٌ أَنَّهُمَا لَمْ تَشْعُرَا بِالْخَوْفِ وَلَمْ تَرْتَفِدَا عَاجِزَةً عَنِ النَّوْمِ وَالْأَرْضِ تَهْتَزُّ وَالْعَالَمُ يَنْقَسِمُ. لَقَدْ فَاتَ أَوْبَسِيدِيَانَا لَيْسَ الرُّعْبُ كُلُّهُ فَحَسَبَ، بَلْ أَحْدَاثٌ عَالِمِيَّةٌ تَارِيخِيَّةٌ وَنُدْرُ الشُّؤْمِ أَيْضًا. وَكَمَا فَاتَهَا أَحْدَاثٌ يَوْمِيَّةٌ مِثْلُ نَدَى الصَّبَاحِ، وَنَسِيمِ الْمَسَاءِ، وَالشُّرُوقِ وَالْغُرُوبِ، فَاتَهَا أَيْضًا كَسُوفِ الشَّمْسِ وَالرَّبِيعِ الَّذِي شُوهِدَ فِيهِ سَبْعُونَ قَوْسَ قَزْحٍ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ. فَاتَهَا الْمَصِيبَةُ الْكَبِيرَى، حِينَ اخْتَفَى نِصْفُ الْمَمْلَكَةِ فِي الْأَفْقِ عَلَى نَحْوِ لَا رَجْعَةَ فِيهِ وَصَارَ الشَّقُّ

١٠٤. لم تحضر حين اجتمع سُكَّانُ بانجيا معًا على طول الشاطئ
السهل على كلا جانبي الشَّقِّ. وقفوا يلُوحون بأعلام حريرية وبعيون
السهل فيما تختفي آخر الأبراج وقمم الجبال في الأفق البعيد. افترق
السهل والمقربون، الأصدقاء والأقارب، والجيران الأعزَّاء إلى الأبد.

١٠٥. ابن أوبسيديانا رَقَدَت ساكنةً، بريئة. لا تدري شيئًا عن كونها
مُغْدُو محبوبَّةٌ ومعبودَةٌ الجميع، وعن أنها -بعد ذلك- ستغدو
مُحْتَمَلَةٌ أكثر من الظلَّة نفسها حتَّى.

أوبسيديانا والمثل

كانت بانجيا كُلُّها في فوضى تامّة. صار البقالون لصوفاً، وجامعو المراثيب مُبتزّين، والصيادون قراصنة، وكتائب الجنود غوغاء مُشاغبين. همز الفلاحون حقوقهم وصاروا شحاذين مُتجوّلين بعد أن سُرقت موارثهم ومحاصيلهم. احتاج الملك دايْمون إلى سَحْب جميع موارده لوقف الانزلاق إلى فوضى سياسيّة، لكن الإشاعات المغرِضة قالت إنه فقد صوابه؛ قيل إنه وَقَفَ في أحد أروقة القصر لليلةٍ كاملَةٍ يُحمِلُ في رُكنٍ كَمَن ينظر إلى شبح. ذهب إليه كونسيجليو وسأله:

"إلى ماذا تنظر جلالتك؟".

"ششش! ألا ترى؟" همس دايْمون. "إنه الزمن... اقبضوا عليه!".

كان الحُرّاس يحرسون التابوت على مدار الأربع والعشرين ساعة في اليوم. يُحدّقون كالحمقى في ذاك الجمال البريء؛ لا بُدَّ أنها مُقدّسة، لا بُدَّ أنها من عالمٍ آخر. كان الملك قد أصدر أوامره بمنع إزعاجها. لا

يجب إقلاؤها ولا السماح للزمن بالمرور بها. تجري الشمس في مسارها المعتاد في السماء من الشرق إلى الغرب، لا تدري شيئاً عن البؤس والفقر اللذين ينزلان بالعالم مع كل يوم. كانوا يفتحون التابوت إذا جاء يوم رائع فقط، وكان هذا نادرًا ما يحدث. كان إكسل ومستشاروهم يجتمعون كل صباح للنظر في شأن اليوم ومحاولة التنبؤ بزلزال في الصباح أو غيوم في المساء.

"الطقس مشمس بالخارج"، قال أحد الخبراء ذو لحيّة طويلة. "لكنه عاصف قليلًا..."

"نعم، وربما ليس دافئًا بما يكفي"، قال آخر.

"ماذا عن توقّعات الأبراج؟"

"ليست جيّدةً بشكل خاص"، قال الأول.

"الخلاصة إذًا؟ هل يستحقّ اليوم أن تعيشه؟"

"لا! وفُروه!"

"وفُروه!"

"اليوم المدخّر ربح مؤكّد."

حتى الأيام المشمسة كان يجب أن تكون مُشرّقةً على نحوٍ خاص جدًّا لتُناسبَ أميرةً رفيعةً المقام مثلها. كانوا كلما فُتح التابوت، أسدلوا الستائر الثقيلة على جميع النوافذ المطلّة على الشقّ الكبير. لا يجب أن يذكر أحدٌ شيئًا عن الانقلابات أو أعمال الشغب، أو الأقرام، أو أي شيء آخر قد يعكّر صفو سعادة أوبسيديانا. لا أحد يتحدّث عن الزمن، ما حدث في الماضي أو ما يُخبئُه المستقبل؛ إذ قد تحزن الأميرة إن سمعت عن المناسبات السعيدة التي فاتتها.

لجاوَزَ العالَمَ بأحدائه السريعة أوبسيديانا، وصار الزَمَنُ شيئًا غريبًا
لها، مرسومٌ مَلِكِيٌّ، كان كل يوم من حياتها يجب مَلُوهُ بالأنشطة.
لَا من التجوُّل بلا هدف في القصر كعادتها، كانت تتبع جَدولًا
... ينظّم أدقّ تفاصيل أيامها.

جاء صيف رائع بعد شتاء مظلمٍ ففتحوها التابوت. فركت أوبسيديانا
...ها في مواجهة ضوء الشمس غير المعتاد. قدّموا لها إفطارًا
...حوبًا بأنغام موسيقى مَرَحَةٍ، وكانت بالكاد تُنهي إفطارها حين
...كونسيجليو بسبع فراشاتٍ تُزفِرُ حول رأسه كالتاج. ثم صدر
...بوقٍ، وظهر والدُها بصقره. أطعمت أوبسيديانا الصقرَ حَمَامَةً
...، وسمح لها الملك بارتداء قفّازاتٍ جلدِيَّةٍ لتحمله. كانت مخالِفُهُ
...اذه كالسكاكين. لاحظت أوبسيديانا زَجَلًا يرتدي السوادَ يقف جانبًا
...املًا ساعةً رمليَّةً، ويشير إلى الملك. بدا أبوها قَلِقًا فقالت:
"ما الذي يُقلِّقُ بابا؟"

"أوه، لا شيء، يا حَملي الوديع. كل شيء بخير. كل شيء يزدهر. العالم
...النع."

كانت أوبسيديانا تركض حافيةً القَدَمَينِ نحو حدائق القصر حين
...فابلت ثورديس، التي عانقتُها بحنانٍ. همست أوبسيديانا: "ماذا
...حدث؟ لماذا يتصرّف الجميع بغرابة هكذا؟"

"لا شيء"، أجابتها ثورديس بشرود. "لم يحدث شيء. كل شيء يزدهر.
...العالم رائع."

رَقَدَت أوبسيديانا في التابوت، وحين انفتح في المرة التالية حَيّاهَا
...يومٌ ربيعيٌّ رائع. فكُتِرَت: ألم يكن صيفًا بالأمس؟ كيف يكون الصيف
...الأمس والربيع اليوم؟ جاءت ثورديس وعانقتها بقوة وحُبٍّ أكثر من
...المعتاد، كأنها عادت لِتَوْها من رحلة طويلة.

"كم افتقدتُكِ يا طفليتي".

"لكنني رأيتُكِ بالأمس فقط!" قالت أوبسيديانا.

"لا عزيزتي، لقد انتظرتُ شتاءً طويلًا جدًا لأراك".

حارت أوبسيديانا. لقد تغيّرت ثورديس. بدا الأمر كأنّ الزهور التي تفتّحت بالأمس قد عادت براعمٍ مُجدّداً. ارتبك تفكيرها: هل فاتتني هجرة الطيور، أوراق الشجر في الخريف، وثلج الشتاء؟

مرّ ذاك اليوم كسابقه، بل كان أكثر تنظيمًا حتى؛ لذلك سقطت أوبسيديانا في النوم مُتعبَةً. نامت طوال الليل، لكنها استيقظت على ضجيج بالخارج. كان الرجل الذي يرتدي السواد ويحمل الساعة الرملية يقرع جرسًا ويصيح: وقُروا الوقت! وقُروا الوقت!

رغّصت الجليسات اللاتي يقفن في انتظار الأوامر إلى القاعة، وساعدن أوبسيديانا لترقّد في التابوت مُجدّداً. جاء اليوم التالي بعد ذلك بدقيقة. إنه الصيف الآن، وكورال كامل يقف في انتظارها ليغني لها عيد ميلاد سعيد.

"عيد ميلاد؟" قالت. "ألم أحتفل بعيد ميلادي قريبًا؟".

لكنها لم تجد الوقت للتفكير في هذا؛ إذ وصل أبوها يحمل كعكة عيد ميلاد ضخمة فنسيّت كلّ شيء في غمرة الفرح.

كانت تشعر بما يشبه دوار البحر للطريقة التي يتغيّر بها شكل الجميع. بدت وجوه البعض كأنها من خزف، ووجوه آخرين كأنها قناديل البحر؛ تتمدّد وتنقبض. كان كلُّ المقربين منها يتسمون، لكنهم، ومع أنهم لا يقولون شيئًا عن ذلك، بدوا جميعًا قلقين؛ لاحظت أنهم يُحدّقون فيها لكنهم يتجنبون النظر في عينيها مباشرة.

"إن أوبسيديانا عجيبة، تنظر إليّ كأنني قد اكتسبت وزنًا"، همّست إحدى الجليسات وهي تأوي إلى فراشها.

قالت أخرى "إنها تنظر إليّ كأنها تُعَدُّ تجاعيد وجهي".

رغم الأيام السعيدة وكثرة ما يجري فيها، افتقدت أوبسديانا
سنة باندتها. كانت الباندا تنكمش في ركن حين تقترب منها الأميرة.

قالت أوبسديانا: "أوجد حَظَبَ ما، باندي العزيزة؟". لكن الباندا
لم تستظهرها وزامت.

ذهبت أوبسديانا إلى البركة في حدائق القصر، حيث كان جاكو
العجوز يجلس على دكة. جلست بجواره، فكرت بعُمق، ثم قالت:
"إن اليوم عيد ميلادي مع أنني احتفلت به منذ وقت قريب. لم
أندأعرف كم أبلغ من العمر. هل تعرف كم عمري؟".

لكن جاكو العجوز لم يسمع ما قالته. نظرت إليه. بالكاد تعرقت
على العجوز المخدوب، ذي الوجه المتغضن، الذي أشرق بابتسامة حين
أجاب. كررت أوبسديانا سؤالها بصوت أعلى. أغمض جاكو عينيه، وقال
بصوته الحكيم: "لا تحتفظ بأي شيء أبداً. أعط الخبز ساخناً، والزهرة
مفتحة. الملل يُفسد السعادة".

لم تقتنع أوبسديانا بتلك الإجابة فركضت إلى مربيتها.

سألها: "كم عمري؟".

قالت ثورديس: "ماذا تقصدين؟".

"لقد احتفلت بستة عشر عيد ميلاد، لكنني لم أعش ستة عشر
عاماً. لم يمر سوى أيام قليلة فقط بين عيدَي ميلادي: الرابع عشر
والخامس عشر، ولا أتذكر صيفاً حين كنت في الثالثة عشرة. جميع
الأيام الأخرى اختفت".

"أنا لا أعدُّ الأيام، لكن لا بُدُّ أنك في الثانية عشرة من عمرك أو
الثالثة عشرة. عليك أن تسألني إكسل. إنه يسجل كل شيء". استدارت

أوبسيديانا، هَمَّت بالركض على الفور، لكنها سمعت ثورديس تَسْأَلُ
في سِرِّهَا.

سألته أوبسيديانا: "ما الأمر يا مُرَبِّيَّتِي العزيزة؟".

"أنا أكره تابوت الزمن هذا"، قالت ثورديس. "أظنُّ أنه لن يجلب
أيَّ خيرٍ".

جنهليد

جاء اليَوْمُ الَّذِي اتَّخَذَ فِيهِ الْمَلِكُ مَلِكَةً جَدِيدَةً: مِنْ أَصُولِ نَبِيلَةٍ،
أَنْتِ جَنْهَلِيدٌ جَمِيلَةٌ وَحَكِيمَةٌ، تَتَحَدَّثُ إِحْدَى عَشْرَةَ لُغَةً، يُمْكِنُهَا
الرَّقْصُ وَالْغِنَاءُ وَالْعَزْلُ، وَالْأَهَمُّ مِنْ كُلِّ هَذَا: كَانَتْ تُوَافِقُ الْمَلِكَ فِي كُلِّ
شَيْءٍ؛ جَعَلَهَا إِكْسَلُ تَجْتَازُ اخْتِبَارًا خَاصًّا لِلتَّأَكُّدِ مِنْ هَذَا.

عُقِدَ الزَّوْجُ فِي أَجْوَاءِ مِنَ الْأُبْهَةِ وَالرَّسْمِيَّةِ الْفَخِيمَةِ، وَاحْتَفَلُوا بِهِ
فِي جَمِيعِ أَرْجَاءِ الْمَمْلَكَةِ بِالْمَوَاكِبِ وَالْمَوْسِيقَى. ظَلَّتْ أَوْبَسِيدِيَانَا طَوَالَ
حَفْلِ الزَّفَافِ تَبْتَسِمُ فِي تَابُوتِهَا ابْتِسَامَةً وَاسِعَةً مِنَ الْأُذُنِ لِلْآخَرَى.

"انظري كَمْ هِيَ سَعِيدَةٌ"، قَالَ الْمَلِكُ.

"نَعَمْ"، قَالَتْ جَنْهَلِيدٌ بِتَرْدٍ. "لَكِنْ أَلَنْ تَفْتَحَ التَّابُوتَ؟"

"لَا، الْوَقْتُ لَيْسَ مَنَاسِبًا. أَتْرِينِ كَمْ هِيَ سَعِيدَةُ الْآنَ: سَيَكُونُ مِنْ
الْعَارِ أَنْ نُعَكِّرَ صَفْوًا سَعَادَتِهَا بِمُفَاجَأَتِهَا".

لمعت عينا جنهليد بنظره غريبة.

"معك حق، لنتنظر الوقت المناسب".

كانت ثوردريس في الحفل، تبدو غيمية مُثقلَة بالرُّعد. واجهه إكسل قائلة: "يجب أن تعيش أوبسيديانا حياتها، هي أيضًا! يجب أن تكبر. في البدء تقول إنه لا طفل يستحق صداقتها، والآن ليس الوقت المناسب لتقدمها للملكة الجديدة؛ أين الأصدقاء الذين وعدتها بهم؟" "إنه ليس أمرًا سهلًا"، قال إكسل بجفاء، "لكننا لو كُنَّا سمحنا لها بكسب أصدقاء من قبل؛ لصاروا الآن أكبر منها بكثير. كانوا سيفترقون في جميع الأحوال لأنهم كبروا بعيدًا عنها".

شحب وجه ثوردريس. لم تكن قد فكرت في هذا.

"هذا مُريع"، قالت. "أقول إنها لن تعرف معنى الصداقة أبدًا؟".

"أتظنين أن الصداقة المؤقتة أهم من الخلود؟ أتعبرين الصداقة أهم من الحياة نفسها؟".

"لقد فقدتم صوابكم جميعًا! لم يعُد بإمكاني التحدُّث معها عن العالم. كيف لي أن أربي طفلة رُويتها للعالم مُصلَّة؟ كيف ستخلف أوبسيديانا والدها على العرش إن لم تدر شيئًا عن كيفية سير العالم؟". "إنها ليست في حاجة لمعرفة شيء"، قال إكسل. "سيحلُّ الملكُ كُلُّ شيء قبل أن تجلس على العرش".

"لن يعيش الملك إلى الأبد!".

"لكنها ستفعل، إن لم تُهدِر وقتها في أمورٍ تافهة"، قال إكسل بهدوء.

هزَّت ثوردريس قبضتها نحوه. "لقد حدَّر الأقرام من هذا! لم يستخدموا التابوت لحفظ أنفسهم! قالوا إن استخدامه يتطلب حكمة".

المولين إن الملك تنقصه الحكمة؟" قال إكسل حانقًا. اندفعت
...س تخرج من الغرفة، تَعْضُ شَفَتَهَا وتحاول حبس دموعها.

سين فتحوا التابوت بعد الزفاف كانت جنهليد قد سافرت ولم
... مسموحًا لأحد بذكر شيء عنها. تسللت أوبسيديانا أثناء عرض
...رك وعاتت إلى غرفتها، حيث جلست تَقْلُبُ صفحات يومياتها.
...صانع الكتب الملكي يصنع لها مُجلدًا جديدًا كُلَّ عام، بجلدٍ تماش
...سر وكغيبٍ ذهبي. امتلأت يومياتها القديمة بتدويناتٍ حتى يوم
...ول التابوت، كانت تدوينتها مُوجزةً للغاية:

كان اليوم رائعًا، جاء بعض الأقزام لزيارتنا و جلبوا تابوتًا سحريًا...

ثم فجوات، والمزيد من الفجوات، ثم عام كامل تقريبًا خالٍ تمامًا.
...ذلك يوجد مُجلدان، لم تكتبُ فيهما سوى عن يومٍ ربيعيٍّ واحدٍ،
...يوم عيد ميلادها. هل فقَدتِ كُلَّ الأيام الأخرى؟ أخرجتِ أحدث
...اليد، وكتبتِ في المكان الصحيح:

الأيام عجيبة. كان أمس صيفًا، واليوم كذلك أيضًا، لكنه ليس
الصيف نفسه! لقد وضعت علامة على إحدى أشجاري وقد نمت
...طول قَدَمٍ كاملة. لكن الجميع يتظاهرون بأن كل شيء طبيعي. أشعر
أن الجميع منزعجون قليلًا. حين احتضنتني مُرَبَّتِي رأيت خطأ جديدًا
على جبينها. كانت عيناها دَامِعَتَيْنِ وهي تخبرني أنها افتقدتني كثيرًا.
لكن كيف لا افتقدها أنا؟ لقد رأيتها منذ دقيقة واحدة فقط!
أما هي فظلت تنتظرنِي لعام كامل، مع أنها لا تتحدث عن الأمر.
احتفلتُ بعيد ميلادي "بالأمس". احتفلتُ أيضًا بعيد ميلاد آخر منذ
أيام قليلة. لا أفتقد أحدًا ولا أحلم بشيء! أنا حائرة. ما "الزمن" حقًا؟
ما الذي يُحوّل جِروًا إلى كلب كبير، ويسحب البراعم الخضراء من
البذور ليحوّلها إلى أشجار ضخمة في لمح البصر؟ ويعاملُ العجائزَ بتلك
القسوة فيجعلهم يَتَفَتَّتون ويموتون؟

قَلَّبَتْ فِي الصَّفَحَاتِ الْخَالِيَةِ وَسَالَتْ دُمُوعَهَا عَلَى خَدَّهَا. شَعْرًا
أَنَّهَا رَأَتْ أَبَاهَا كُلَّ يَوْمٍ، لَكِنَّهَا عَرَفَتْ مِنْ يَوْمِيَاتِهَا أَنَّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ
سِوَى فِي مَنَاسِبَاتٍ قَلِيلَةٍ كُلِّ عَامٍ. لِمَاذَا يَحْرَمُهَا مِنْ نَصِيْبِهَا فِي وَقْتِهَا
تَدْفُقُ دُمُوعَهَا وَسُمِعَ بِكَأُوهَا فِي الرُّوَاقِ بِالْخَارِجِ. زَادَ التَّوَثُّرُ فِي الْقَمَرِ
هَلِ الْأَمِيرَةُ الْخَالِدَةُ تَعِيْسَةُ؟ مَاذَا حَدَثَ؟ أَحْطَرِ الْمَلِكُ.
"لَا تَبْكِي يَا ابْنَتِي الْعَزِيْزَةُ. أَنَا أَعْرِفُ أَنَّ هَذِهِ أَوْقَاتٌ غَرِيْبَةٌ."
"نَعَمْ".

"لَكِنِ الْأُمُورُ سَتَتَحَسَّنُ. سَوْفَ تَرْتِثِينَ عَالَمًا تَسْتَحْقِيْنَهُ. لَكِنِ لِيَحْذَرُوا
هَذَا عَلَيْنَا أَنْ نَذْهَبَ فِي رِحْلَةٍ طَوِيلَةٍ إِلَى أَقْصَى غَرْبِ الْمَمْلَكَةِ."
"رَائِعٌ!" قَالَتْ أَوْبَسِيْدِيَانَا وَهِيَ تَلْفُ ذِرَاعِيْهَا حَوْلَ عُنُقِهِ. "رِحْلَةٌ
طَوِيلَةٌ!"

هَزُّ الْمَلِكِ رَأْسَهُ وَعَادَ لِلْخَلْفِ قَلِيْلًا لِتَتْرَكَهُ أَوْبَسِيْدِيَانَا.
"لَيْسَ نَحْنُ أَيُّهَا وَأَنْتِ"، قَالَ؛ "بَلِ نَحْنُ أَيُّهَا، الْجَيْشُ وَرِجَالُ
الْقَانُونِ. سَتَكُونُ رِحْلَةً مَحْفُوفَةً بِالْمَخَاطِرِ. لَقَدْ بَنَيْنَا السَّفْنَ الَّتِي
سَتَبْحَرُ بِنَا عِبْرَ الشَّقِّ. لَمْ يَفْعَلْ أَحَدٌ هَذَا مِنْ قَبْلِ."
"أَيُّ شَقِّ؟"

"إِنَّهُ لَا شَيْءَ لِتَقْلِقِي بِشَأْنِهِ"، قَالَ الْمَلِكُ. "مَجْرَدُ شَيْءٍ مَا يَحْتَاجُ
لِإِصْلَاحِهِ".

سَأَلَتْ أَوْبَسِيْدِيَانَا بِحُزْنٍ: "كَمْ سَتَطْوِلُ الرِّحْلَةُ؟".

"عَامَانِ عَلَى الْأَقْلِ".

بَدَأَ لَهَا أَنْ كُلَّ شَيْءٍ يَتَحَوَّلُ إِلَى الْأَسْوَدِ، وَالْغَضَبُ يَعْصَفُ بِرَأْسِهَا. لَقَدْ
انْتَضَرَّتْ طَوِيلًا بِمَا يَكْفِي. لَقَدْ وَعَدَهَا بِالْوَقْتِ، وَعَدَهَا بِزِيَارَةِ بَسْتَانَ
الْغَابَةِ، بِالسَّفْرِ حَوْلَ الْعَالَمِ. ظَلَّتْ طَوَالَ حَيَاتِهَا تَحْلُمُ بِأَنْ يَكُونَ لَدِيْهَا

«أه، مَرَحِين، برؤية الأبراج النحاسية المصقولة، الحقول الخضراء،
الأمينة وحيدة القرن في مراعيها، وعبور الجسور أعلى بحيرات مليئة
بالحب».

«الملك وعدتني!» قالت باكيةً. «كان علينا زيارة مدينة أوبسيديانا
الآن، عدت».

«أوجد مشكلة صغيرة هناك»، قال دايمون بترددٍ.

«الهد وعدتني بأن كل شيء سيكون رائعًا بعد أن تغزو العالم!».

«أنت تعرفين التابوت. إن عامًا كاملًا بالنسبة لي ليس سوى دقيقة
واحدة بالنسبة إليك. أنا من سأفتقدك؛ أما أنتِ فلن تلاحظي غيابي
أبداً. سوف نغلق التابوت وقبل أن تدري ساكون قد عدتُ إليك».
قال الملك جبينها وقال: «تذكّري جيّدًا: سترى أحدنا الآخر خلال
السنين!».

وهكذا اصطَحَبَتِ الجليساتُ اللاتي يَقِفْنَ في انتظار الأوامر أوبسيديانا
ال، التابوت، الذي كان يلمع كقطرات الندى على خيوط عنكبوت في
سماع خريفي. تنفّست أوبسيديانا بعُمقٍ وقلقت آخرَ لحظاتِ يومٍ آخر
من أيامها سيمضي بلا رجعة. بالخارج كانت الشمسُ ساطِعَةً، وطائر
منونو يحطُّ على فرع شجرة ويُغرّد، وذبابة تَبْرُزُ. رَقَدَتِ في التابوت
والهَمَّضَتِ عينيها.

«لا ابتسامة؟» سألتها أبوها.

مَنَحَتِ ابتسامَةً خفيفةً تجمّدت على شفيتها وغطاء التابوت
انغلق. جعل الملك إكسل وجنهليند يُقسِمَانِ على ألا يَدْعَا أي شخص
بزعج راحة الأميرة. لأن قلبها الرقيق لا يتحمّل النُدَمَ والقلق.

رَقَدَت أوبْسِيدِيَانَا فِي التَّابُوتِ مُجْمَدَةً فِي الزَّمَنِ، كَذِبَابَةٍ دَاخِلًا،
قِطْعَةً كَهْرْمَانٍ. بَشَّرَتْهَا بِيضَاءِ كَالثَّلْجِ، شَفَتَاهَا حَمْرَاوَانِ كَالدَّمِ، شَعْرُهَا
أَسْوَدٌ كَجَنَاحِ غُرَابٍ نُوحِيٍّ.

رَقِيقَةٌ كَطَائِرِ السُّنُونُو

وَدِيعَةٌ كَالْحَمَلِ

جَمَالُهَا الذُّهْبِيُّ يَسْحَرُ الْعَالَمَ كُلَّهُ.

وِلادَةُ رَبِّيةِ

انصبَّ الزَّمَنُ على التابوت كالسَّلَال. حاول النفاذ من سُقُوهِ
متناهية الصُّغَر، لكن أصغر جُزءٍ من الثانية لم يستطع المرور. أثناء
ذلك، كان الملك يُجِرُّ عَبْرَ الشُّقِّ العظيم، الذي صار الآن مُحِيطًا
شاسِعًا. عَبَرَ إلى ما وراء الجبال الشاهقة بجيشٍ من عشرة آلاف رجلٍ
لُويٍّ، واجتاز الصحاري ليخوض ساحات الحروب، تاركًا قصره بين
يَدَيِ إكسل والملكة جنهليد. كانت الملكة أثناء غياب الملك تقضي
وقتها في إقامة مآدِبَ للنُّبلاء، الذين كانوا يأتون إلى القصر جماعاتٍ.
كان الضيوف الأرسقراط يشهقون دهشةً حين تقودهم إلى القاعة
التي يقبع فيها التابوت كَبْلُورَةٍ كبيرة.

"يا لجمالها! إنها كما كانت وهي في الرابعة من عمرها. كيف
يمكن هذا؟".

جاء الحُكَماءُ من مختلف أنحاء العالم ليشهدوا تلك الظاهرة.

"أين رُوْحُهَا وهي ترقد في التابوت بمنأى عن الزمن تمامًا؟" كانوا يسألون.

"لا بُدَّ أنها مع الآلهة"، قالت جنهليد. "إنها الإجابة الوحيدة الممكنة".

ذُهِلَ الْحُكَمَاءُ.

"مع الآلهة؟".

"بالطبع. كيف إذاً ستتحرَّر من الزمن؟ لقد وضعتُ قِلاذَةً ذهبيةً على غطاء التابوت، وطلبتُ منها أن توصلَ أمنيَّتِي إلى الآلهة. وقد تحقَّقت أمنيَّتِي فاكتشفت القوى العلاجية للتابوت".

"حقًا؟".

"نعم، لقد شَفِيَّ مِرْقَافِي من إصابة التنس حين لمسْتُ الغطاء".

"هل لي أن أجربَه؟" سأل أحدُ الحكماء.

"يمكنك هذا"، قالت جنهليد، "لكن الأميرة تشفي من يُسَعِدُهَا فقط. سيكون عليك تقديم جوهرة أو شيءٍ ما تمنحه؛ لِثَبِيَّتِ صِدْقِ نَوَايَاكَ".

انتشَرت تلك الحكايات عن المعجزات في أنحاء المملكة كالنار في الهشيم. وضع شابٌ خاتمًا ذهبيًا على غطاء التابوت وسأل أوبسيديانا أن توصل رسالته إلى آلهة الحُبِّ. وفاز بالفتاة التي أحبَّها. وضع آخَرُ عمَلاتٍ فضيَّةً وطلب أن يسقُطَ المطر. ونال مُرادَه. طلبت امرأةٌ من آلهة الخصوبة أن ترزقها بطفل؛ فَوَلَدَتِ توأمًا. كان من الواضح حاجة الناس في بانجيا إلى المعجزات... كان الأرستقراط ينتظرون صفوفًا أمام القصر لزيارة التابوت، وسرعان ما أراد عامَّةُ الناس السماعَ لهم بالزيارة أيضًا. كان الشُّقُّ الذي قَسَمَ المملكة إلى نصفين رمزًا لشيءٍ ما

١٠١ بكثير، لنبوءات ستتحقق قريبًا. ربة جديدة يمكنها التقدّم بالعالم
ال معصر جديد.

جال الملك دايمون وجيشه حول أراضيه المنقسمة، يريد إعادة
١٠٢ حيد بانجيا مرةً أخرى، ضمّ إلي جيشه من فقدوا كل ما لديهم في
١٠٣ مار مياه الشق، قمع المتمردين، وألقى القبض على مُثيري الشغب
١٠٤ من يحاولون إشعال الفتن، قيّد أمراء وملوكًا صغارًا أشقياء،
وأعادهم إلى المدينة في الأغلال.

كان حينها أن ظهر أرشن، زعيم مجموعة متمردين. بعد حصار دام
١٠٥ مدة أسابيع استسلم أرشن للملك. طارذته الكلاب البوليسية الشرسة
١٠٦ سى البحر، وسحبته عجول البحر في عرض المحيط إلى بارجة، وفي
١٠٧ النهاية زحف، متورم القدمين، طوال الطريق إلى بوابات القصر حيث
١٠٨ انضم إلى مجموعة الأمراء وقادة الثورات المهزومين. تمّ ربطهم جميعًا
١٠٩ معًا، واقتيدوا إلى القاعة التي ترقد فيها الأميرة الخالدة في تابوتها. ركع
١١٠ الأمراء أمام جمالها ذاهلين، وفهموا على الفور أن دايمون يتمتع بقوى
١١١ خاصة غامضة. تكوّنوا على أنفسهم على الأرض وتمتموا:

"سامحيننا على تمردنا أيتها الأميرة الخالدة، لا تجعلي إله الرعد
١١٢ بعاقب ناسنا".

"لن تسامحكم إلا إذا غطيتم التابوت بالذهب". قالت جنهليد
١١٣ بهزم.

بمنتهى الطاعة، نزع الأمراء خواتمهم من أصابعهم ووضعوها على
١١٤ التابوت ومعها كل ثمين لديهم. وقف أرشن بجوارهم، ينتظر بهدوء:
١١٥ حين انتهى الأمراء من تقديم قرابينهم وسحبهم الحُرّاس إلى سجنهم،
١١٦ أخرج أرشن من جعبته الجلدية ماسة ضخمة، أكبر ماسة رآها إكسل.

انحنى أرشن بعُمقٍ وتبجيلٍ، وقال: "أنا زي أرشن، وريث عائلة
١١٧ أرشن الكبير من الشرق. لقد أثرتُ تمردًا صغيرًا وتافها، لكنني أدركتُ

الآن أنه مجرد سوء تفاهم، إنه لشرفٍ حقيقيٍّ لي أن أخضع مُجددًا لحُكم بانجيا".

ثم ابتسم، لمعت أسنانه البيضاء كالثلج. بدا كأن التابوت قد نُومه مغناطيسيًا، وسالت دموعه على خدّيه وهو يريح يديه على الغطاء. أغمض عينيه وبدا كأنه يصلي، قال بصوت مرتعش:

"يبدو أنها تريد قولَ شيء ما".

قالت جنهليد: "ماذا؟".

قال أرشن "نعم، إنها تحاول التواصّل".

وناولَ ماسّته لإكسل.

"تُحاولُ التواصّل؟" قال إكسل، وهو يزيّن الجوّهرَةَ براحةِ يده.

قال أرشن: "نعم!"; وعاد يغمض عينيه. ظلّت يدها على غطاء التابوت وهو يركع على ركبتيه قائلاً:

"نعم! سامحيني، جلالتك، سامحيني على التمرّد. لم أقصد مُعارضةَ والدِكِ. أتوسّل إليك ألا تغضبي مني. لقد فهمت الآن! فهمت! لقد تعلّمتُ الدرس".

راقبه إكسل بتركيز.

"الآلهة ليست راضيةً"، قال أرشن بشرود. "إن الأميرة في قاعة ذهبيةٍ تحدّث مع الآلهة؛ يخبرونها أن الناس يُخبئون ثرواتهم. وأن بوسعهم تقديم المزيد من القرابين".

"المزيد؟" قال إكسل.

أغمض أرشن عينيه مجدّدًا وارتعش جسده. كان واضحًا أنه يبذل جهدًا كبيرًا.

"لا يُمكنني هذا".

ارتعش وتَغَيَّرَ صَوْتُهُ فجأة، صار أكثرَ جِدَّةً وطفوليَّة. فتح عينيه
، لم وسعهما، لم يَبْدُ منهما سوى بياضهما، وهو يصرخ نحو جنهليد:
"أنا لستُ راضيةً عنكِ!".

حدقتُ فيه جنهليد مذعورةً.

"أوه، لماذا لا؟ ماذا فعلتُ؟".

"لأن... لأن...".

مسح العرقُ عن جبينه. ثم عاد إلى طبيعته.

قال "لقد فقدتُ التواصُلَ".

"ماذا قالت؟" سألت جنهليد بوجهٍ شاحبٍ كالموتى. "لقد اعتنيتُ
بها جيّدًا، نَظَّفْتُ غطاء التابوت وصَقَلْتُ جَانِبَيْهِ!".

قال أرشن: "هذا لا يكفي. إنها تريد المزيد من القرابين لدعم
مملات أبيها! إنه بحاجة إلى المزيد من الوقت، المزيد من الإمدادات،
المزيد من القُوَّات".

انتصبتُ أذنا إكسل الذي كان يعلم جيّدًا بحجم الفجوة السوداء
في الحسابات الملكية.

"إنها تريد مَقْرًا أكثرَ فَخَامَةً"، واصل أرشن كلامه. "يجب أن تَوْضَعَ
حيث يمكن لمزيد من الأشخاص التَّجْمُع لعبادتها. إنها تريد مَعْبَدًا،
وهي تعرف كيف يجب أن يبدو. أعطني قَلَمًا! بسرعة! بسرعة!".

"أحضروا قَلَمًا وورقة!" صاح إكسل.

أشار أرشن إلى الأمامة وقال:

"إن رَدَدَتْ إليّ أمانستي وأعطيتني المزيدَ يُمكنني أن أبدأ أعمال البناء
غداً".

رسم سريعًا إطارًا عامًا لمبنى. نظر إليه إكسل وجنهل يد بريّة،
فأضاف سريعًا:

"وأحضروا لي كُرّة وأغلاّلاً حديدية. إن أوبسيديانا غاضبةٌ عليّ.
يُمكِنني قراءة أفكارها لكنها تريدني مُقيّدًا دائماً".

بدأ بناء معبد الأميرة الخالدة. حملت الطيور الشرائط الذهبية
لتحديد إطاره الخارجي. حملت الفيّلة أثقال الخشب والرخام. زخرف
الفنانون الجدران. جلبوا أفضل المواد الخام من أبعد أنحاء العالم.
كان أرشن المسؤول عن المشروع، يرتدي عباءة ذهبية مطرزٌ عليها
عند الصدر عينان مغمضتان. يَجْرُ أغلاله الحديدية أينما ذهب، وكان
على أربعة رجالٍ حَمَلُه في موقع البناء.

جلست ثورديس بجوار التابوت تُرَبّت على الباندا. تفكّر في الطفلة
الصغيرة التي كانت تعتني بها، وتفتقدها. مرّ الوقت ببطء كسائل
القطران الأسود. تذكّرت اليوم الذي صارت فيه مُربيّة أوبسيديانا:
يوم أن طرق رجال الملك بابها واصطحبوها إلى القصر، وصدرها مُثقلٌ
باللبن. عرفت أنها لن تعود إلى بيتها ولن ترى طفلها مرّةً أخرى
أبدًا. ركَزَت كُلُّ حُبّها وحنانها على الطفلة، والآن يتضاعف شعورها
بالفقدان.

كان الوقتُ شتاءً، والثلج يغطّي أشجار الكرز، وكانت تتمنى من
قلبها لو ترى الأميرة نُدَفَ الثلج الرائعة. متى كانت آخر مرّة رأَت
فيها الأميرة الثلج؟ لكن سقوط ثلج رقيق ليس سببًا كافيًا لإزعاج
راحتها. ومع ذلك شعرت ثورديس بأمل؛ سرعان ما سيأتي العام
الجديد... ربما سترى أوبسيديانا حينها.

سقط الثلج، ووصل العام الجديد في موعده، كما ظلّ يفعل منذ
بداية الدهر. كان الملك ما زال بعيدًا. دخل الحُرّاس، حملوا التابوت
إلى قاعة الطعام حيث يجلس الجميع إلى مائدة طويلة اصطفّت

أياها أشهى الأصناف. لكن التابوت ظلّ مغلقاً. مجرد قطعة ديكور
مرض خاص. كانت ابتسامة أوبسيديانا الرقيقة تُحرِّضُ ثورديس.

قال أرشن "إنه لشيء رائع أن تكون معنا عشية العام الجديد"،
اصلت أغلاله تحت عباءته الذهبية وهو يربّت على غطاء التابوت
صيف: "يا لها من فتاة مؤدّبة ومُطيعة، صديقة الآلهة".

جاء إكسل يسير في القاعة بخطوات واسعة، بحرّية وثقة؛ لم يُعد
أصناف الخطوط بعد أن غيروا أرضية القصر التي صارت الآن ناعمةً
ولا حُطّ واحد. بدأ يُعدّد بفخر أصناف القرابين التي قدّمها الناس
لأوبسيديانا منذ أن بدأ أرشن قراءة أفكارها.

"زيادة بنسبة أربعمائة وسبعة وخمسين في المائة"، قال إكسل.
"نتوقّع زيادة مثلها مُجدّداً حين يكتمل المعبد". صَفَقَت الجليسات
اللائي يقفن في انتظار الأوامر ورجال يرتدون بذلات مطبوعةً مبرّعاتٍ
ورق الرّسم البياني، بحرارة. نهَضَ أرشن مُجدّداً، ووضع يديه على غطاء
التابوت، أغمض عينيه وقال بابتسامة:

"إن الأميرة الخالدة سعيدة اليوم، وهي تُرسل إلينا بأرْق تحياتها".
انقلبت عيناه في رأسه وهو يقول بصوتٍ حادّ كصوت فتاة:
"عام جديد سعيد، عائلتي العزيزة. أبلغكم تحيات الإلهة".

لم تستطع ثورديس تحمّل المزيد؛ فنهضت، وقالت:

"لم يُقل الأقرام أيّ شيء عن الاتصال بالآلهة، كما لم تتحدّث الأميرة
أوبسيديانا عنها من قبل قط! بل لقد حدّرنا الأقرام من التابوت!".

"كيف تجرّئين على التشكيك في تواصلها مع الآلهة!" صاح إكسل.
"إن الأميرة الخالدة هي قلب بانجيا النابض. لولا القرابين التي يأتي
بها الناس إليها لكان الملك دايّمون الآن بلا أسلحة ولا إمدادات. لقد
جاءت إلينا في لحظة فارقة في الزمن".

قالت ثورديس بِغُصَّةٍ فِي حَلْقِهَا: "أَلَا يُمَكِّنُنَا إِخْرَاجُهَا لِبَعْضِ الْوَقْتِ؟
إِنهَا عَشِيَّةُ الْعَامِ الْجَدِيدِ، رَغْمَ كُلِّ شَيْءٍ".

قال إكسل بجفاء:

"أتريدين رؤيتها حزينةً بلا دواعٍ لغيابِ أبيها؟ أأنتِ على استعداد
لإخبارها بأن الملك في الشمال بعيدًا خلف السبعة جبال والائنتي
عشرة صحراء؟".

سكتت ثورديس. نظرت لأسفل في طبقها لا تعرف ماذا تفعل.

تحدث أرشن بصوته الآن: "لماذا هذه المرأة هنا؟" سأل بنيرة أمرة
وهو يشير إلى ثورديس. ثم استدار إلى الجمع. "هل يسري الدم الملكي
في عروقها؟ أنا مُقَيَّدٌ بالأغلال مع أنني من النبلاء. هل يمكننا تحمّل
نفقات مُربّية لا تفعل شيئًا؟ أيها الخدم! ها هي امرأة عاطفة عن
العمل!

ناول أحد الخدم ثورديس مِلعقةً خشبيةً وقادها لأسفل إلى المطبخ.
ظلت الابتسامة الغامضة المجمدة على شفتي أوبسيديانا من خلف
غطاء التابوت الكريستال المغزول من حرير العنكبوت. راقب الخدم
ما يحدث ولم يستطيعوا سوى التفكير في أنه: لماذا لا تطلب الأميرة
مُساعدة الآلهة وهم يرسلون مربيّتها الباكية إلى المطبخ للأسفل؟

ارتفعت أبراج المعبد في الميدان، مكسوّة بالرخام الأسود اللامع،
والحديد الصلب الممتاز، والزجاج النقي. كل يوم يحملون أوبسيديانا
عبر الميدان إلى المعبد في موكب يقوده أرشن. ينتظرهم هناك طابور
لا نهاية له من الملتصين الذين أتوا بقرايبنهم ومشاكلهم الطارئة
يريدون من أوبسيديانا حلّها.

أغنياء وفقراء، يُتَمَتِّمون بصلواتهم ويلمسون غطاء التابوت على أمل الشفاء من الروماتيزم، سَلَّلِ الأطفال، أمراض الرئة، عِلَلِ ذَهْنِيَّةٍ، الجُدَامِ والسُّلِّ؛ على الجميع أن يلمس غطاء التابوت ولو مَرَّةً واحدة على الأقل في العمر. من حينٍ لآخر تَظْهَرُ باندا حمراء عجوزٌ تجلس مزيَّنَةً على سطح المعبد.

وهكذا مرَّت الأيام، اكتست بساتين الكرز باللون الوردِي، ثم اكتست به مَرَّةً أُخْرَى في العام التالي، فيما الملك الذي لا ينام يقود فُؤَاتِهِ وقطعانَ حَيَوَانَاتِهِ عَبْرَ الغابات والمستنقعات في الجو البارد والعار، بطول الشَّقِّ كُلِّهِ، في كفاحه الأبدي لإعادة توحيد مملكته.

ظَلَّت أوبسيديانا تبتسم ابتسامَتَهَا البريئة، لا تدري شيئًا عن سنين كثيرة مرَّت منذ رحيل الملك، ولا تدري شيئًا عن مُرَبِّيَّتِهَا العزيزة الحنون التي تُقَشِّرُ البطاطس في قُبو رطب.

كان يومًا مُشْرِقًا ومُشْمِسًا حين أغلق أبوها التابوت قبل تلك السنين وودَّعها قَانِلًا: "عامان بالنسبة إليّ أنا؛ دقيقة واحدة فقط بالنسبة إليك".

انفتح التابوت مَرَّةً أُخْرَى بعد دَقِيقَةٍ، أو هكذا بَدَت لأوبسيديانا. كانت ليلَةً قَارِصَةً البرودة وداعِبَ وَجْهَهَا هَوَاءٌ بَارِدٌ. حَاوَلَتْ عيناها الاعتيادَ على الظلْمَةِ. هل عاد بابا؟ فَكَّرَتْ. لكن قبل أن تَفْوِّهَ بكلمة، ظهرت يدان صغيرتان في الظلام وأمسكتا بعنقها وحاولتا خَنَقَهَا.

الصراع مع الوحش

كان الوقتُ مُنتصفَ الليلِ، والقمرُ يُلقى بنورِ باهتٍ في القاعة. الممخت أوبسيديانا لتلتقط أنفاسها، لكنَّ المخلوقَ المجهولَ أحكم أنفسته على عنقها. أخيراً استطاعت أن تتركَّله بقوة فسقط على الأرض، ممجَّة. نهضت على قدميها ونظرت حولها. كانت حافية القدمين، هارت بحذرٍ شديد على الرُخام البارد كأنها تتوقع وجود زجاج مكسور أو حيوان ما قد يقرض أصابع قدميها. ذهبت خلف التابوت وقلبها يدقُّ بقوة، وتوقفت لتسمع إن كان شخصٌ ما خلَّفها.

"مَن هناك؟" همست.

أرادت أن تصرخ، لكنها كانت مذعورة. اندفع شيء ما داكناً، انفريت صغير، ماراً بها، واختفى خلف الستائر الثقيلة في الركن. أكرت بينها وبين نفسها "أيُّ شيطان هذا الذي كان يُحاول خنقي؟ احسست عنقها، واكتشفت اختفاءً قلاذتها... قلاذة والدتها! الآن هي لاضبة. اندفعت نحو الركن. سمعت صوت حشاشة واستطاعت

تابوت الزمن | 117

أن تلمح قَدَمًا على وشك الاختفاء في فتحة صغيرة في إطار النافذة، خلف الستائر. سَحَبَتِ المخلوق لِتُعِيدَهُ إلى الغرفة كأنه ظِلُّهَا، لكن الظل استدارَ وهاجمها. لمحت القلادة فأمسكت بسرعة باليد التي تُمسك بها، لكن المخلوق كان مَرِنًا كَقِطٍ فَعَضَّ ظَهْرَ يَدِهَا. صاحت أوبسيديانا بألم. أمسكت بزاوية فَمَّ مُهَاجِمَهَا وسحبته للخلف من خَدِّه، فقط لتتلقَى ركلةً قويةً في ظهرها. صرَّخت، لكنها أمسكت بحفنة من شعره الملبَّد. كَفَّ المخلوق عن الصُّراع بأنَّيْنِ يُمَزِّقِ القلب. انتهزَت أوبسيديانا الفرصة وطَرَحَتْهُ أَرْضًا وثبَّتته هناك. وَجَدَتِ نفسها تنظر إلى وجهٍ قَدِيرٍ لَوْنُهُ صَغِيرٍ، كان عَابِسًا ويكافح لتحرير نفسه. صفعته على وجهه، فحاول أن يَرُدَّ لها الصَّفعة بيده الحُرَّة فصاحت: "يا حُرَّاس! يا حُرَّاس!"

قال الولد مرعوبًا: "لا! لا تصيحي أرجوك!"

شعرت بقلبه يَدُقُّ بِقُوَّةٍ في صدره كطائر سَقَطَ في فُحٍّ. خرجت أنفاسه شَهَقَاتٍ وهي تصيح مُجَدِّدًا: "يا حُرَّاس! يا حُرَّاس! النجدة!" قال الولد باكئًا: "سيقتلونني!"

حدَّقَ فيها بعينين متوسِّلَتَيْنِ وهمس: "لا تناديهن، سيقتلونني!" "لا، لن يقتلوك."

"بل سيقتلونني، صدِّقيني!"

لم تظهر أيُّ بادرة على مجيء الحُرَّاس، بدا أنهم يَغْطُونَ في النوم بالزواق في الخارج.

"أيُّها الشيطان الصغير. كنتَ ستسرق قلادتي. القلادة التي تَرَكْتَهَا والدي لي! سيكون جزاءُ حَقًّا لك إن قتلوك!"

صَفَعَتْهُ مرَّةً أُخْرَى، بقسوة حَقًّا هذه المرة؛ شعرت أنه يستحقُّ المزيد.

المنه لم يُقاومها؛ ظلَّ يبكي فقط. كانت ما زالت تُثبِّته على الأرض،
١١ها عرفت أنه توقَّف عن المقاومة.

"لُفُّ عن البكاء. أنت لست سوى طفل. إنهم لا يقتلون الأطفال
الهار. سيدفعونك بعيدًا عن هنا فحسب".

قال الولد "لهذا سيقتلونني!".

"لا، سيرسلونك إلى بيتك فقط".

"وسيقتلون الجميع هناك أيضًا!".

نظرت أوبسيديانا حولها تحاول معرفة أين كانت. حدقت في
الاهذة الغربية، فرأت محيطًا وشاطئًا يعلوهما قمرٌ كامل.

"أين نحن؟" سألت. كانت القاعة كما تتذكُّرها ما عدا لوحات
السيفساء الذهبية على السقف: لوحة للأقزام والتابوت السحري،
لوحة لها، ولوحات للآلهة.

"نحن في القصر"، قال الولد.

"ما هذا الصوت؟".

"إنه الموج".

"موج؟".

رُكِّزَت سمعها بانتباه. كان شخصٌ ما ينوح بالخارج، فارتعشت؛ بدا
كبكاء طفل.

"مَن الذي ينوح؟".

"إنها طيور النورس".

طيور النورس؟ فكَّرت. لم ترَ طيور النورس من قبل قط. نظرت إلى
المحيط. بدا كمرآة عملاقة قائمة.

"من أين يأتي كلُّ هذا الماء؟".

"إنَّه البحر. لقد جاء حين تصدَّعت الأرض وانشقَّت المملكةُ إلى نصفين"
حاولتَ فهمَ ما كان يقوله، ما زالت تُمسِكُ به بقوة.
"ما اسمُكَ؟".

"أنوري".

لاحظتَ أن عينيه مثبَّتتان على الباب؛ كان يرتعش.
"مَن أرسلك إلى هنا؟".

"لا أحد".

"هل أرسلتكَ عصابةٌ ما؟".

"لا، لقد جنُّتُ وحدي فحسب"، قال بتردُّد.

"في أي موسم نحن؟".

"الرَّبيع".

"أيُّ ربيع؟".

"الرَّبيع وَقَطْ! لا أعرف أيُّ ربيع!".

"أين أبي؟".

"يقول النَّاسُ إنَّه بعيد".

"أين؟".

"في الحرب في الغرب، بالطبع!".

"أهيَّ حربٌ كبيرة؟ كم مضى على دَهابه إلى هناك؟".

"لا أعرف. كل ما أعرفه أن أبي ذهب إلى القتال بعد المعركة مع

التونسيين على السُّهول العظمى".

"هل أبوك جُندي؟".

"نعم، إنه أقوى جندي في العالم كله".

"أوه، وهل هو كذلك الآن، هل يعرف أنك اقتحمت القصر؟".

"لقد ذهب إلى الحرب قبل أن أولد. لم أره قط. أمي فقيرة؛ لذلك
أش مع خالتي بورجيلد منذ أن غادر أبي".

حاولت أوبسيديانا جمع القطع معًا وهي تستمع لما يقوله
أوري. هل انشقت المملكة إلى نصفين؟ هذا المحيط، هذا الماء الذي
أهبأه له؛ من أين جاء؟ حاول الولد التملص من قبضتها، لكنها
لمست على معصميه بقوة.

"في أي عام نحن؟".

"لا أعرف".

"كم مضى علي وأنا في التابوت؟".

"لا أعرف... منذ الأبد. لم أكن أعرف أنك تتحدثين. أنا فقط عبرت
إلهًا قديمًا، ثم اكتشفت تلك القاعة ورأيت القلادة فأردت أن آخذها.
لم أكن أعرف أن بمقدورك التحرك. أرجوك لا تجعلي الآلهة تعاقبني".
نظرت إليه وسألته.

"الآلهة تُعاقبك؟ لماذا تقول هذا؟".

نظر إليها أنوري. هي التي تعرف الآلهة أفضل من أي شخص
آخر تتظاهر بأنها لا تعرف شيئًا.

قررت عينيها. كانت المدينة التي عرفتها منذ طفولتها، وتتوق
لمعرفتها أكثر وهي بنصف حجمها الأصلي الآن- تنتهي عند المدرج
الكبير المستدير، الذي صار نصف مسرح روماني الآن. اختفى الثل

الغربي والسبعة أبراج تمامًا الآن... لم يُعد شيء لرؤيته الآن ما ، القمرَ ومُحيطًا ناعِمًا كالمرآة.

كان القصر صامتًا تمامًا. لن يأتي أحد، فكُتِرَت، لكنها لم تُعد خائفة بعد أن أدركت أنها أقوى من الولد. أبقته مثبتًا بالأرض.

"سأعقد معك اتفاقًا"، قالت. "لئلا أنادي الحُرَّاس".

أوما الولد برأسه.

"هل يمكنني الوثوق بك؟".

"نعم".

"سأدعك تذهب إن وعدتني بأن تأتي لي بأخبار عالم الوقت وأتريني من أين جئت؟".

"حسنًا. لكن ماذا عن الآلهة؟".

"ماذا عنها؟".

"هل سَتُعاقِبُنِي؟".

طفلٌ غريبٌ. فكُتِرَت. يظل يتحدَّث عن الآلهة.

نظرت إليه في عينيه وقالت:

"بالطبع لا. إن وثقتَ فيّ، سأثقُ فيك. هل اتَّفَقنا؟" حَفَقَت من قبضتها بحرص. "سأدعك تذهب الآن إن وعدتني ألا تفعل أي شيء".

"أعدك".

حرزته أوبسيديانا وهي تتوقَّع هجومًا مُضادًا؛ لكن الولد ظل هادئًا. جلس على الأرض، مُتَعَبًا، وَقَرَّكَ معصميه. جلسا صامتين لفترة من الوقت. نظرت أوبسيديانا لوجهه العابس وشعره الأشعث، ملبسه رثة ومُرْقَعَة. لم يَكُن ليجتاز اختبار صدَاقَة إكسل أبدًا، لكنها إذ لم يساعدها أحدٌ في عقد صداقات؛ فَسَتَجِدُهُم هي بِنَفْسِهَا.

الْبَرْجُ

أشار أنوري لأوبسيديانا إلى فَتْحَةِ الإِطَارِ الْمُخْتَبِئَةِ خَلْفِ السِتَانِرِ؛
أراح الستارة جانبًا، فشعرت بنسيم باردٍ على وجهها. راقبته يحرك
أصابعًا خشبيًا أولًا، ثم لَوْحًا آخر، ثم ثالثًا؛ ثم تَكَّةَ حَادَّةً، وَمَدَّ يَدَهُ
مَرَصًا إِلَى أَحَدِ الْجَانِبِينَ لِيَزِيحَ تِرْبَاسًا صَغِيرًا وَيَفْتَحَ نَفَقًا. اسْتَقْبَلَهُمَا
رَدٌّ قَارِصٌ. زَحَفَ أَنْوَرِي لِلْأَمَامِ وَتَبِعْتَهُ أَوْبَسِيدِيَانَا بِحَذَرٍ. تَسَلَّلَ نُورُ
الْقَمَرِ الْبَاهِتِ مِنْ كُوَاتِ الْبِنَاءِ الْحَجْرِيِّ؛ كَانَتْ الرِّيحُ شَدِيدَةً، شَمَّتْ
الْحَمَّةَ رَطُوبَةً وَعَقْنًا وَعَلِقَتْ شَبَكَةً عَنكَبُوتٍ بِشَعْرِهَا. وَصَلَا سَرِيعًا إِلَى
لُحْفَةٍ خَلْفِيَّةٍ لَمْ تَكُنْ قَدْ رَأَتْهَا مِنْ قَبْلِ. نَظَرَتْ أَوْبَسِيدِيَانَا مِنْ كُوَّةٍ
فِيهَا وَرَأَتْ سُلْمًا حَلْزُونِيًّا يَخْتَفِي أَسْفَلَهُ فِي الظَّلَامِ.

قال أنوري "احذري جيدًا!".

حدقت لأسفل، وقلبتها يدق بقوة.

"لم أجيء إلى هنا من قبل"، قالت وهي تحدق في الظلام أسفها
"هل يعرف أحد آخر بهذا الطريق إلى غرفتي؟".
"لا".

"هل أنت متأكد؟".

"العام الماضي تسلل ليص إلى القباب، ثم إلى القلعة. وتم إعدامه
في الميدان".

"أنا لا أصدقك. اللصوص لا يُعدمون".

هز أنوري رأسه. إنها غريبة هذه الفتاة.

"ثم سَدُوا الفجوة التي وجدوها بالطوب، لكنني وجدت ها
الطريق".

فكرت أوبسيديانا أنه ربما يقول الحقيقة.

قالت "أنت تقول أشياء غريبة".

"أنتِ أيضًا تقولين أشياء غريبة. الغريب أنك تتحدثين أساسًا!".

"ليس غريبًا أن أتحدث! بل الغريب أنك تعتبر تحذئي غريبًا!".

لم تعد خائفة الآن. لأول مرة في حياتها لم يكن أحد يُراقبها. ٧
حُرّاس يقفون بالقرب منها، ولأول مرة في حياتها تعرف بوجود مخزج
من القصر. سيُمكنها من اكتشاف العالم.

"بالأسفل هنا يؤدي السلم إلى منجم، لكنه لأعلى يؤدي إلى برج
مراقبة مهجور"، قال أنوري. كانت أغلب درجات السلم مفقودة،
فكان يقفز أعلى الفجوات متشبثًا بالعمود المركزي للسلم، ويدفع
نفسه لأعلى ببطء ليتجاوز الانحناءات الصغيرة وفجوات الدرجات
المكسورة.

"انتظري!" قالت أوبسيديانا.

خلعت رداءها ووضعت بحرص في مكان جاف. ثم احتضنت الامود، وجدت دُعامةً، ودفعت بنفسها لأعلى. كان عليها الإمساك به والاعتیاد على فكرة أنها لو سقطت فلن يوجد حراس لالتقاطها جادة حريرية.

وهكذا تسلقاً لأعلى حتى عادت درجات السلم مرةً أخرى. بعدا في حلزوناتٍ لا نهايةً لها، لأعلى وأعلى حتى خرجا أخيراً إلى سطح مراقبة مهجورٍ له سطح مُستوٍ. توهج المشاعل الليلية على الأمددة الخشبية في جميع أنحاء المدينة. سمعاً غناءً من نُزلٍ بعيدٍ، أدهُ تصيح في زوجها. قعقعةً عربات الخيل على الشوارع المفروشة الحصى، بكاء الأطفال الذين أيقظتهم ضجة العربات، وصياح النساء من يطلقن سبابهن على سائقي العربات. أغمضت عينيها وتنقست الرائحة المكثفة لنيران في الهواء الطلق، خبيزٍ، ولحم مقلي، ممزوجة ببعضها برائحة المجارير.

قالت مبهورةً: "أنا لم أجيء إلى هنا من قبل قط".

قال أنوري "أنا أسكن هناك"، وأشار إلى كتلة مساكن بدت كأكوخ معلقة على مرتفعٍ صخري.

"هل يمكنك أن تُريني المدينة؟"

"لا، لا يمكنك الذهاب إلى المدينة معي".

"لماذا تقول هذا؟"

"لأن الحراس يصحبونك دائماً حين تذهبن إلى هناك".

"لا، أنا لم أذهب إلى المدينة من قبل قط!".

نظر إليها، يحاول أن يفهمها. كيف تقول هذا؟ إنهم يحملونها إلى هناك كل يوم!

قالت "لكنني إن تنكرتُ يمكنني الذهاب إلى أي مكان".

كانت قد اخترعت في ذهنها مائة طريقةٍ للتَّنْكَرِ حين كانت تُهاجِرُ
في التَّسْلُلِ من القصر لمقابلة الأطفال الذين يلعبون خلف جدران
القلعة.

فكَّرَ أنوري في هذا.

قال: "ربما فيما بعد".

"وماذا عن البحر؟ هل يمكنني رؤية البحر؟"

"فيما بعد". سكت فجأةً ورَكَّزَ سَمْعَهُ بانتباه.

"ماذا؟".

"لقد سَمِعْتُ شيئاً ما". بدا مرعوباً.

كان برج الحراسة يُطِلُّ على حدائق القصر والبرج العاجي الذي
وُلِدَتْ فيه أوبسيديانا وماتت فيه والدتها. حدَّقَتْ أوبسيديانا في البحر
في لمعانه الفضيّ كالمراة. صاحت النوارسُ. في الميدان أمام القلعة يوجد
مَبْنَى غير مألوف مزخرف بالذهب.

سألت: "ما هذا المبنى؟".

قال أنوري: "إنه مَعْبَدُكَ!".

قالت -لا تريد أن تبدو غريبةً:-

"أوه نعم، بالطبع. الأمر فقط أنني لم أره من هذه الزاوية من
قبل". حدَّقَتْ في المبنى بذهول، بأعمدته الرخامية وسطحه الذهبي.
فكَّرَتْ في أن بنائه استغرق سنواتٍ بالتأكيد. شعرت بالقلق فجأةً.

قالت: "في أي عام نحن؟ أخبرني بالوقت".

حينها سَمِعَا صوت خطوات الجنود.

إهم يُغَيِّرُونَ الْحَرَسَ"، قال أنوري ونظر حوله. "لا يمكنني البقاء
الأكثر من هذا. يجب أن أذهب".

أدا أدراجهما إلى قاعتهما، حيث نَفَضَتْ عن نفسها التراب وارتدت
أمامها، وقفزت عائِدةً إلى التابوت. سَمِعَا صَجَّةً بالخارج، فسكتا تمامًا.

أدرا أنوري بخوف وقال هامسًا: "يجب أن أذهب".

مذني أن تعود لي بأخبار عن عالم الزمن!".

ملك معصَمِيه وفكَّر قليلاً ثم سأله: "متى؟".

أدرا في ليلةٍ مُقَمَّرَةٍ يُمكننا فيها الرؤية على نور القمر الفضي".

أدرا في أن أثق بك؟" قال. "قد تأمرين الحُرَّاسَ بالقبض عليّ!".

أدرا في أن أثق بك أنت؟". أجابته بحسم.

أدرا إليها، عيناه سوداوان كالليل.

أدرا "أعدك". مدت يدها له، وتَصَافَحَا على الانْفِاق. رَقَدَتْ في

التابوت، وأغلق أنوري الغطاء بحرص. تجمَّدت أوبسديانا، كأنها

تجمَّدت. وأضفى نور القمر لمحةً زرقاءً على بشرتها. كان هذا غريبًا،

أدرا أنوري، وعاد يفتح التابوت بخَجَلٍ.

"مرحبًا أنوري! هل عدت بأخبارٍ عن عالم الزمن؟" قالت بابتسامة.

"أزدت فقط أن أقول وداعًا"، قال وأغلق التابوت مُجدِّدًا. نظر

إليها وضحك... كانت إحدى عينيها نصفَ مُغمَضَةٍ، وفمها ملتويًا،

وأذنت مُرَعَبَةٌ كَشَبَحٍ. فتح التابوت مُجدِّدًا.

سألته أوبسديانا "هل عدت؟".

قال "لا، لكن وجهك كان مُضحكًا. يجب أن تُبدي مثلما كنتِ حين

أنتِ تفتح التابوت. ابتسمي!".

ابتَسَمَت؛ فأسرع يغلق غطاء التابوت ليحفظ أفضل تعبها،
العطلة على وجهها.

ثم سمع أصواتًا تأتي من الرُواق، وأحدهم يُحرِّك قُفْلَ
الباب. اندفع إلى فتحة الإطار خلف الستائر، وغادر القلعة من
دخل. حين وصل إلى الزقاق الخلفي بالخارج نظر حوله به
أحد هناك، فركض في الشوارع المفروشة بالحصي إلى بيته.

كوخ أنوري

المَل أنوري يركض وينعطف حتى وصل إلى سطح كوخه الذي ينام
أ. ه في الصيف حين يكون الجو حارًا بالداخل. ظل ساهراً يستمع
المجاديد وعيراك كلاب الشارع. حدق في السماء المرصعة بالنجوم،
... بحة وبلا نهاية، فكرر في تحذيرات خالته بورجيلد، التي كانت نائمة
أشخر بالأسفل.

"لا تقرب من القصر. الحراس لثيمون. قد يقتلونك لمجرد المزاح. لا
المفت النظر إليك، لا ترفع رأسك، ولا تتظاهز بالقوة. لا تدخل شجاراً
مع أحد... الأفضل أن تدع الآخرين يضربونك، وإلا سيأخذونك إلى
الحرب".

أغمض أنوري عينيه. لقد قابل الأميرة الخالدة. لقد تحدثت معه،
وتريد أن تقابله مجدداً.

أيقظته رَكْلَةٌ في ضلوعه. بالكاد تجرُّاً على فتح عينيه. يقف ١٠٠٠
عَصْبُهُ مشاغبين، أمسك به أحدهم بعنف ليوقِّفه على قدميه. ١١١١
"لقد هربتِ مِنَّا! هل وجدتِ شيئاً في الفتحة؟ لقد انتظرناك لآلاف
من ساعتين".

"لا"، قال أنوري وهو يرتعش من رأسه حتى أخمص قدميه. "أنا
بحثت في كل مكان. ضَلَلْتُ طريقي ولم أستطع العودة".
"كلامٌ فارغ. ماذا وجدتِ؟".

"لقد كان مُجرِّدَ جُحرٍ أرْبَبٍ قديم. لم أجد شيئاً هناك، ولا أرضاً
عجوز حتى".
حدِّقوا فيه بِشَكِّ.

"هل تخفي شيئاً؟".

"لا"، قال أنوري مُرتَعِدًا. "لم أجد شيئاً!".

جذبه أحدهم من أذنه وقَرَصَهَا. "إن كنتِ تخذعنا فأنت تعرفين
ماذا سيحدث لك!".

"نعم!" قال أنوري متألمًا.

دفعوه أمامهم نحو السُّلم ليهبطوا جميعًا إلى أسفل. خرجوا إلى
زقاقٍ ضَيِّقٍ. اندفعت الفئرانُ حولهم من أكوام القمامة والقاذورات.
أشاروا إلى نافذة في الطابق الثالث.

"يوجد تاجر يسكن بالأعلى هناك. وهو خارج المدينة الآن لجلب
بضاعة. اذهب إلى هناك وأفرِّغ المكان!".

لم يجروا أنوري على الرفض. تَسَلَّقَ لأعلى على نباتٍ مُتَسَلِّقٍ ودخل
من النافذة إلى بهوٍ بِسَجَادٍ ثمين وجدران مُزخرفة. سمع أصوات شخير
تأتي من غرفة قريبة. تحرك بهدوء، على أطراف أصابعه كالقبط. أخذ

١٠١ هُنِيَا وَشَمْعَدَانَا ذَهَبِيَا. وَجَد مَخْبَأ سِرِّيَا بِهِ حَقِيْبَةً عُمَلَاتٍ
١٠٢ . وَوَجَد أَيْضًا سَيْفًا جَمِيْلًا، مُرْضَعًا بِأَحْجَارِ كَرِيْمَةٍ رَائِعَةٍ. نَظَرَ
١٠٣ فِي الْغُرْفَةِ فَلَمْ يَجِدْ شَيْئًا آخَرَ يُمْكِنُهُ حَمَلُهُ. لَمْ يَسْتَغْرِقْهُ الْأَمْرُ
١٠٤ . وَهَتَّ قَصِيْرٌ جَدًّا. شَعَرَ بِارْتِيَا ح. كَانَتْ غَنِيْمَةً مَعْقُولَةً، رَهْمَا
١٠٥ . وَشَانَهُ، وَلَوْ لَفِتْرَةٍ عَلَى الْأَقْل.

١٠٦ زَعِيْمُ الْعَصَابَةِ حِيْنَ عَادَ لَهُمْ أَنْوْرِي "رَائِعُ، اتَّبَعْنِي".

١٠٧ م صَفْرٌ بِصَوْتٍ خَفِيْضٍ فَظَهَرَ شَخْصٌ يَقُوْدُ عِدَّةَ أَحْصَنَةٍ؛ وَضَعُوا
١٠٨ رِي عَلَى أَحَدِهَا، امْتَطَوْا أَحْصَنَتَهُمْ، وَتَوَجَّهُوا إِلَى خَارِجِ الْمَدِيْنَةِ.
١٠٩ مَتَّ مَعْدَةُ أَنْوْرِي حِيْنَ أَدْرَكَ أَنَّهُمْ فِي طَرِيْقِهِمْ إِلَى الْوَادِي الْمَحْرَمِ
١١٠ . نَ تَدْفَنُ النَّبْلَاءَ وَأَفْرَادَ الْعَائِلَةِ الْمَلِكِيَّةِ فِي قُبُورٍ مُغْطَاةٍ بِالْعَشْبِ.
١١١ ، الضَّفَادِعُ وَصَفْرَتِ الرُّيْحِ فِي أَعْوَادِ الْقَصْبِ. وَاصْلَوْا سِيْرَهُمْ حَتَّى
١١٢ . وَارْجُلَيْنِ يَحْمِلَانِ مَعَاوِلَ وَمَقَاتِيفَ. رَأَوْا بِالْقَرْبِ مِنْهُمْ رَجُلًا يَرْقُدُ
١١٣ . نَ فِي الْعَشْبِ. حَارَسَ الْمَدَافِنَ، فَكَّرَ أَنْوْرِي.

١١٤ نَ فِي أَعْمَاقِ الْحَفْرَةِ الَّتِي حَفَرَهَا الرِّجَالُ فَتَحَتْ صَغِيْرَةً؛ أَشَارَ
١١٥ إِلَيْهَا أَحَدُ رِجَالِ الْعَصَابَةِ. هَبَطَ أَنْوْرِي الَّذِي يَعْرِفُ الْمَطْلُوبَ مِنْهُ
١١٦ ، وَخَلَّ رَأْسَهُ مِنَ الْفَتْحَةِ. سَدُّ أَنْفِهِ لِلرَّائِحَةِ الْكَرِيْهَةِ غَيْرِ الْمَحْتَمَلَةِ،
١١٧ . مَعَ ذَلِكَ تَحَسُّسَ طَرِيْقِهِ فِي الظَّلَامِ عَلَى الْأَرْضِيَّةِ الرَّخَامِ الْمُتَشَقِّقَةِ.
١١٨ . مَعَ نَفْسِهِ مِنَ التَّفَكِّيْرِ فِي الْمَوْتِ الَّذِيْنَ يَغْلِقُونَ عَلَى سَارِقِي قُبُورِهِمْ
١١٩ . وَبِحَتْفِظَتِهِمْ مَعَهُمْ إِلَى الْأَبَدِ. وَصَلَ إِلَى يَدِ مَيْتَةٍ ذَابِلَةٍ وَتَحَسُّسَهَا
١٢٠ . أَلْمَهَا حَتَّى وَجَدَ خَاتَمًا حَاوِلَ أَنْ يَخْلَعَهُ مِنَ الْأَصْبَعِ؛ لَكِنْ الْأَصْبَعُ كُلَّهُ
١٢١ . سَقَطَ، فَكَسَّرَهُ إِلَى نِصْفَيْنِ، خَلَعَ الْخَاتَمَ، وَعَادَ يَتَحَسُّسَ طَرِيْقَهُ فِي
١٢٢ . الظَّلَامِ الدَّامِسِ. كَانَ الْهَوَاءُ ثَقِيْلًا وَرَائِحَتُهُ تَشْبهُ رَائِحَةَ أَكْوَامِ الْأَحْشَاءِ
١٢٣ . خَلْفَ الْمَذْبَحِ. وَجَدَ قَرْطًا وَصَنْدُوقَ مَجُوهَرَاتٍ، وَدَسَّ أَصَابِعَهُ فِي فَمِ
١٢٤ . جَمِجْمَةٍ مَفْتُوحٍ يَبْحَثُ عَنْ سِنِّ ذَهَبِيَّةٍ. تَقِيًّا، كَادَتْ مَعْدَتُهُ تَسْقُطُ
١٢٥ . سِنِّ حَلْقِهِ وَرَائِحَةُ الْعَفْنِ تَزْدَادُ؛ مِنَ الْوَاضِحِ أَنَّ أَحَدَهُمْ قَدْ دُفِنَ

حديثًا. تحسّس طريقه إلى أعلى. كانت الجنّامين التي وصل إليها بالبحشرات. ارتعش أنوري وتراجَعَ إلى الخلف. إيوا! خنافس العنودة المشتعلة! أعطته العصابة شُعْلَةً لينير طريقه وأعادته مرة أخرى. المَهْمَتُك! عَضْ شيء ما قَدَمَه، كوخزة إبرة. صرخ أنوري. أغلق حفرته. وعاد يصعد، يرتعش ويضرب الحشرات التي طالته. كان خمسة رسال ينتظرونه في الظلام وهم يُغَطُّون أنوفهم وأفواههم بِقِطْعِ قُفَاهِ. انتزع أطولهم الحقيبةً منه، لاحظ أنوري أن لديه أصبعا مفقودا "أهذا كل شيء؟".

"نعم"، تمتم أنوري.

أمسك به آخر وفتح فمه عنوة ليرى إن كان يخبئ فيه خاتمًا، ماسة، ثم تحسّسه كُله.

"تمامًا مثلما حدث من قبل"، قال الرجل. "جعلتنا ننتظرك وها أنت طويلًا جدًا آخر مرة!".

"لقد ضللتُ طريقتي"، قال أنوري. "كان من الممكن أن أعود هنا".

"لقد جعلتنا ننتظر. لن تحصل على شيء هذه المرة!".

"فيما عدا لعنة الموتى!" قال آخر وهو يضحك بسخرية.

امتنوا أحصنتهم وتركوا أنوري وحده يبصق غاضبًا. لم يكن يعرف أبدًا متى يتوقّعهم؛ كانوا يظهرون له فجأة ويجرّونه معهم. لم يكن يعرف من أين يأتون، لكنه تمثّى أن يموتوا. ندم لأنه أعطاهم السيف. أراد أن يقتلهم به جميعًا. سيُلقنهم أبوه درسًا قاسيًا حين يعود من الحرب!

عاد أنوري إلى فراشه أخيراً والشمس على وشك الشروق؛ كانت
السموات تتصيح في جميع أنحاء المدينة، وكان الجوّ دافئاً. لفّ نفسه في
الغطاء خفيفة ونام على شخير خالته الرقيق.

بدأت الأيام والأسابيع التالية كأنها استمرّت إلى الأبد. ظلّت بورجيلد
تأمله أعمالاً: كان عليه جَلْبُ الخشب لإشعال النار، زراعة الفناء
الضيق، إطعام الخنازير، نشر الغسيل على الصخرة. كان ذهنه
يحوّل طوال الوقت، يفكر في الأميرة الراقدة في تابوتها. لم يسمعها
أحد تتحدّث من قبل. ذات يوم، حين أخبره قرع الأجراس الذي
يؤدّ صداه في المدينة كلها أن الرهبان سيأخذونها إلى المعبد؛ ركض
الشوارع، كان الزحام يزداد كثافة، حتى لاح المعبد الكبير في الأفق.
بدأت يتدافع الرجال والنساء لتقديم قربانينهم وهداياهم، لكن أنوري
لم يج في المرور من بينهم. وبُخوه بكلمات غاضبة بلُغَاتٍ غير مفهومة؛
بدأت وجاءوا إلى هنا بالآلاف ليلمسوا التابوت. كان الباعة المتجوّلون
مربوبون هنا وهناك يبيعون خبزاً وماءً وأشياء مقدّسة، والحُرّاس
يأخذون من أن الجميع يقدّمون أشياء من نوع ما. استطاع أنوري أن
يسأل إلى المطحنة حيث سرق حفنة من الحبوب. قد تُطعمه ليومين
الأمين، لكنه يريد رؤية الفتاة في التابوت.

تحرك الطابور يقترب ببطء. أخيراً رأى أوبسيديانا بتسم مثلما
تركها حين أغلق التابوت تلك الليلة. وقف هناك تأنّها في أفكاره
حتى لكَرّه الحارس قائلاً: "هيا تحرك! هيا تحرك!"

دفعه الزحام دَفْعاً، نظر للخلف من أعلى كتفه. بدأ الأمر غريباً
جداً له أن رآها تتحرك وتتحدّث. للحظة شعر بفخر شديد لأنه
يعرفها ولأنها طلبت منه أن يعود... الأميرة الخالدة، التي يعبّدها

العالم أجمع. لمح القِلادة، شعر بالخَجَلِ وتَوَسَّلَ إليها في نفسه الألهة،
الآلهة يُعاقِبونه:

"أيتها الأميرة الخالدة، أعِدْكِ أنني سأعود. أيتها الأميرة العَطو،
أرجوكِ أخْبِرِي تلك العصابة أن تَدَعَنِي وشأنِي".

ظهر الآن زي أرشين، كاهن المعبد. طويل، ويرتدي قميصًا ذهبيًا،
عليه كتابة غريبة؛ قُبَعته مُرْصعة بالألماس، وعلى صدر عباةته عينا
مغمضتان مطرّزتان، شعار الأميرة الخالدة. كان مُقْبِدًا بأغلال ذهبي،
ثقيلة. يتبعه رجال أقوياء، يرتدون زيًا أزرق. اقترب من القاعدة التي
يضعون عليها التابوت، ووضع يديه على غطائه. أغمض عينيه وبدأ
يترنم، ثم انفتحت عيناه على وسعهما وصاح بلكنة جنوبية غريبة.
"تباركت الأميرة الخالدة وتباركت الآلهة التي تعيش معها! إن
قربانكم لا تذهب سُدى. إنها في انتظاركم؛ ثروات بعد الموت. اقتربوا
واملؤوا خزائن السماء!".

يدفع الرجال الأقوياء الآن بِرَجُلٍ بدين له عينان سوداوان، يبدو
عليه أنه تعرّض للضرب المبرح وأُلْقِيَ به في القاذورات قبل عرض
على العامة.

"لقد واجه الملك دايّمون أوقاتًا عصيبة في نضاله لإعادة توحيد
مملكة بانجيا، وقد حقّق انتصارات عديدة في سعيه هذا. وهو في
حاجة لمساعدة الجميع لتحقيق هدفه، علينا جميعًا المساهمة،
بالحبوب والأسلحة والملابس. لكن هذا الرجل الواقف هنا، مع أنه
يمتلك مخازن قمح كبيرة، لم يقدّم شيئًا منها! بَخِلَ بثروته. أرسلت إلي
الأميرة الخالدة حُلْمًا يكشف مَخْبَأه. قرّرت الآلهة أن تُنْزِلَ به عِقَابًا
عادِلًا. سيتمُّ إلقاءه في البحر!".

.. سب وجه الرجل. نَدَبَت امرأة تقف بين الحشد.

.. اح أرشين: "اركعوا للأميرة واعبدوها!".

.. مع الجميع، ومعهم أنوري. كان يرتعش ويخاف مصيراً مُماتلاً؛ أن
الأميرة الخالدةُ الأليهةُ بأنه لِيصُّ، وتعاقبه.

مَعَ كُلِّ قَمَرٍ جَدِيدٍ

ظَلَّ أَنْوَرِي يَرِاقِبُ الْقَمَرَ بِقَلْبِي، يَتَابِعُ تَنَاقُصَهُ ثُمَّ تَزَايُدَهُ. لِرَاحَتِهِ
الْأَيْبَرِي؛ لَمْ تَظْهَرْ لَهُ الْعِصَابَةُ مَرَّةً أُخْرَى؛ لِعَلَّ الْأَمِيرَةَ اسْتَجَابَتْ لِدَعْوَاتِهِ
، لَمْ كُلِّ شَيْءٍ. بَدَأَ يَقُومُ بِدَوْرِهِ بِجَدِيدِيَّةٍ، وَانْطَلَقَ يَجْمَعُ الْأَخْبَارَ مِنْ عَالَمِ
الرَّمْنِ. ذَهَبَ إِلَى الْبِقَالَةِ وَسَأَلَ:

"مَا أَخْبَارُ الْمَلِكِ وَالْحَرْبِ؟"

نَظَرَ إِلَيْهِ الْبِقَالُ بِذَهْوٍ قَائِلًا: "انصرف من هنا!".
رَكَضَ أَنْوَرِي بَعِيدًا مَرَعُوبًا. قَابَلَ رَجُلًا عَجُوزًا فَسَأَلَهُ:

"فِي أَيِّ عَامٍ نَحْنُ؟"

"أَتَعْنِي بِالتَّقْوِيمِ الْقَدِيمِ أَمْ الْحَدِيثِ؟"

"الْحَدِيثِ".

"لم يبدأ العمل بالتقويم الحديث بَعْدُ. ليس قبل أن يُعيدَ الما ا ا
توحيدَ بانجيا".

"متى سيحدث هذا؟".

نظر العجوزُ إلى الولدِ باهتمام.

"أنت تعرف أن الملكَ يَشْنُ حربًا ضِدَّ الرِّمَن. مَن يسأل كثيرًا يا ا ا
نهايةً مُوسِقةً. تذكُر كلماتي... الجدران لها آذان".

حين عاد أنوري إلى البيت سألَ خالته: "لماذا للجدران آذان؟".

قالت بورجليد: "للسببِ نَفْسِه أن لَيْسَ للمِرحاضِ أنْفٌ".

"لقد قال الرجل العجوز إنَّ للجدران آذانًا".

وصَعَت بورجليد عَزَلَهَا، نَظَرَت حولها وهمست:

"لماذا قال ذلك؟".

"لأنني سألته في أي عام نحن".

"لا ينبغي أن تسأل أسئلةً كهذه يا ولد، لماذا تسأل عن هذا؟".

"أريد أن أعرف أخبارَ الملك دايمون في الحرب، ومتى سيعود".

"هشش! سَتَعْرِضُنَا للخطر لو واصلتَ تَرديدَ هذا الكلام الفارغ

إن سألك أحدٌ عن هذا فالإجابة بسيطة: الحرب تدور بِشكْلِ جِنا

جدًا، دايمون أعظم ملك في العالم، سيعيد توحيدَ بانجيا، وهذا هو

كل شيء!".

تمنى أنوري أن يسرع القمر في اكتماله. جاءت أخيرًا ليلَةٌ مُنيرةٌ

وواضحةٌ فعاد يتسلَّل إلى جحر الأرنب الذي يُوَدِّي إلى منجم أسفل

القصر. كان رأسه يدور بكل الأمور البَشِعة التي قد تحدث له وهو

س طريقه في الظلام صاعداً السلم الحلزوني إلى الغرفة الخلفية.
سنت معدته حين دس رأسه في فتحة إطار النافذة ورأى أوبسيديانا
أه يغمرها نور القمر. سمع دمنمة الأمواج، صفير الريح في
الجار، ونحيب نورس من حين لآخر. زحف على بطنه نحو الباب
ر سمعه لأي حركة بالخارج. ظل قلبه يدق بقوة شديدة وهو
ترب من التابوت ويرفع غطاءه بحرص. فتحت أوبسيديانا عينيها.
"ماذا؟" همست.

"ماذا ماذا؟" سألتها.

"الن تعود إلى بيتك؟"

احمر وجه أنوري. "أعود إلى البيت؟ لقد وصلت لتوي!"

نظرت حولها وفركت عينيها. "أوه، أوه قمر جديد الآن؟"

"نعم."

"عذراً"، قالت وخرجت من التابوت، "أحياناً يختلط الأمر علي
ليلاً".

تسلاً إلى الغرفة الخلفية. ما أن شعرا بالأمان، قالت أوبسيديانا:

"أخبرني إذا، أنوري، ما أخبار عالم الزمن؟"

فكر أنوري.

"لقد أكلت خنازيري كرنب الجيران!"

"لا"، قالت ضاحكة. "أخبرني عن الملك. في أي عام نحن الآن؟ يجب
أن أعرف."

ردد أنوري ما قالته خالته.

"الحرب تدور جيداً جداً. داهمون أعظم الملوك وسوف ينقذ العالم."

"نعم، لكن ماذا تعرف أيضًا؟ ما تاريخ اليوم؟ في أي عام نحن؟"
لم يدِرْ أنوري ماذا يقول. "لقد سألتُ الناس بالفعل، ظنَّني أنا الذي،
في فترةٍ بين زمنين. لن يبدأ التقويم الجديد حتى يعود الملك".
"فترة بين زمنين؟ متى سيعود الملك إذن؟".

"يقولون إن الحرب تدور جيدًا".

"لكن منذ متى وأنا هنا؟".

فكَّر أنوري مُجددًا.

"مُنذُ زمن طويل. مائة عام، أو ربَّما يزيد!".

صَدَمها هذا في البداية، لكنها أجزت حساباتها في ذهنها.

"هذا ليس صحيحًا، أيُّها السخيف! لكان أبي قد تُوِّفِّي منذ زمن".

هَرَسَ أنوري رأسه.

"حَسَنًا، ربَّما ليس مائة عام، لكن على الأقل لفترة أطول من

عمري".

نظَّرت أوبسيديانا إليه. كان أقصرَ منها قليلًا. بدا أنه قد صَفَّف

شعره وغسل وجهه.

"أخبرني إذًا عن الشَّقِّ. كيف حَدَثَ؟".

"لقد كان الشَّقُّ العظيم هنا قبل أن أُولد".

"ماذا حدث؟".

"حَكَّتْ لي خالتي قِصَّتَه حين كنت صغيرًا".

"أحكِّها لي إذًا!".

"حَسَنًا. كان الملك يُحِبُّ ابنته بشدَّة، لِحدِّ أنَّه أرادها أن تعيش إلى

الأبد. فوعد بنصف المملكة لمن يأتيها بمزيد من الوقت. جاء إليه

أولاً والذَّجَالون لكن لم يَسْتَطِيعَ أَحَدٌ جَلَبَ المزيد من الوقت.
بعد الأيام وصل إلى عاصمة بانجيا بعض الأقرام يحملون تابوت

أنا أتذكّر هذا!" قالت. "يبدو الأمر كأنه حُدُوثه خيالية بالفعل!"

أوه، أنتِ تعرفين القصة، ليس عليّ حَكِيهَا إِذَاً."

لا، استمِرّ! أريد أن أسمعها بالطريقة التي سَمِعْتَهَا بها."

حسنًا، كان التابوت سِحْرِيًّا حَقًّا، وَحَفِظَ جمال الأميرة بالفعل.
الملك نصفَ مَمْلَكَتِهِ للأقرام، لكنهم رفضوا قبوله. غَضِبَ الملك
وَبَقِطَعَ رُؤُوسَ الأقرام في المدرج الكبير. حين هَوَتْ بِلَطَّةِ السِّيفِ
رأس آخر الأقرام تَصَدَّعَتِ الأَرْضُ من تحتها وانقسمت المملكة
بمفنيين."

"أهذا هو الأمر؟" قالت أوبسيديانا بحزن.

"نعم."

"هذا كُلُّه كلامٌ فارغ! لم تُقَطِّعِ رُؤُوسَ الأقرام؛ لقد عادوا إلى بلادهم.
لا بُمَكِنِكَ فَضْلُ مَمْلَكَةٍ كَامِلَةٍ يَبْلُطَةُ. مَنْ أَخْبَرَكَ بهذه الأمور؟"
بلغ أنوري ريقه بعصبية.

"أنا آسف"، قال، "أخبرتني بها خالتي، أرجوكِ لا تعاقبيها."

"أنا لا أعاقب أي شخص. الأمر فقط أنها قِصَّةٌ غير حقيقية."

سكت أنوري. رآته أوبسيديانا يرتعش.

"سامخني"، قالت وربَّتت على يده. "يمكنك إخباري بـقصص
بالطبع. لكنني أريد أن أفهم ماذا يحدث في العالم. أريد أن أعرف
منذ متى وأنا هنا. أرجوكِ عُدْ مَرَّةً أُخْرَى وافتح التابوت لِتُعِيدَنِي إلى
عالم الزمن؛ واحكِ لي قصصًا... كُلُّ ما تعرفه."

عاد أنوري إلى البيت وظلَّ يستمع لما يقوله الناس عمَّا يحدث، في المدينة، لكنه لم يَجْمَع سوى القليل من المعلومات المهمة؛ لم يكن أحدٌ يتحدَّث عمَّا تريد أوبسيديانا معرفته. مع ذلك، حاول تأليف قصة واحدة جديدة على الأقل ليحكىها لها حين يأتي البدر الجديد. كان حين يسمع أصوات الحرس يروحون ويجيئون، يُحرِّك غطاء، التابوت قليلاً ويهمس "إن الحراس بالخارج"، ثم يتسلَّل بعيداً. لكن أحياناً كانا يجلسان الليل بكامله، يثرثران.

"ماذا تعرف أيضاً؟".

"لقد رأيت خالتي انقسامَ المدينة إلى نصفين. كان حبيبها يقطف لها الزهور حين فَصَلَ الشَّقُّ بينهما. ظلَّت تبكي وهي ترى النصف الآخر يختفي في الأفق".

"يا لهُ من أمر حزين"، قالت أوبسيديانا وسقطت في صمت.

ثم سألته "الديك أصدقاء؟".

"نعم، يوجد أطفال كثيرون يسكنون في شارعنا. ماذا عنك؟ ما أسماء أصدقائك؟".

كان عليها التفكيرُ في هذا جيئاً.

"اسمها بيبك وموون".

"أسماء غريبة".

"إنهما غزالتان، أيُّها السخيف! كان لديَّ باندا أيضاً، لكنها دَهَبَتْ. سأريك حديقتي يوماً ما. يوجد بها بَرَكَةٌ وَرَجُلٌ عجوز خفيف الظلُّ يُدعى چاكو. إنَّه صديقي أيضاً، حتى وهو عجوز. إنه حكيم جداً".

جلسا صامتَين لفترة، لم يكن صَمْتًا مُرَبِّكًا. تذكَّرت أوبسيديانا قولاً مأثورًا أخبرها به چاكو من قبل: "الضُمَّتْ مع الصديق أمرٌ جيِّد".

سألها "أتريدين سَمَاعَ المزيد من القصص؟".

قالت: "كانت قِصَّةُ خَالَتِكَ حَزِينَةً، وَقِصَّةُ الْأَقْرَامِ كَلَامًا فَارِعًا، أما بزني بقصة لها نهاية جيّدة".

كان ينوي إخبارها عن الحيوانات: كيف كانت المدينة ذاتَ وقتٍ -البلدُ بحيواناتٍ تُسَاعِدُ البشرَ، لكنها ذهبت إلى الحرب مع الملك. إنَّها قِصَّةُ حَزِينَةٍ أُخْرَى. كيف تريد معرفة كل شيء عن العالم مع أنها لا تريد معرفة شيء؟.

"كان يا ما كان، كان يعيش أسفل أحد الجسور غولٌ. أرادت ثلاث سراف سمينه عبورَ الجسر. سار الحَمَلُ أَوَّلًا فقال له الغول: "سوف أدلك". لكنَّ الحَمَلَ قال: "لا تأكلني، لماذا لا تنتظر وتأكل أمي، إنها أكبر وأَسْمَنُ مِنِّي". اندهش الغول من ذلك الحَمَلِ النُّذْلِ. يريد أن يُضْحِي بحياة أمه مقابل إنقاذ حياته؟ انتظر الغول مرور الأمِ، نندهِشًا. قالت النعجة: "لا تأكلني، لماذا لا تأكل زوجي؟ إنه أكبر وأَسْمَنُ مِنِّي". جعل هذا الغولَ يَفْقِدُ شَهِيَّتَهُ تَمَامًا. "ماذا حدث للعالم؟" صاح الغول. "الابن يخبرني أنْ أَكُلُ أمه، وهي تخبرني أن أكل الكبش. يا لها من أسرة!".

هَزَّتْ أوبسيديانا رأسها. "ثم ماذا حدث؟".

قال أنوري وهو يرفع كتفيه: "عاد الغول إلى بيته، تمامًا مثل الأقرام".

قالت ضاحِكَةً: "حسنًا، إنها قِصَّةٌ بنهاية جيّدة على الأقل".

كانا كُلُّمَا أَغْلَقَا غِطَاءَ التابوت، يحرصان على أن تظلَّ الابتسامة نفسها على وجه أوبسيديانا، وطِيَّاتٌ نُوبِهَا مُسْتَوِيَّةٌ تَمَامًا كما كانت من قبل. مع ذلك كان يوجد دائماً اختلافٌ طفيفٌ. لاحظت النساء

الحكيماتُ التَّغَيُّرُ في تعبيراتِ وجهها بِمرورِ كُلِّ قَمَرٍ جديد. إن بد،
سعيدةً فهذا يعني أن الأوقات الجيدة قادمة؛ التعبير غامضٌ يَنمُءُ ،
الشُّكُّ. إن كانت يدها مُنْقَبِضَةً فهذا يعني أوقاتًا عصبيةً قادمة.

عام كامل في ليلة واحدة

كان أنوري قد بدأ إحدى قصصه حين أسكتته أوبسيديانا فجأة.
"ماذا؟" قال أنوري.

"أنا لا أعرف كيف أتحدّث عن الوقت". نظرت إليه بامعان،
أحاول أن تراه جيّدًا في الظلام. كان يتغيّر كلّما التقيت. يزدادُ طولًا.
سألها "ماذا تقصدين؟".

قالت "لقد ظللتُ تأتي لرؤيتي لمدة عام كامل، لكن بالنسبة إليّ
بدا لي هذا العام كأنه ليلةٌ مُقِمرةٌ طويلة".

حاول أنوري التّظر إلى الأمر من وجهة نظرها لكنه لم يستطع.

"أشعر أنني لم أعرفك سوى بالأمس"، أوضّحت، "لكنك تعرفني
منذ عام كامل. طوال هذا العام لم يأت أحدٌ غيرك لرؤيتي. لا أحدًا!
أريد أن أعرف ماذا حدث؟ أين مُرَبّيتي؟ أين أبي؟ أين الجميع؟ آخر

ما أعرفه أنني احتفلت بستة عشر عيد ميلاد. الآن مرَّ عامٌ كاملٌ،
يحتفل أحدٌ بعيد ميلادي".

"بالطبع احتفلوا بعيد ميلادك"، قال أنوري. "في الميدان العام".

"حقًا؟ لكنَّ أحدًا لم يدعني".

"لكنك أحببت هداياك. هذا ما قاله أرشن".

"أرشن؟ من أرشن؟".

"زي أرشين، كاهنُ المعبد!".

هزَّت رأسها. "لم أسمع بهذا الاسم من قبل قط".

حار أنوري بشدَّة؛ لقد ظلَّ أرشن وأوبسيديانا يظهران معًا في
الميدان منذ أن وعي أنوري على العالم.

سمِعًا فجأةً أنيًّا يشبهُ مواءَ القطط. أمسكت أوبسيديانا بطنها
وانحنى من الألم.

"أأنت بخير؟" سألها أنوري.

"أنا أتألم، أتألم حقًا!" قالت.

لم يمكنها التحرك. ازداد الألم، وبدأت تبكي بالدموع.

ذعر أنوري. "أأنت بخير؟ أأنت مريضة؟".

"استمع لهذه الأصوات"، غمَّمت. "أظنُّ أنني أموت!".

وضع أنوري أذنه على معدتها وأطلق ضحكة. "إنها قرقرة معويَّة!
متى كانت آخر مرَّة تناولت فيها الطعام؟ من الواضح أنك جوعانة!".

"جوعانة؟" قالت مذهولة. لقد جاء إليها اثنتا عشرة مرَّة ولم تأكل
شيئًا منذ لقائهما الأول.

هزَّ أنوري رأسه. "ألم تشعرني بالجوع من قبل قط؟".

ليس هكذا".

"أنا أعرف مكان المطبخ".

"كيف تعرفه؟".

"لا يهم"، قال. لم يكن نمؤه سريعًا مُصَادَفَةً. "لقد وجدتُ نَفَقًا
بُها يُؤدِّي إلى غرفة المؤونة. سأقودك إلى هناك".

نسلًا كَشَبَحَيْنِ في أنفاق القلعة، يتخفيان أسفل الألواح الخشبية.
ها يُرَّان، أشارت أوبسيديانا من فتحة صغيرة في الجدار: "هنا حيث
.. ام الجميع". هَمَسَتْ. "هناك غرفتي وحديقتي". فجأة صرَّ أحدُ
الألواح، ومن شقِّ صغير رأينا إحدى الجليسات اللاتي يَقْفَنَ في انتظار
الأوامر تركض من الغرفة كأنها رأت شبحًا.

وَجَدَا غرفة المؤونة. كانت مليئةً بالأطعمة الشهية: ذبائح كاملة
من اللحم المدخَّن مُعلَّقةً بالمشاجب المعدنية، رؤوس ظباء، أجولة
مربوب، وشتى أنواع الجبن مُكَدَّسةً على جميع الأرفف. أَخَذَا بعض
الخبز واللبن وبعض النقائق، قِطْعَةً كبيرة من الجبن، وعدداً من
التفاحات، وَضَعَا كل هذا في كيسٍ وعادَا إلى برج المراقبة المهجور. جَلَسَا
بتناولان الطعام بِنَهَمٍ. تَجَشَّأ أنوري. ضحكت أوبسيديانا وتجشَّأت هي
الأخرى. سطعت النجوم ولمع القمر أعلاههما.

تثاءبَتْ وقالت: "أنا مُتَعَبَةٌ".

"مُتَعَبَةٌ؟" قال مُسْتَنَكِرًا. "أنتِ نائمةٌ دائماً!".

"لا، أنت من تعود إلى بيتك لتنام، أما أنا فأعود إلى التابوت وهذا
ليس نومًا".

"ماذا يحدثُ إذًا؟".

"لا شيء. لا شيء يحدث. ما أن تغلق التابوت يفتح مرةً أخرى
فورًا".

"ولا حتى أحلام؟".

"لا. لا شيء".

"فَهَيْمْتُ"، قال لكنه لم يفهم شيئاً حقاً. "لكن ماذا عن الآلهة؟"
"الآلهة؟".

"يقولون إنك حين تكونين في التابوت، تذهب روحك إلى الآلهة ،
لهذا تبقين كما أنتِ دائماً".
هزّت أوبسيديانا رأسها.

"هذا كلام فارغ أيضاً! مَنْ أخبرك بهذا؟ أنا هنا فقط. لا أذهب .
إلى أي مكان".

سألها "ألن يعود أبي إذن؟".

"لماذا تسألني عن هذا؟".

"لقد قَدَّمْتُ لِكَ حَفَنَةً حَبِوبٍ، وطلبتُ مِنْكَ مُسَاعَدَةَ أَبِي ليعود
إلى البيت".

"متى كان هذا؟".

"العام الماضي".

"أنا لا أتذكّر هذا. أنا لا أعرف أين أبي أنا!".

بَدَا مُحَبِّطًا. مالت على كتفه وَسَقَطَتْ في النوم. جلس يستمع
لصوت الجَدَاجِدِ. قضى الوقت في إبعادِ النمل والذباب أو تحريك
عصا في الفراغات بين البلاطات، ثم سَقَطَ في النوم هو الآخر. أيقظهما
صياحُ النوارس، كانت الشمس قد أشرقت بالفعل. هزّت أوبسيديانا
أنوري. رآته جيّداً في وضح النهار. كبر في هذه الفترة القصيرة التي

٤٠ هـ فيها كعود الخيزران؛ فقد أسنانه اللبينة ومّت له أسنانٌ عادية؛
: ألهه، وطال شَعْرُهُ، وخالَقَه، وطال من جديد.

٥٠ ما نذهب إلى المدينة؟!

٦٠ يمكننا فعل هذا؟!

٧٠ يجب أن أعرف ماذا يحدث في العالم، يجب أن نذهب إلى المدينة

٨٠ لا يمكننا، أنتِ عليكِ الذهاب إلى المعبد؟!

٩٠ لن أذهب إلى المعبد؟!

١٠٠ لن ستهبين، سيأتون إليك في الظهيرة وسيحملونك إلى هناك؟!

١١٠ أوه؟ لماذا؟!

١٢٠ أنتِ تتظاهرين أنك لا تعرفين شيئًا. تتصرفين كأنكِ غبيّة؟!

١٣٠ لا! أنا لست غبيّة. إن كان الحراس سيأتون إليّ في الظهيرة فلدينا

١٤٠ ١٥٠ ساعة. المدينة قريبة من هنا. يجب أن أذهب إلى المدينة!

١٦٠ يجب أن تأتي معي؟!

١٧٠ ففكر أنوري في هذا. وصل لقرار.

١٨٠ في المرة القادمة، سنذهب إلى المدينة؟!

١٩٠ أتعدّني؟!

٢٠٠ أعدك. إن الآلهة معك؛ لذلك ستساعدنا؟!

اقطعوا يد اللصّة

أعدّ أنوري كُلاًّ شيء للبدر التالي. أحضر حين جاء ليوقظ أوبسيديانا بباء تَيْن ليرتدياهما، ووشاحًا لتغطّي به وجهها. هبّطاً السُّلم الحلزونيّ بحرصٍ- لأسفل، وأسفل، إلى الأنفاق الطويلة تحت القصر. قادهما نفقٌ سِرِّيٌّ إلى شوارع المدينة. فتح أنوري بابًا عتيقًا يؤدّي إلى قبو منزل مهجور في زقاق خالٍ. شَقًّا طريقهما من هناك إلى مركز المدينة، حيث سرعان ما ابتلعهما صَخَبُ المدينة وضجيجها. لم تكن أوبسيديانا قد رأت زحامًا كهذا من قبل. كانت مبهورةً بالصياح والمساومة، والدفع والعمل الشاق. خليط من رجال ونساء، صغار وكبار، جمال وحمير وعربات. تنفّست هواءً مُفَعَمًا برائحة الحيوانات والتوابل والخبز الساخن. رأت رجالًا يصطحبون قرودًا مُسَلَّسِينَ، ثعابين في سلالٍ من القش، دجاج وأرانب. ذبابٌ يَنْزُ حول قطع لحم كبيرة معلقةً بمشاجب. رأت أجولة التُّفّاح واليوسفي والبلح والمكسرات. أمسك رجلٌ بسكين وذبح ماعزًا على منضدة أمامهما، فصاحت أوبسيديانا

ونظرت بعيدًا. يمدُّ الشُّحَاذُونَ والمجدومون أيادي مَعْرُوقَةً يتوسَّلون. يركض الأطفال في كلِّ مكان، يلهون في بِرِّكَ الطين. يصيح الجَزَارُونَ على بضاعتهم، يتساقط الدم من مناظدهم ليختلط بالطين أسفل أقدامهم، حيث يركض الدجاج هنا وهناك ليتجنَّب أن تطأه الأقدام في الزحام. دفع التُّجَّار ببضاعتهم نحوها، قَرَصَهَا صَبِيَّةٌ مراهقون، وكان أنوري يَدْفَعُهُم جميعًا بعيدًا. بدأ يقلق، أمسك بيدها وحاول حَثُّهَا على الإسراع قَائِلًا:

"لا يَجِبُ أن نَظُلَ هنا طويلًا، وغطِّي وجهك جيّدًا".

لكنها أجابته بعينين تلمعان: "شكرًا لك أنوري! شكرًا لك لأنك أريتني المدينة!".

كانت مُسْتَمْتِعَةً برائحة التوابل، وملمس الحرير، ومزيج الألوان. لكنها توقفت فجأة مذهولة. رأت مذبحة صغيرة في منتصفه أيقونة ذهبية لفتاة صغيرة بثوب أزرق ترقد في تابوت زجاجي.

قالت امرأة عجوز دَرداء:

"بسعر جيد. سأعطيك سعرًا جيّدًا".

هذه أنا، فكَّرت أوبسيديانا وهي تحدِّق في المذبح. كان الكشك بكامله مخصّصًا لصور لها: صور كبيرة وصغيرة، رسومات، تماثيل، بيضات وأحجار عليها صورها.

"أترين! هذه الصورة جيّدة!" قالت العجوز وهي تناولها صورة.

"شكرًا لك"، قالت أوبسيديانا بسعادة، ونظرت حولها تبحث عن أنوري. أشار إليها أن تسرع. ركضت إليه ومعها الصورة.

"انظرْ على ماذا حصلتُ".

نظر إلى الصورة وشحب وجهه.

"من أين حصلت على هذه؟".

"من هناك"، قالت وأشارت نحو الكشك، لكنها تأخرت، كان
أصواتهم يصيح: "أوقفوا لصةً!".

"اركضي!" صاح أنوري وهو يشدّها. سحب المارّة والباعّة سكاكينهم
وسياطهم؛ أمسك الجرّار بساطوره وانطلق خلف اللصة.

"اركضي!" صاح أنوري. "اركضي! إنهم يقطعون أيدي اللصوص!".

رَكَضَتْ أوبسيديانا لتنجو بنفسها، لكنها قبل أن تدرك جَدَبَهَا
أحدهم من كتفها وبدأ يهزّها. صاحت فيها عجوزتان مُغَضَّتَا الوجه
الئة! لثة!" من فمين خاليتين من الأسنان، وظلّتا تدفعان بها بينهما.
صاح الجمع "اقطعوا يديها!" ولوح الجرّار ذو العنق السمين بساطوره.
سَخَبَتِ المرأتان ذِرَاعَ أوبسيديانا ورفعتا كُمها، وأحضر أحدهم لوح
شِبِّ سميك لاستخدامه كمنضدة. تجمّع المزيد من المارة وهم
مسيحون

"اقطعوا يديها! اقطعوا يديها!".

رفع الجرّار ساطوره أعلى معصمها. صرخت أوبسيديانا بأعلى
صوتها "لا! لا!".

نزعت عجوز الوشاح عن وجهها.

"أرينا وجهك، أيتها الحقيرة!".

هنالك رأوا، أمام أعينهم، ذاك الوجه الجميل؛ الوجه الذي يعبده
العالم، الشعر الأسود كجناح عُرابٍ نوحى، الشفتين الحمرأوين كالدم.
سكتوا جميعاً. أفلتت العجوزان ذراعها وتراجعتا إلى الخلف فوراً.
انكمش الجزار. بدا كفأرٍ صغير، ثم كذبابة. سقط على الأرض، وأخذ
يضبُّ على رأسه الطين كعصفور يستحمُّ في بركة مياه.

"الأميرة الخالدة هنا"، همسوا لبعضهم البعض. "الأميرة الخالدة بيننا". سقطوا جميعًا على الأرض كأنهم شعروا بزلزالٍ قادم. ركعوا مبهوتين. بكى رجالٌ كبار. كانت تلك معجزة.

اقتربت من الأميرة امرأةٌ عجوز تحمل طفلًا معوقًا بين ذراعيها، تمتمت بصلوات وتوسّلت إليها أن تلمس الطفل. تجمّدت أوبسيديانا كان الطفل مُحدودب، وكتفاه مرفوعتين، ورأسه كبيرًا للغاية. الصغير المسكين، فكّرت وربّيت على خدّه برفق. لم يسبق لها أن اقتربت من شيءٍ صغيرٍ مثله. حدّقت فيه بذهول.

"هيا! هيا!" صاح أنوري. أمسك يدها وشدّها خلفه. ركّضاً في شوارع مزدحمةٍ بنايس راكعين، تبرز مؤخراتهم لأعلى ككتل العشب في البراري. حرصت ألا تطأ يد أو قدّم أحدٍ، لكنها سمعت أحدهم يصيح من خلفها:

"لقد لمسّني! لقد منّحتني البركة!"

ذهلت بشدة. اكتست أرض المدينة بأجسادٍ تترنم:

"الأميرة الخالدة! الأميرة الخالدة!"

اقترب الراكعون من بعضهم البعض بشدة، ليحدّ اضطرّها إلى القفز على الظهور العريضة والمؤخّرات الكبيرة، وهكذا راحا يقفزان من على ظهر إلى آخر حتى وصلّا إلى الزقاق وجُعر الأرنب. حين دخلا، تحسّسا طريقهما سريعًا في الظلام حتى وصلّا إلى السلم الحلزوني. التقط أنوري أنفاسه قائلاً:

"لقد أخذت الأيقونة، لا يجب أن تسرقني! كِدت أن تتسبّي في قتلنا!"

دقّأت قلوبهما كقرع المطرقة في صدرئيهما.

حين وصلا إلى قاعة أوبسيديانا، التفتت إلى أنوري وقالت:

"لم أر هؤلاء الناس من قبل قط! كيف يعرفونني؟"

"لا بُدُّ أنك تعرفين! أنتِ معبودةٌ. هؤلاء هم مَنْ يقدّمون إليك
"الخبز".

"منذ متى؟".

"منذ الأزل. إن روحك تعيش مع الآلهة، بينما يرقد جَسَدُكَ في
المعدن. يخبرنا الكاهنُ أرشين برسائلك. يقول إنك الأمل الوحيد منذ
القيام بالملكة إلى نصفين وذهاب الملك إلى الحرب".

"من هذا الكاهن، أرشين؟ أي آلهة؟ أنا لا أفهم شيئاً!".

"سيكون عليك أن تسألِي الملك، إنه في طريقه إلى القصر".

"سيعود؟" شعرت أوبسيديانا بدغدغة في معدتها.

"نعم، أعلنتِ الملكةُ هذا".

"الملكة؟ أيُّ مَلِكَةٍ؟".

"الملكة جنهيلد بالطبع".

لم تعرف أوبسيديانا ماذا تصدق.

"جنهيلد؟ مَنْ تكون؟".

"ألا تعرفين شيئاً؟".

"لماذا لم تخبرني بهذا؟".

ارتبكت أنوري بشدة.

"لا بُدُّ أنك تعرفين الملكة جنهيلد".

دارت الأفكار في رأسها. وقفت جامدةً تمامًا.

"أسرعي، ارتدي ثوبك"، قال أنوري. "سيأتي الكهنة لأخذك في أية
لحظة!".

ظلت أوبسيديانا جامدةً.

"لا. لن أعود إلى التابوت مرة أخرى أبدًا! يجب أن أرى أبي".

"لكنهم حينها سيجدونني! سيقتلونني. يجب أن تعودني إلى التابوت، ويجب أن أعود أنا إلى بيتي!".

رأت الخوف في عينيه! تنهّدت، خلعت العباءة، ارتدت ثوبها، ودخلت التابوت. خبّطت أصبع قدمها في أحد ألواح الأرضية بقوة، كادت تبكي تقريبًا وأنوري ينظر إليها ويقول:
"سوف أعود!".

"انتظر"، همّست، "لا تُغلقه الآن. يجب أن أفكّر. أحتاج إلى وقت لأفكّر".

أغمّضت عينها وفكّرت في الناس في الميدان والجزّار الذي كاد يقطع يدها. الاسمان غير المألوفين: جنهيلد، أرشين. ماذا يحدث؟ فجأةً اقتربت خطواتٌ ثقيلةٌ، وأزاح أحدهم مزلاج الباب. أغلق أنوري التابوت جيّدًا وزحف خارجًا من فتحة الإطار قبل أن يدخل الكهنة إلى القاعة ليحملوا الأميرة إلى الميدان. همس الناس، الذين استردّوا وعيهم بالكاد بعد مُعجزة اليوم.

"دم... يوجد دمّ في التابوت!".

دَم

فتحوا التابوت، وتسرّب الزمن. التقطت أوبسيديانا أنفاسها كَحَمَلٍ مولود حديثًا. رأت خمسة أقنعة سوداء تحدّق فيها.

"انظروا!" قال أحد الأقنعة. صوت أنثوي، لا تعرفه أوبسيديانا.

"لقد أصيبَ الناس في الميدان بالرعب"، واصل الصوت. "انظروا، فطرة أخرى! ماذا يحدث؟ هل تحضر؟ أيمن أن تتحلّل بالداخل هنا؟ كان علينا الاعتناء بها جيّدًا!".

"لا أعرف"، قال صوت ذكوريّ مُتَأَمِّلٌ من خلف قناع آخر. كان يعمل عدسة مكبرة. أضاف وهو يمسح العرق عن جبينه، "لكن من الواضح أن أصبع قدمها ينزف".

"كيف حدث هذا؟ هذا مستحيل!" مَيَّزَت أوبسيديانا صوت إكسل.

قال لها إكسل: "ماذا حدث؟ هل آذاك أحد؟ لماذا ينزف أصبع قدمك، أيتها الأميرة؟ سنلقي بالحُرّاس إلى الأسود! أعدك بهذا!".

قالت: "لا أعرف. ظنّني أنني سَحَقْتُ أصبعي".

"لكن هذا الدَّمُ الطازج، لم يكن هنا بالأمس. أوبسيديانا، أخبرنا بالحقيقة. ماذا حدث؟ هل كان أحدهم يضيع وقتك؟".

قال الرجل ذو العدسة المكبّرة: "هل لي أن أطلب منك الوقوف".
وقفت أوبسيديانا. راوا على الأرض بصمةً أصبعٍ قَدَمٍ مُلَطَّخةً
بالدماء.

قالت: "من أنتم؟ أين أبي؟".

صاح الصوت الأنثوي: "لترحمنا الآلهة، إن الثوب مُعْطَى بالبقع
وقدماها قذرتان! أين كنتِ؟ لتعيننا السماء، لا أفهم كيف يحدث
هذا!".

وقف رجلٌ يحمل ساعةً رمليةً في أحد الأركان مُرتَبِكًا؛ يرتعش
كريشةً في مَهَبُ الريح.

"لقد كان أحدهم يسرق منها الوقت!".

شهق دَوو الأَقْنَعَة.

نظرت أوبسيديانا إليهم وإلى حامل الساعة الرملية. كانت مذعورة
إن وجدوا الفتحة، ستتبع الكلاب المدربة أثر أنوري حتى بيته.

"في أي يوم نحن؟" سألت أوبسيديانا. "لماذا لا يمكنني رؤيته
وجوهكم؟ أين أبي؟".

"سيعود قريبًا" أجابها صوت رجل غير مألوف.

سألت: "هل أنت زي أرشين؟".

شهق الآخرون.

قال الصوت الأنثوي: "لقد عرفتك رغم القناع!".

أالت أوبسيديانا: "وهل أنتِ جنهيلد؟".

«ال أرشين بصوتٍ مُرتَعِدٍ: "لقد أخبرتكم، إنها ترى كلَّ شيء! إنها
، ف فيما نفكّر".

هذا ليس الوقت المناسب، أوبسيديانا"، قال الصوت الأثوي
...بيّة. "ما زال الملك مُسافرًا. لا يجب أن ترينا. نحن لسنا هنا!
ه فترة بين زَمَنَيْنِ".

"إنّ الدّمَ رَمَزٌ"، قال أرشن. "إنه نذيرٌ بتغيير كبير. ظللت أستشعره
، وقت طويل".

أخذت أوبسيديانا نَفَسًا عميقًا وكرّرت "في أي يوم نحن؟ أين أبي؟".

"أخبرينا بما حدث؟" قالت جنهيلد. "نحن في عَجَلَةٍ من أمرنا؛ ليس
أن نضيّع وقتك في تلك الأمور التافهة".

"انفتح التابوت فجأة. مصادفةً. أردت أن أخبر أحدًا بذلك، لكن
اب كان مُغلقًا بالمزلاج. تجولتُ في القاعة في الظلام ولا بُدَّ أنني
مطت أصبع قدمي".

أزالوا كسرة الخشب عن أصبعها، غسلوا قَدَمَيْهَا وألبسوها ثوبًا
سديدًا. رَقَدَت مُجددًا وتنهَّدت بارتياح؛ لم يبحث أحدٌ عن الفتحة في
الجدار.

تنحج حامل الساعة الرملية ثم قال: "هيا! أسرعوا، أسرعوا!
الوقت يَمُرُّ!".

قال الصوت الأثوي من خلف القناع "الآن ابتسمي".

لكن أوبسيديانا لم تستطع الابتسام. حاولت أن تُميّزَ اللكنة. من
ابن جاءت هذه المرأة؟
سألت مُجددًا: "أين أبي؟".

"سيأتي قريباً جداً"، قال الصوت الأنثوي. "الآن ابتسمي".

ثم أغلقت غطاء التابوت.

حين حملوا أوبسيديانا إلى الميدان، بدت حزينَةً قليلاً، لكن لم
لوقت طويل؛ لأنها في اللحظة التالية رأت وجه أبيها المبتهج يُحِبُّها

حَفْلُ الْاِسْتِقبالِ

"بابا!" صاحَت. "لقد عُدتُ!".

قفزت أوبسيديانا بين ذراعَي أبيها، بَدَا هَزِيلًا، نَحِيلًا، وَأشبهه بِصُورِ
مُدْها. صارت لحيته بِيضاءَ وَشَعثاءَ.

"ماذا حدث لك؟" سألته.

ابتسم دايْمون قائِلًا: "إنه الزمن، يلعب معي الأعيبه". فَقد إحدى
أسنانه، وَقَدْرًا كبيرًا من شَعْرِهِ. نظر إلى ابنته لا يُصدِّق؛ لم تتغيَّر البتَّةُ
منذ أن تركها.

قال: "لقد افتقدتك كثيرًا".

"لقد قُلْتُ إنك ستغيب لعام واحد فقط".

هَزَّ رأسه قائِلًا: "أنا آسف، لقد ظلَّ العالمُ يزيد من صعوبة
الحياة علينا. لكننا اليوم لن نقلق بشأن أي شيء. سنقيم لك حفلًا".

"أهو عيد ميلادي؟".

قال بمرح "لا، اليوم لدينا حفل استقبال. الناس يريدون مقابلة لذلك سوف نحتفل. يجب أن نلهو قليلاً. هيا بنا!".

كان على أوبسيديانا أن تركز تقريباً لتلحق به، وكذلك جاء الساعة الرملية الذي يرتدي السواد. بدا الأمر كأن كل شيء في القدم. يتحرك بسرعة مضاعفة. أسرعاً في الأروقة والخدم يركضون حولها. وكان الملك يتحدث كأنه في سباق مع الزمن:

"هيا الآن. ليس لدينا وقت لنضيّعه! الحفل على وشك أن يبدأ".

حطت أسراب الغربان على أطراف النوافذ. مرّ بها الملك سريعاً وهو يصدر الأوامر لمساعديه، كتبوا أوامره على قصاصات ورقية لتعود بها الغربان.

قال الملك لأوبسيديانا: "سوف أقدمك لأصدقاء جُدد، أتمنى أن تُرحّبي بهم".

انتصبت أدنا أوبسيديانا.

واصل الملك: "لقد قابلت امرأة جيدة تُدعى جنهيلد، وقد انتقلت إلى القصر لتعيش معنا".

"أوه، حقاً؟" أخيراً ذكّر الأمر، فكّرت، لا تعرف هل يسعدها هذا أم يُغضبها.

أضاف الملك: "ولديكِ الآن أختان!".

"أختان؟".

"نعم، سيكون هذا يوماً رائِعاً لك".

قادها الملك دايمون هايطاً السُّلم. كانت القلعة أنيقة ونظيفة. وليس بها رُكنٌ واحدٌ مُظلمٌ. اصطفوا العاملون في القصر في الأروقة

أوبسيديانا. تحمل وجوههم تزلُّفاً وخَوْقًا، وكثير منهم سيكون.
أوبسيديانا وجوه مَن تعرفهم بصعوبة، كان بعض الحُرَّاس الذين
أرهم أَسْمَنَ ممَّا كانوا إلى حَدِّ ما، بتجاعيد أكثر، وحواجب مُشعَّنة
حاجِبِي البومة. الجليسات الشابات اللاتي كُنَّ يقفن في انتظار
أوامر صِرْنَ نساءً بدينات بخصور عريضة. انحنى الطبَّاخون والخدم،
المُرس والموظفون... وكانت هناك ثورديس! تَغَيَّرت بشدَّة، لِحدِّ أن
أوبسيديانا بالكاد تعرَّفَت عليها؛ شعرها الذي كان أسودَ مُعقوصًا
ار ضفيرةً طويلةً بيضاء الآن. اندفَعَت أوبسيديانا نحوها، لكنَّ أحد
الحُرَّاس تقدَّم للأمام وأمسك بها. تراجَعَت ثورديس خطوةً إلى الوراء
وانحنت انحناءً رسمِيَّةً.

"مُرَبِّيتي! ألا تعرفيني؟ لقد عُدْتُ!" تملَّصت أوبسيديانا من قبضة
الحُرَّاس وعانقَت ثورديس، عناقًا أجابته ثورديس ببرودٍ وهي تهمس
بأذنها قائلةً:

"طفلتي العزيزة! ليتني كنتُ أعرف أن كل هذا سيحدث".

أشار حامِلُ السَّاعَةِ الرملية الذي يرتدي السواد بِيَدِهِ، فصاح الملك
بصوتٍ نافرٍ:

"أسرعي! كُلُّ دَقِيقَةٍ لها ثَمَنُها".

قاد أحد الحُرَّاس ثورديس بعيدًا ودفع آخرون بأوبسيديانا إلى
فاعة المرابا، حيث ألبسوها ثوبًا من الحرير الذهبي. ثم قادها الملك
في رواقٍ طويل إلى حيث تنتظرهم سيِّدةٌ طويلة؛ تقف بجوارها فتاتان
بعينين واسعتين وأهداب طويلة تبدو حين تبتسمان كفراشات سوداء
على أزهار بيضاء. انحنت السيدة وقالت:

"إنه لَشَرَفٌ حقيقي لي أن أقضي معكِ بعض الوقت، أوبسيديانا.
أنا جنهيد".

صَوْتُهَا نَاعِمٌ كَأَنَّهَا ابْتَلَعَتْ مَلْعَقَةً دَقِيقًا، لَكِنَّ شَيْئًا غَرِيبًا
ابْتَسَامَتَهَا، أَوْ بِالْأَحْرَى فِي عَيْنَيْهَا الْفَارِغَتَيْنِ.

أَجَابَتَهَا أَوْبَسِيدِيَانَا "طَابَ يَوْمُكَ". ثُمَّ نَظَرَتْ إِلَى أَبِيهَا، وَرَأَتْ
شَعُورَهَا بِأَنَّهَا سَتَنْفَجِرُ مِنَ الدَّاحِلِ، لَكِنَّهَا ابْتَسَمَتْ لَهُ أَيْضًا. لَهَا
عَلْمُهَا ثُورْدَيْسٍ وَچَاكُو حُسْنِ السُّلُوكِ.

نَظَرَتْ جَنْهَيْلِدَ سَرِيعًا إِلَى الْفَتَاتَيْنِ. انْحَنَّتِ الْفَتَاتَانِ وَقَالَتَا بِصَوْتِ
وَاحِدٍ: "طَابَ يَوْمُكَ، أُخْتُنَا الْعَزِيزَةُ".

حَدَّقَتْ أَوْبَسِيدِيَانَا فِيهِمَا. كَانَتْ تَتَوَقَّعُ رَضِيعَتَيْنِ، لَكِنَّهُمَا كَانَتَا أَطْوَا
مِنْهَا. كَانَتَا شَابَتَيْنِ جَمِيلَتَيْنِ لِلْغَايَةِ، بِأَنْفَيْنِ مُنْمَمَتَيْنِ، وَعَمَّا زَتَيْنِ عَمِيقَتَيْنِ.
وَحَاجِبَيْنِ سُودَاوَيْنِ. قَابَلَتْ الْأَخْتَانِ نَظَرَتَهَا بِنَظَرَتَيْنِ مَتَسَائِلَتَيْنِ.

عَمَّعَمَتْ أَوْبَسِيدِيَانَا: "لَكِنَّهُمَا كَبِيرَتَانِ!".

عَبَسَتْ الْفَتَاتَانِ وَبَدَأَتْ إِحْدَاهُمَا تَبْكِي.

"لَا دَاعِي لِلْوَقَاحَةِ"، قَالَتْ الْمَلِكَةُ الْجَدِيدَةُ بِهَدْوٍ. "لَا يَتَسَنَّ،
لِلْجَمِيعِ الْإِبْتِعَادُ عَنِ مَسَارِ الزَّمَنِ مِثْلَكَ!".

شَعَرَتْ أَوْبَسِيدِيَانَا أَنَّ كُلَّ هَذَا حَلْمٌ. كَأَنَّ أَحْلَامَهَا قَدْ التَّصَقَّتْ فِي
رَأْسِهَا كَمَا يَسْتَقَرُّ الطِّينُ فِي قَاعِ زَجَاجَةٍ. لَا بُدَّ أَنَّ التَّابُوتَ قَدْ انْفَتَحَ
عَلَى عَالَمٍ آخَرَ يَحْدُثُ فِيهِ كُلُّ شَيْءٍ بِسُرْعَةٍ شَدِيدَةٍ. كَمْ عَامًا مَرَّ؟
تَسَاءَلَتْ. أَرْبَعَةٌ رُبَّمَا؟ عَشْرَةٌ؟ لَكِنَّ الْأَخْتَيْنِ تَبْدَوَانِ أَكْبَرَ مِنْ هَذَا بِكَثِيرٍ.

انْفَتَحَتْ أَبْوَابُ قَاعَةِ الْحَفْلِ عَلَى مَصَارِيحِهَا فَصَدَرَتْ صَجَّةُ الْحَفْلِ.
أَسْفَلَ الثَّرَايَا الذَّهَبِيَّةِ اللَّامِعَةِ جَاءَ زُعَمَاءُ الْقَبَائِلِ الْمُخْتَلِفَةِ فِي بَانْجِيَا
لِمُقَابَلَتِهَا، يَرْتَدُونَ مَجْمُوعَةً مُتَنَوِّعَةً مِنَ الْأَزْيَاءِ الْوَطْنِيَّةِ. قَدَّمُوا الْهَدَايَا:
عِبَائَاتٌ مِنْ رَيْشِ الطَّاوُوسِ، قِلَادَاتٌ مِنَ الْأَمَّاسِ، يَاقُوتًا وَزُمُرَّدًا،
زِيُولَيْتَ، نَقَانِيقَ رَائِعَةٍ، كَافِيَارَ وَفَاكِهَةٍ، وَنَبِيدًا مُعْتَقًا مِنْذُ مِثَالِ السَّنِينِ

.. البلدان لها أسماء سهلة، مثل بو أو زي، أو أسماء مُعقّدة بسلسلة
المقاطع غير المفهومة.

المرت أوبسيديانا إلى الأشخاص المتأنقين ورات كيف يتهامسون
م ينظرون إليها. لم يرها أحدُهم تسير، أو تتحرك أو تتحدّث
وات طويلة.

حاست إلى المائدة بخجل، واستطاعت أخيراً أن تسأل أباه:
"متى وُلِدت أختاي؟".

فلم أن يمكنه إجابتها، قرع حاملُ السّاعة جرسًا. أشار الملك إلى
كونسيجليو، الذي نهض وأشار بيده إشارة سريعة جعلت القاعة تهدأ
فجأة، كأنهم تدرّبوا على هذا الصمت من قبل. بالكاد تعرّقت
كونسيجليو؛ بدا النحل الذي يصاحبه دوماً مُنهكًا وجلس على
كثايل صفراء. نهض الملك يقف وسرت هممةٌ في أرجاء القاعة.
"كما ترون"، قال الملك، "لم يكن الزمنُ عطوفًا معي؛ لكن لا تقلقوا،
نظّل أوبسيديانا معنا إلى الأبد، أو كما يقول الشاعر:

رفيقة كالسنونو

وديعة كالحمل

جمالها الذهبي يسحر العالم كله".

رفع دايمون ذراعيه، وانزاحت الستائر لتكشف عن حدائق القصر،
حيث يرقص قنّانو الترايز، وأكلو النار والبهلوانات، ويعزف الموسيقيون
ويغنّون. حاوكت أوبسيديانا التواصّل بالعين مع أبيها -لديها أسئلة
كثيرة تتلهّف لِطُرْحها- لكنّه لم يستطع سَماعها من الضّجة. ابتسم
فقط وأشار إلى بعض الستائر الأخرى التي انزاحت فجأة، وركضت
مجموعةٌ زرافات في الحديقة، يُبَقِّع صفراء، وأعناق طويلة ورشيقة،
كانت شيئًا لم ترّه أوبسيديانا من قبل قطّ.

ضحك أبوها، وبَدَت جنهيلد فخورة. فرَّگت أوبسیديانا عبيدها،
 وأمَعنت النظر في أختيها؛ كانتا جميلَتين وطويلَتين، وترتديان ثوباً
 أنيقين، ومع ذلك بدتا حزينتين. انفتح بابٌ ودخل رَجُلٌ بِقَبْعَةٍ غريبة،
 وعباءة ذهبية، مُطرَّزٌ عليها عينان مغمضتان. كان زِيُّه سخيِّفاً،
 لِحْدُ أنها كادت تنفجر بالضحك، لكنها حينها رأت تعبيرات وجهه
 أنضح لها أنه ليس مُهزَّجاً. اقترب الرجل منها، قَبَّلَ يدها و
 بصوت عالٍ ليسمعه الجميع:

"اسمي زي أرشين! تُسَعِدُنِي مُقَابَلَتِكَ جِداً. لقد رأيتُكِ وأنتِ
 تابوتكِ، لكنني لم تَسَسُنْ لي الفرصة للمَسِكِ قط". بدأ يربُّت عِ
 يدها بحرص شديد؛ حاولت أن تسحب يدها بعيداً، لكنه أمسك
 بإحكام. رفعها أعلى رأسها وخاطب الجمع قائلاً:

"لقد أحضرت لكم بركات الأميرة الخالدة! لقد مرَّت بانجيا بالكثير
 من الصعاب على مدار العشرين سنة الأخيرة، لكن الأسرة الملكة
 بِفَضْلِ الأميرة الخالدة- ستَحْكُمُ إلى الأبد. إن قَدُمْتُمْ لها فروض الطاعة
 ستضمن لكم رضاء الآلهة عنكم إلى الأبد. إنها صقر الفردوس، إنها
 زهرة الألبينو. إنها أقوى من المواسم والأيام والليالي. رغم ولادتها
 أكثر من خمسة وثلاثين عاماً، ما زالت في الرابعة عشرة من عمرها
 إنها الدليل الحيُّ على خضوع كلِّ شيء للملك دايمون، حتَّى الزَّمَن!"
 ابتسمت جنهيلد، وَصَفَّقَت بِسعادة، وكذلك أميرتها. هَلَّلَ الحضور
 لكَرَّت جنهيلد أوبسیديانا، التي انحنى لها. لم تَكُن تُصَدِّقُ أذنيها.
 هل ظلَّت في التابوت لعشرين سنة؟ هل كان عمرها خمسة وثلاثين
 عاماً؟ نظرت إلى أبيها. نعم، إنه أكبر من آخر مرَّة رأته فيها بعشرين
 سنة بالفعل.

"أنت تخطئ الفهم"، هَمَسَت أوبسیديانا لأبيها. "أنا لم أكن مع
 الآلهة!"

بمئات مجموعة من الكهنة تسير نحوها بهيئة بخطوات غريبة
الرقص. أخذ قائد المجموعة يدها وقادها عبر القلعة إلى الشرفة
على الميدان. كانت حشود الجماهير تقف أمام القلعة، تصيح:
"لها الأميرة أوبسيديانا!".

مدقت مذهولة في الحشد الكبير الذي يلوح بالرايات؛ لم تر شيئاً
من قبل. جالت بعينها في الزحام، حتى رأت فتى يقف على
ود طويل ويلوح براية برتقالية. هذا الفتى يشبه أنوري، فكّرت،
م منحت الجَمْع أفضل ابتسامتها ولوّحت. جُنّ جنون العامة، وعلا
وت تهليلهم. الأميرة التي بدت نائمة طوال تلك السنين كانت تقف
أمام شعبها، تبدو مُفعمّة بالحياة.

فُرعّت أجراس المعبد بالخارج. ظهرت ملايين السنونوات كغيمة في
السماء، تدور وتنعطف لتشكّل حروفاً وزهوراً، وكونسيجليو يقودها
المابسترو. انفجرت أوبسيديانا في نوبة ضحك مُجلجل بعينين مُتسعّتين
اندهاشاً.

عادوا إلى قاعة المأدبة، حيث آلاف الخدم يقدمون أفضل الأصناف.
انسوا قد نظّموا كلّ جزء ضئيل من الثانية بأدق التفاصيل. وكان حامل
الساعة الرملية يقرع جرسه على فترات منتظمة، وبدا أن إيقاعه
يسارع شيئاً فشيئاً لئسرع المأدبة شيئاً فشيئاً. أكل الناس وضحكوا
والتحركوا بسرعة، وبإيقاع يُنم عن أن المأدبة بكاملها تمّ الثمرن عليها
من قبل. كيف يمكنهم الضحك بهذه السرعة؟ تساءلت أوبسيديانا.

انسوا جميعاً كلّ أحزانهم الآن. صدرت موسيقى تُعلِن عن بدء
الرقص، وسرعان ما كان الشبان يلحون على أوبسيديانا لترقص معهم،
وهكذا دارت بها تلك الليلة كعجلة ملاهي كبيرة، ونست كل شيء
عن الزمن. كانت من حين لآخر تلمح أباه يقف في غرفة جانبية

مع مجموعة من الرجال المهمين، كان أحدهم يُلَوِّح بيده، بعد
واضحة. تساءلت إن كان ذلك يعني أخبارًا سيئة. أخذ أحدهم
"اسمي أوري، ابن دوق السهول. هل تُشرفينني بهذه الرقعة؟"
نظرت في عينيه الجميلتين الزرقاوين الرماديتين، وسرعان ما
تدور معه بحماسٍ على رقعة الرقص. حين لمحت الدوق والما
يراقبانهما باستحسانٍ احمرٌ وجهها خَجَلًا، وَسَمَحَت لأوري بأخاه
في جولة رقص أخرى. كانت لتحب أن تتوقف وتتحدث معه، ال
حامل الساعة قرع الجرس؛ فقبل أوري يدها واستأذنها في الانصراف
ظهرت الجليسات يرتدين أثوابًا بيضاء وأخذنها إلى غرفة نوم، ح
وضعتها في فراش بأغطية حريرية؛ رَقَدَت ونظرت لأعلى إلى السه
بابتسامة على شفقتها. جاء أبوها ليتمنى لها ليلة سعيدة. جاء
حامل الساعة الرملية أيضًا.

"كان يومًا جميلًا جدًّا"، قالت أوبسيديانا. "أنا سعيدة بعودتك".

دخل الملك في الموضوع مباشرة، وعينه على الرمل المتسرب من
أعلى الساعة الزجاجية.

"أنت متعبة بعد يوم طويلٍ عزيزي. أخشى أنك ستضطرين إلى
النوم في فراشك الليلة؛ ظنني أنه لا يوجد نوم في التابوت".

لَفَّها جيّدًا في الغطاء، لكنها سألته بقلق:

"لماذا تركتني عشرين سنة؟".

سَهَم دايون ببصره في الفراغ.

"لم يُقْضِك أيُّ شيء في تلك السنين. لم تكن سنين جيّدَةً بالنسبة إلينا.
يجب أن تكون جميع أيامك أيام سعيدة".

١١٠. "قد يبكي المرء حتى ولو كانت الشمس تُشرقُ بالخارج"،
"وقد يضحك حين تمطر وتُعصفُ. أنت لم تخبرني بشيء عن
ه. ا. د. وأختي".

لم يأتِ الوقت المناسب قط. أردنا أن نفعل ذلك بشكلٍ لائق.
استغرقت جنهيلد عامين لتنظيم هذا اليوم. أرادتكِ أن تستمتعي
هكذا يجب أن تكون جميع أيامكِ، بُنيّتي العزيزة، وهكذا يمكن
الأمون".

الطبع ليس الغد كذلك؟".

"لا... غداً سيقضون اليوم في تنظيف القصر، وسوف يكون الناس في
المعبد. ستكونين مع الآلهة غداً".

المعبد؟ فكّرت. "لا! ليس بعداً! ليس بعداً!".

"لقد جاء إليّ مُفوضون من جبال السُحُب بالأمس. توجد حالة
واري هناك وعليّ أن أذهب لهم غداً. مستقبلنا في خطر".

"لا! لا تذهب! ماذا سيحدث لي؟".

"سنقضي معاً يوماً رائعاً آخر قبل أن تلاحظي غيابي حتّى. لا
المضي بشأن الزمن. الفانون فقط مَن يعانون من هذا".

هزّت أوبسيديانا رأسها.

"لا أريد أن أذهب إلى الميدان"، همست.

نهضت وحدقت في أبيها. نظرت إلى يديه وشعره، تجاعيد وجهه
العميقة، وعينيه المنهكتين. وجدت صعوبةً في توفيق صورته هذه مع
ذكرياتها الأحدث عنه.

كان الملك على وشك أن يجيبها حين تنحج حامل الساعة.
"جلالتك! الوقت يمرُّ!".

قالت أوبسيديانا: "إن ظللت في التابوت دائماً ستموت قبلي بـ١٠
طويل".

"ماذا تعنين؟"

"ستركني صغيرة للغاية حين تموت".

تنهد الملك وقال: "إن العالم كله يُحبك، وسيظلُّ يُحبك إلى الأبد...
حين أغلب الناس لا يُحبهم سوى القليلين، ولوقتٍ قصير فقط".

"لكن چاكو قال إنه من الأفضل أن يُحبك شخص واحد فقط،
أنت تُحبه من أن يعبدك ملايين لا تعرفهم! ما قيمة الحب إن لم يـ...
متبادلاً؟".

"ستقابلين أشخاصاً سيولدون بعد مائة عام وألف عام من الآن...
من المولم أن تظلي تودعين من تعرفينهم، لكن الأسوأ أن تراقبي وقتاً
يضيع ويذهب سدى. إن الأوقات السعيدة في انتظارك".

وجدت صعوبة في التنفس.

"لكن لماذا؟ لماذا يجب أن تكون المملكة كبيرة للغاية؟".

"إن الملوك الضعفاء يعانون أقداراً قاسية، بُنيتي العزيزة. هكذا
هو الأمر. إنه عالم قاس".

"لكنك ملك العالم بأسره! يمكنك وقف القسوة!".

مسح دايمون دمعته من عينه.

"أنا أحارب من أجل عالم أفضل. هذا ما أعدك به".

"أريد أن أتمنى لثورديس ليلة سعيدة".

"ثورديس؟" قال الملك شاردًا. "نعم، يمكننا ترتيب هذا إن شئت.

لكن ليس لوقت طويل!".

لمت على رأسها، وأحكم لَفُّها بالغطاء. انتبه لنفسك جيّدًا في
الليلة، فكُرت أوبسيديانا وهو يغادر؛ لكنها لم تَقْلها؛ كان لديها عُصّة
في حلقها أعجزتها عن الكلام.

الغدت مستيقظةً في فراشها، بدا اليوم في رأسها كمياه مليئة
بالهاليع. ابتسمت لنفسها وهي تفكّر في حفل الرقص وجميع أبناء
اللاء؛ لم ترقص بهذا القدر خلال أمسية واحدة قط. مع ذلك بدا
الكل شيء حزينًا... إلى متى ستظل في التابوت هذه المرة؟

سمعت خطواتٍ خفيفةً في الخارج. ظهرت ثوردیس عند عتبة
الباب، وسارت إليها على أطراف أصابعها. ربّنت على أوبسيديانا برقة
في جبينها.

قالت: "لقد بذلت كل ما في وسعي طفلي العزيزة".

اغرورقت عيناها بالدموع وأوبسيديانا تعانقها.

قالت: "أنا أتذكّر أوّل مرّة أخذتك بين ذراعي. أتذكّر حين بدأت
السيرين وتحدثين. كنتِ طفلةً خفيفةً الظلّ وأنتِ تركضين في القصر
مع الباندا. الآن فجأة مرّت كل تلك السنين!".

"أرجوك، هل يمكنكِ التأكّد ألا أظلّ لوقت طويل جدًا في التابوت".

أطلّقت ثوردیس تنهيدةً عميقة.

"مع أنني أرضعُكِ، لكنكِ لستِ ابنتي. لم يُعد لديّ طاقة الآن،
طفلي الصغيرة. أنتِ ربّة. أنتِ معبودة. لا يستطيع الملك إخراجكِ
حتى ولو أراد"، همست ثوردیس.

"ماذا تعنين؟".

"أنتِ سبب بقاء المملكة. القرابين تُنفق على الدفاع. المدد،
تعتمد على ما يقدمه مَنْ يعبدونك، ولولا وجودك في الميدان يومئذٍ
لكان الملك قد هُزِمَ منذ وقت طويل. حسابات إكسل تُثبتُ هذا
دخل حامل الساعة وقال بِحِدَّة:

"يجب أن تنام في الحال. التعليمات صارمة!".

"تأكّدي أن تنتهي جيّدًا لنفسك"، قالت ثوردريس، وَقَبَلت جبينها
"لا أعرف إلى متى سأظلُّ معكِ".

وهكذا سقطت أوبسيديانا في النوم. بدا الأمر الآن كأنَّ سَدًا
انهار، وعصفت برأسها عشرون سنة من الأحلام كإعصار تسونامي
رأت أنوري يزداد طولًا كحَبَّة فولٍ تنمو وتخضُرُ. ظَلَّت ترقص مِم
الأقزام والزرافات، ثم فجأةً صارت تسبح، ثم تحوَّلت المياه إلى رمال،
وابتلعتها الدوامَةُ في ساعة رملية. سَقَطت في فسحة في الغابة حين
كانت أمها تجلس بوجهٍ حزين، فتَحَّت عينيها على وسعهما وقالت
"احذري!".

حاولت أوبسيديانا أن تمُدَّ يدها إليها، لكنها شعرت بنفسها غارقةً
في عرق بارد. لم ترغب في الاستيقاظ، لكنها حين فتحت عينيها رأت
جنهيلد تقف هناك، بشفتين مزمومتين. تقلَّبت في رقدتها، ولَفَّت
نفسها بالغطاء جيّدًا. حين وابتها الشجاعة لتنظر مرَّةً أخرى كانت
زوجة أبيها قد ذهبت.

لَيْلٌ وَنَهَارٌ

كانت أوبسيديانا تخشى العودة إلى النوم. وكانت تريد أن تفكر. كانت أصوات الفجر قد بدأت بالفعل، لكنَّ القصر لن يستيقظ لعدة ساعاتٍ أخرى. أضواء مصباحًا. كان الرقم يلاحقها: عشرون سنة! أخذت مجلِّدات يومياتها من على الرفِّ. كان هناك خمسة وثلاثون مجلِّدًا، لكن خمسة عشر منها فقط ما كانت مألوفةً لها؛ عشرون منها خالية تمامًا، صفحة خالية تلو الأخرى. قامت بالحسابات:

"365 يوم في السنة. هذا يعني 3650 في عشر سنوات، وفي عشرين سنة... 7300 يوم".

حاولت أن تتخيَّل 7300 يوم. أغمضت عينيها وقالت بصوتٍ عالٍ،
بطيء ما أمكَّنها:

"تُشرق الشمس. نهار. تعبر السماء. تغرب. ليل".

حتى ألمها مِعْصَمُهَا. قَلَّبَتْ صفحاتِ الدفتر، تُحصي. 365 نهارًا. ١٢٠٠
ليلاً. هذا ما تبدو عليه سنة واحدة. فاتها أكثر من عشرين ١٠٠
مُمَثِّل كُلِّ كَلِمَةٍ واحدة يومًا كاملاً يشمل ساعاتٍ ودقائقٍ ولحظًا،
أمطارًا وعواصفَ، شَمْسًا وَسُحُبًا، قَوْسَ قزحٍ ورَعْدًا وشرنقاتٍ صارٍ،
فراشاتٍ. حَطَّت في عرض إحدى الصفحات بحروف ضخمة

نهار

وفي الصفحة التالية

ليل

جُنُّ جنونها. كيف يفعلون هذا بها؟ كيف يجروون! رأت صرصرًا
يجري بسرعة على الأرض ويتوقَّف، سَحَقَتْه بقدمها الحافية.

فكَّرَتْ في بيبك وموون. تساءَلَتْ عن فترة حياة الغزلان. فتحة
الباب، خرجت إلى الرِّوَّاق، وراحت تركض في ظِلْمَةِ القصر، حتى
خرجت أخيرًا إلى الحدائق. نَظَرَتْ حولها. لم يَبْقَ من البرِگَةِ شيء سوى
حدودها، جَفَّت، وَثَمَّ العشب في قاعها. لم يَعدْ هناك أسماك ذهبية
سَمِينَةٌ، لم تجد خرَّتيتها وفيلها الضَّئِيلَيْن في أي مكان.

"أوه لا!" هَمَسَتْ.

جَفَّت غابَّتُها الصغيرة؛ صارت مُجرَّدَ جذوعٍ مُتَاكِلَةٍ.

"بيبك! موون!" هَمَسَتْ، لكنهما لم تأتيا إليها.

حبَسَتْ دموعها.

"بيبك! موون! أين أنتما؟"

كان باب غرفة چاكو مفتوحًا. تسلَّلت إلى الداخل بحَدَرٍ، لكنها بدلًا
من رؤية چاكو العجوز لم تجد سوى غرفة مَخزِنٍ مُتْرَبَةٍ؛ مُعلَّقٌ على
جدارها شعار قديم: كُلُّ يوم هو جوهرة غير مصقولة.

مررت بغضة في حلقها. هل مات جاكو؟ أرادت أن تتحدث مع
غادر الضيوف جميعًا، لكن روائح الحفل ما زالت عالقة
.هواه. بحثت في الغرف والقاعات حتى وجدته في مكتبه أخيرًا.
عند عتبة الباب ونظرت إلى الداخل. كان الملك يذرع الغرفة،
مُرمد. معه إكسل وكونسيليو، وبعض ضباط الجيش الذين لا
هم، ورجلان رأتهم في الحفل، يرتديان زيًا وطنيًا مُميزًا.

قال الملك "لا؟ ماذا تعني لا؟ هذا مُرُد!"

"جلالتك"، قال أحد الرجلين، "لقد ضج الناس بنا. إنهم لا يرسلون
لأنهم لا يجدون ما يأكلونه!"

"سنذهب إليهم على الفور"، هدر دايمون. "سنلقنهم درسًا".

اشتعلت عيناه بالغضب وتكوّرت قبضاته، بمفاصل أصابعه البيضاء.

قال الرجل: "رحمتك سيدي. يوجد هناك نساء وأطفال".

"لا رحمة بهؤلاء الذين يتوارون خلف النساء والأطفال!"

قال الرجل الآخر: "أنا أعترض جلالتك".

"يا حُرّاس، ألقوا القبض عليه!" صاح الملك. "ألقوا به إلى الأسود!"

تنحّت أوبسيديانا جانبًا واختفت خلف عامود رخامي. قاد الحراس
الرجل في الرواق وحبست أوبسيديانا أنفاسها وهم يَمْرُون بها، لكن
الرجل رآها فارمى عند قدميها.

"لماذا أنتِ بهذه القسوة؟ ماذا فعلت لكِ؟ رحمتك بي، أيتها الأميرة
الخالدة!"

بدا الحراس خائفين منها هم أيضًا لكنهم لم يجرؤوا على مخاطبتها؛
وقفوا جامدين يحدقون فيها كأنهم ينظرون إلى شبح.

"كنتُ فقط أبحث عن كوب ماء"، همست. "كنت ظمأنة".

ثم ركضت مُبتَعِدَةً. كان أبوها يحارب من أجل عالم أفضل، لذا لماذا كان غاضبًا بشدة هكذا؟ هل سيلقون بالرجل إلى الأسود حيا؟ ما زال القصر مُظلمًا. نعبت الغربان على أطُرِ النوافذ التي تعلوها عليها، ورفرفت بأجنحتها. حين عادت أوبسيديانا إلى قاعة نومه، سمعت أصواتًا في الرُواق وتوقفت لتتسمع؛ كانا جنهيلد وأرشن بدأ صوت جنهيلد حزينًا وهي تسأل: "لماذا لا تحبني؟".

قال أرشن: "تقول الأميرة الخالدة إنَّ عليك أن تحسني أفعالاً عليك أن تنتبهي لأفكارك".

"لكنني حاولت إرسال أفكار جيِّدة إليها".

همس أرشين: "إنها تعرف أنَّك تحقدن عليها، الأميرة الخالدة تعرف أنك تكرهينها".

"أنا لا أكرهها، أنا فقط لا أفهم لماذا لا تحب فتاتيَّ الصغيرتين".

"أنت تعرفين أنهما فانيتان"، قال أرشن. "لو تعاملت أوبسيديانا مع الفانين ستمتلي أيامها بالحزن والغم، وسيضيع وقتها هباء. يمكنكن تناوُل الإفطار معها، لكن الآلهة يحتاجونها الآن. من الضروري للغاية أن تعود إلى التابوت في أسرع وقت ممكن!".

تجمدت أوبسيديانا. أكانوا جميعًا يفقدون صوابهم؟ سمعت صوت جياذ على وشك الانطلاق بالخارج، فركضت إلى النافذة. تتوهج الشعلات في الفناء الأمامي للقلعة. الملك وحاشيته كُلُّها على وشك الانطلاق. لا! فكّرت. لا يجب أن يذهب! صاحت بأعلى صوتها، لكنه غرق في نفير البوق العالي:

"انتظر، بابا! لا تذهب الآن! أريد أن أخبرك...!".

..نار الملك خلفه.

سأعود خلال لحظة!"

..حمل الريب عن المدينة. خفتت أصوات الضجة ونقر الحوافر.
..ان ما اختفى الملك دايمون خلف الجبال والأهوار، خلف
..ساري والمحيطات، خلف الأفق البعيد. عادت أوبسيديانا إلى
..انها. استغرقت وقتًا طويلًا لتعود إلى النوم، وحين أغمضت عينيها
..لم تر شيئًا سوى شريط بلا نهاية من كلمتي ليل! نهار!

الأختان

أيقظتها أربعُ جليساتٍ مِمَّنْ يَقِفْنَ فِي انتظار الأوامر، واحدة تحمل
مُطًا، وأخرى تحمل ثوبًا، والثالثة تحمل سُرَّةً صوفيَّةً، والرابعة
تحمّل تاجًا مُرْصَعًا بِالزُّمْرُد. اقتربن منها برسمنيَّة، حركاتهن دقيقة
ومتوجِّسة.

"أين مُرَبِّيتي؟" سألت، لكنهنَّ لم يُجِبْنها.

"أين ثورديس؟" سألت مرَّةً أخرى.

تراجعت النساءُ خطوةً للوراء، ونظرنَّ إلى أقدامهنَّ.

"لماذا لا تُجِبْنيني؟".

نظرنَّ بعيدًا. اقترب صوتُ خطوات، ثم دخلت جنهيلا الغرفة.

"جئتُ لأراكِ الليلة الماضية"، قالت جنهيلا، "كنتِ تنادين على
أمك".

"نعم، لقد جاءت إليّ في الحلم".

"أنتِ مثل أبيكِ تمامًا؛ في الأوقات النادرة التي ينام فيها، هو أيقظكِ
يناديهما".

"أين مُرِّيْتِي؟"

"إنها تعمل في المطبخ الآن".

"يجب أن أراها!".

"أخشى أنه لا يوجد وقتٌ لهذا؛ لأننا سنتناول الإفطار".

ذهبتا إلى غرفة الطعام، حيث كانت الأختان في انتظارهما. انحنى
الخدّم لأوبسيديانا، لكنهم تجنّبوا النظر إليها مباشرة. بدا أن الفتاتين
لديهما عقارب في فمّيهما؛ إذ كانتا تبصقان سُماً مع كل كلمة.

"أتذكرين حين أهدانا بابا الغزالة البيضاء"، قالت إحداهما.

"نعم"، قالت الأخرى، "أنا أفتقد ببيك وموون".

شعرت أوبسيديانا بطعنة خنجر في معدّتها. أكانتا تعرفان ببيك
وموون؟

"أتذكرين حين ذهب معنا دايهون إلى الصيد؟"

سألت أوبسيديانا: "ألم يَكُنْ أبي بعيدًا في الحرب؟"

"لا، ليس دائماً".

"لماذا لم يسمح لي بالذهاب أيضًا".

قالت الملكة: "أنتِ لا تغارين بالطبع؟"

"لا، لكنني أتمنى لو كنت قد ذهبت أنا أيضًا".

"أنتِ الآن جاحدة. إنك معبودة وخالدة وما زلتِ تريدين المزيد!".

ظَهَرَ أَوْسَيْدِيَانَا إِلَى يَدَيِ الْمَلِكَةِ وَهِيَ تَتَحَدَّثُ؛ بَدَأَتْ مِثْلَ الْأَفْرَعِ
وَوَجْهًا. وَضَعَتْ جَنَهِيلِدَ يَدَهَا عَلَى كَتِفِ أَوْسَيْدِيَانَا وَنَقَرَتْ بِأَصَابِعِهَا
تَسْتَعْجِلُهَا. التَّفَقَّتْ أَوْسَيْدِيَانَا وَرَأَتْ حَامِلَ السَّاعَةِ يَقِفُ بِوَجْهِ شَاخِبٍ
الرُّكْنَ. بَدَأَتْ تَتَنَاوَلُ إِفْطَارَهَا بِسُرْعَةٍ لِحَدِّ أَنْهَا أَسْقَطَتْ كُوبَ اللَّبَنِ
فِي الْمَكَانِ. صَاحَتِ الْمَلِكَةُ:

"أَيُّهَا الْخَدَمُ! أَسْرِعُوا بِكُوبِ آخِرِ! لَا تَتَلَكَّؤُوا! إِنَّهَا فِي حَاجَةٍ إِلَى كُوبٍ
أخْرٍ، يَجِبُ أَنْ تَذْهَبَ إِلَى الْمَعْبَدِ قَبْلَ مِنتَصَفِ النَّهَارِ".

هَزَّتْ أَوْسَيْدِيَانَا رَأْسَهَا.

"لَا، لَنْ أَعُودَ إِلَى الْمَعْبَدِ!".

نَظَرَتِ الْمَلِكَةُ إِلَيْهَا وَقَالَتْ:

"بِالْأَمْسِ كَانَ فِي الْمِيدَانِ نِصْفَ مِليُونِ شَخْصٍ! جَاءُوا مِنْ أَمَاكِنَ
عِدِّ شَهْرًا. الْمَلِكَةُ فِي حَاجَةٍ إِلَيْكَ! الرِّجَالُ فِي الْحَرْبِ يَنْتَظِرُونَ
الْإِمْدَادَاتِ الَّتِي لَنْ تُرْسَلَ إِلَيْهِمْ مَا لَمْ يَجِدْكَ النَّاسُ فِي مَكَانِكَ فِي
الْمَعْبَدِ. لَا تَفَكَّرِي فِي نَفْسِكَ فَقَطْ".

"لَا، لَا أُرِيدُ"، قَالَتْ أَوْسَيْدِيَانَا. "لَا أُرِيدُ!".

نَظَرَتْ حَوْلَهَا تَبْحَثُ عَنِ مَهْرَبٍ.

قَالَتْ الْمَلِكَةُ: "أَيُّهَا الطِّفْلَةُ الْجَاحِدَةُ!" ثُمَّ سَحَبَتْ شَعْرَةً رِمَادِيَّةً
مِنْ رَأْسِهَا وَأَشَارَتْ إِلَى سِنِّ ذَهَبِيَّةٍ فِي فَمِهَا. "انظري إليّ، أَنْظِنِي أَنَّنِي
أُرِيدُ أَنْ أَتَقَدَّمَ فِي السِّنِّ كَأَيِّ خَادِمَةٍ؟ أَلَا تَظْنِينِ أَنَّنِي أُرِيدُ تَابُوتًا لِفَتَاتِي
أَيْضًا؟ لَقَدْ وَدَّعَكِ الْمَلِكُ قَبْلَ أَنْ يَغَادِرَ، لَكِنْ هَلْ وَدَّعَانَا نَحْنُ؟ لَا، لَمْ
يَفْعَلْ!".

نَظَرَتْ أَوْسَيْدِيَانَا إِلَيْهَا. شَعُرَتْ بِالْأَسْفِ نَحْوِ الْمَرْأَةِ الْغَاضِبَةِ؛
وَلَوْهَلَةَ رَاوَدَهَا الْأَمَلُ، فَقَالَتْ بِرَفْقٍ وَهَدْوٍ مَا أَمَكْنَهَا:

"لَتَأْخُذِ الْفَتَاتَانِ التَّابُوتَ! يَمَكْنُهُمَا الْإِحْتِفَاطُ بِهِ!".

لكن الملكة ازدادت غضباً بدلاً من أن تلين.

"أتظنين أن الناس سيقبلون بهذا؟ إن ابنتي ليست الأميرة الخالصة،
ألا تظنين أنني طلبت هذا من قبل؟".

أزت كلماتها في رأس أوبسيديانا. أغمضت عينيها ورأت نجومًا بيضاء خلف جفنيها.

قالت جنهيلد، بنبرة أهدأ إلى حد ما: "ألم يكن حفل الاستقبال ممتعاً؟".

"بلى، كان كذلك".

"ألم يكن على شرفك؟"

"بلى".

"أتظنين أنه من الجيد أن تتصرفي بهذا النحو مع من قدم عامين في التحضير ليوم كهذا لك؟ أخبرني أرشن كيف تريدين اليوم بالتفصيل".

كانت جنهيلد تتحدث بحدّة وتجرّ على أسنانها، لكن أوبسيديانا أصرت على التحدّث بهدوء، فرسمت أروع ابتساماتها على وجهها وسألتها:

"أتسمحين لي من فضلك بقضاء يوم آخر؟ مجرد يوم عادي. ليس عليك التحضير لأي شيء".

احمرّ وجه جنهيلد.

"أوه، شكرًا لك"، قالت بحنق. "الأمر إذاً سواءً لديك إن كان التحضير لليوم قد استغرق عامين أم لا! لكن ماذا عن الناس بالخارج؟ أتريدين إبقاء الملايين في انتظارك فقط لتقضي يومًا عاديًا؟ سيجن جنون الجميع! قد يتسبب هذا في هلاك آخرين!".

هَلَزت أوبسيديانا في التابوت. نعم، في هذه اللحظة، تَوَدُّ حَقًّا
اهلق على نفسها فيه وتترك تلك المحادثة لتتبخر في الهواء. من
الأسح أن أرشن يخبر جنهيلد بقدر كبير من الكلام الفارغ.
"هل شَكَرتني على ما فعلته لك؟".

راد الأزيز في رأس أوبسيديانا.

"هل سألتِ عن اسمي أختيكَ؟".

"لا"، قالت أوبسيديانا بهدوء، حَجلَةً قليلاً. "لم يُتَخ لي الوقتُ لذلك
أولاً، كان الكثير جدًّا يحدث".

"أنتِ أنانية للغاية. إن اسميهما سلفر ويلو، وجولد ويلو. لقد
نسيتي والدك بكل شيء من أجلك. إنه يحارب الأرض ذاتها، التي
نسمت إلى نصفين بسببك أنتِ في الأساس!".

"بسببي أنا؟ ماذا تعنين؟".

"انقسمت الأرض بسببك، والآن تريدين إبقاء الملايين في انتظارك
لممكنك قضاء يوم عادي!".

اندفعت جنهيلد تغادر القاعة بعصبية، صَفَقَت الباب خلفها. جاء
سبعة كهنة لاصطحاب أوبسيديانا إلى التابوت. حاوَلت الهرب، لكنهم
أمسكوا بها. نُبِتت قدميها في الأرض وصاحت:

"لا! لن أذهب إلى التابوت!".

خدشت أحد الكهنة، فسأل دم، فتمتم: "شكرًا لك، عزيزتي، شكرًا
لك"، كأنه مُمتنٌّ للغاية.

أمسكوا بها من ذراعيها وقدميها ورفعوها في التابوت. قاوَمَت
وارتسمت على وجهها تقطيعاً قبيحة وهم يغلقون الغطاء؛ بَدَت

كساحرة شريرة. أعادوا فتح التابوت على الفور ورأت أوبسيدا
جنهيلد واقفة تكاد تبكي.

قالت جنهيلد: "من فضلك تصرّف في بشكل لائق! أنتِ جاسدة
ومُدلّثة!".

حاولت أوبسيديانا الخروج من التابوت لكن جنهيلد دفعتها
نغزت أظافرها في صدرها. انغلق التابوت وأوبسيديانا تنظر شذرا
زوجة أبيها. وهكذا تجمّد على وجهها تجهم مخيف.

نظرت إليها زوجة أبيها بازدراء وقالت:

"أخيراً سيراك الناس على حقيقتك. أرشن! أيها الكهنة! احملوا
الساحرة إلى الميدان!".

الزَّمَنُ المِتَّجَمِدُ

نوقفت جريس عن القراءة، وذهبت إلى المطبخ لِتُعِدَّ لنفسها
:وب قهوة. جلس بيتر صامتًا في ركن. كان يتذكر كيف آل به الأمر
ه. ؟! في بيت امرأة عجوز في مدينة أشباح؟

كان يوم سبت عاديًا حين قرع جرس الباب وفتح الباب ليجد
رجلاً بشعر ناعم مُصْفَف بعناية يَقِفُ عند العتبة؛ كان يرتدي بذلة
مُهَطَّطَةً ونظارة شمسيَّة، وكان شعره مُلتصِّقًا برأسه بشدَّةٍ لِحَدِّ أنه
لن يتحرك حتى ولو هبَّ إعصار.

"هل والدتك بالداخل؟"

نادى بيتر على أمه.

أخرج الشاب ذو الشعر الناعم صورة فوتوغرافية أبيض x أسود
لرجل بشعر حليق وابتسامة بلهاء إلى حَدِّ ما.

"هل رأيت هذا الرجل من قبل؟".

قالت والدة بيتر: "لا، بعد إذنك"، وحاوَلت إغلاق الباب لكن الرجل وضع قدمه ليمنعها.

"عُذراً، سيدي العزيزة، لكنني لم أخبرك بالأمر كُلّه. أنا أقوم باستبيان لشركة صندوق الزمن".

فتَحَت الأم الباب قليلاً وأراها الرجل الصورة مُجدِّداً. "هذا هو إيجور الرهيب. كان لِيصاً وسَفَاحاً شهيراً في روسيا".

"رَبِّي! هذا فظيع".

وقف بيتر بعيداً يستمع؛ كان صديقه سكايلر في البيت معه يلعب بهاتفه المحمول.

"هذا الرجل الكريه سرق أموال نساء فقيرات وصنع النقانق واللحم المفروم من لحم ضحاياه".

دَقَّقَت الأم النظر في الصورة وقالت: "يَصْعُبُ تصديق هذا، لا يبدو عليه أنه يعرف كيف يُعِدُّ النقانق".

قال الرجل: "المهم هنا أنه محكوم عليه بالسجن لخمسَ وعشرين عاماً".

سمع سكايلر ما قاله الرجل؛ فكتب على جوجل في الهاتف المحمول "إيجور الرهيب" و"نقانق" لكنه لم يجد شيئاً. عرض نتائج البحث على بيتر.

"ماما، إيجور الرهيب لا وجودَ له"، همس بيتر.

قال الرجلُ مرتبِّكاً قليلاً: "حسنًا، لم يَكُن سَفَاحاً بالمعنى الحرفي، لكنه كان يعمل في بَنكِ وتسبَّب في إفلاس عائلات كثيرة".

"كيف فعل هذا؟".

"اتباعَ لنفسه بذلةً فَخْمَةً، وصمّم موقعاَ على الإنترنت بعنوان
"الدة أكبر دوت كوم". فأودع آلاف الأشخاص مُدخراتهم لديه، ثم
• رب بالأموال كلها. حكم القاضي عليه بالسجن خمسة وعشرين
• اماناً".

"يا له من رَجُلٍ بَشع! أهذا حقيقي، بيتر؟".

بحث سكايلر عن الأمر في الهاتف المحمول.

"نعم، حقيقي، ما عدا أنه لم يُحكم عليه بالسجن". حينها ارتبك
الشاب حقًا؛ هذان الولدان يزعزان ثقته في نفسه.

"لكنني الآن يجب أن أسالك سؤالًا واحدًا فقط نيابةً عن شركة
...دوق الزمن". قال وهو يُخرج مَلْفًا من حقيبتَه بسرعة ويشير
إليه إلى مُربّع اختيار الصندوق الملائم. "لماذا لست أفضل من
موظف بنك مختلس أو آكل لحوم البشر؟".

قالت والدة بيتر مذهولة: "ماذا تقصد بِحَقِّ الأرض؟".

بدا أن الشاب مدرَّبٌ جيّدًا على فَنِّ مفاجأة الآخرين، وقد أمسك
الآن بزمام الأمور.

أضافت: "هذا كلّه كلام فارغ!" وهَمَّت بِصَفْقِ الباب في وجهه.

قال الرجل: "المهمُّ هنا أنك سجينه! أنتِ سجينه الزمن!".

كان هذا قِمةً المهزلة حَقًّا.

قالت والدة بيتر: "عُذْرًا أيُّها السيد، لكنني امرأة مشغولة، وليس
لدي وقتٌ للمُبَشِّرِين".

"أنتِ سجينه الزمن! النشرة الجوية مَثَلًا، تقول إن الأسبوع القادم
سيكون غائمًا بأكمله. وماذا ستفعلين إن ظلَّت تمطر لبقية الصيف؟

لا شيء؟ ستقضين الحكم عليكِ بالسجن فقط! سيكون الصيف الممكنا
سجنتكِ. لقد حُكِمَ عليكِ بالسجن!"

"صحيحٌ. لقد فاض بي الكيل بالفعل."

"تخيّلي فقط"، قال، يرفع صوته ليؤكد على خُلاصةِ كلامه، "إنّ الأثني
الاثني تُشكّلُ السُّبُعَ من حياتك؛ فبراير ونوفمبر يمثّلان السُّدسَ، وأما
الشتاء الطويلة الغائمة تُمثّلُ رُبْعَها. في نهاية حياتك ستفكرين: أوه
هل قضيت ثلاثين عامًا في المطر والوحل؟ ضاعت أيامي! ضاع العمر،
أين مضى؟"

ثم صدرت نغمة مرحة، انفتحت باب شاحنة توصيل تقف أمام
المنزل، وخرج منها رجلان يحملان تابوتًا أسودًا بحجم دولاب رف،
"أي شيء يوضع في هذا الصندوق يكون بمنأى عن الزمن. هكذا
النظر في النشرة الجوية ليوم الاثنين القادم، وإن لم يُرَقِّكِ الطقس...
يمكنك أن تضبطي المنبئة في التابوت مثل مُنبئه الساعة ثم تقولي
"وداعًا يا أصدقائي! أراكم يوم الخميس!"

نهض والد بيتر عن حاسوبه، وجاء إلى الباب. حينها بدأ مندوب
المبيعات كالسّاحر بالفعل وهو يدور حول التابوت، لا ينقصه سوى
منشار، عباءة، وقبعة عالية.

"لم يتبقَّ على نوفمبر الآن سوى وقتٍ قصير"، قال وهو يُمثّلُ أن
يرتجف. "لم تمطر السماء ثلجًا بعدُ، لكن أوراق الشجر بدأت تتساقط
بالفعل؛ الجو بارد، لكنه ليس مناسبًا للترُّلُج. بهذا التابوت، يمكنكما
نسيان نوفمبر، ذاك الشهر الرمادي الغائم، سيمرُّ خلال لحظة. أو
القيام برحلة رومانسية خارج البلاد لمدة أسبوع دون أن تقلقا بشأن
جليسة الأطفال لهذا الولد الصغير"، وأشار إلى بيتر.

ثم عرض على الوالدين عقْدًا وقلَمًا.

انظر والد بيتر إلى زوجته، التي حدّقت فيه بعينين حالمَتَيْن. رحلة
أسية خارج البلاد، فكّر، ووقّع العقد.

سار صندوق الزمن جزءًا لا يتجزأ من حياتهم اليومية؛ سرعان ما
الديهم ثلاثة صناديق. مع ذلك لم يحدث شيء جدير بالملاحظة،
إلا جاء عيد ميلاد سكايلر، صديق بيتر، العاشر. كان بيتر طفل
مُملًا بشكلٍ خاص، فَظَلَّ يسأل بالحاح: هل اليوم عيد ميلاده؟ هل
يوم عيد ميلاده؟ كان قد ارتدى ملابس الحفل الخاصة به ولفَّ
أضراس الليجو الهدية، وظلَّ يسأل مرارًا: هل اليوم عيد ميلاده؟
اضطرت والدته إلى الذهاب إلى المتجر لشراء بعض الاحتياجات
لم يكن لديها الوقت لطفلٍ مُزعجٍ مثله، دَفَعَتْه في الصندوق حتى
بعد ذلك بلحظة، أو هكذا بدا الأمر له، انفتح الصندوق
فدًا، واندفع منه بيتر دون أن ينظر خلفه. نادته والدته:

"بيتر! بيتر! انتظر!"

لكنه ركض إلى الشارع وهو يحمل هديَّة عيد الميلاد دون أن
سبب والدته. كان الجو صيفًا، والأشجار مُورِقَةً، لكنه لم يَلْحَظْ أيَّ
شخصٍ حتى وصل إلى منزل سكايلر. يتذكّر أن المنزل كان أبيض، لكنه
الآن أحمر. تساءل إن كان قد دخل منزلًا خطأ، لكنه رأى اسم سكايلر
مد جرس الباب.

ضغط على الزر. فتح الباب شابٌ طويل. نظر بيتر لأعلى إليه
وسأل.

"هل سكايلر موجود؟"

"نعم، أنا سكايلر"، أجابه الشاب الطويل بصوت ذكوريٍّ عميق.
كان طوله أكثر من ستة أقدام وبدأت لحيته تنمو.

قال بيتر: "لا، أنا أبحث عن سكايلر فريدريكس".

"نعم، هذا أنا. أنا سكايلر فريديريكس". انحنى الشاب لينظر ،
الولد الصغير جيّدًا. "أهذا أنت، بيتر؟".

"نعم"، قال بيتر بصوت صغير، يناوله الهدية.
"أوو، شكرًا. أتريد أن تدخل؟".

خلع بيتر حذاءه ودخل غرفة سكايلر بثقة كعادته، لكنه تراءم
حين رأى فتاة تجلس على الفراش تتصفح مجلة أزياء، فركض
المطبخ.

قال سكايلر: "لقد مرّت سبع سنوات منذ أن دَعَوْتُكَ إلى حفل
ميلادي".

"ماذا؟ ماذا تعني؟".

"ونحن لسنا في يناير بعدُ حتّى! لقد نسيّت أن تنظر في الرُّزنامة
اليوم ليس عيد ميلادي".

"نعم. أنا آسف على التأخير. لقد ذهبتُ أُمي لشراء أشياء. لا
أن شيئًا ما قد حدث".

"لقد انتظرتُكَ"، قال سكايلر وهو يَفِضُّ غلاف الهدية. "ذهب
إليك في منزلك فقالت لي والدتك إنها ستسافر إلى الهند للبحث عن
ذاتها. حين عادت كان والدك قد فَقَدَ صوابه وذهب للعمل في فنلندا.
كنت أذهب إلى منزلك دائماً لأسأل عنك. كنت أفتقدك... أعني، لقد
كُنَّا مُقَرَّبَيْنِ".

لم يجد بيتر ما يقوله. جَلَسَا مُتَوَاجِهَيْنِ، صامِتَيْنِ. قَدَّمَ سكايلر لبيته
كوبَ لبن.

نظر إلى الهدية، صندوق مكعبات ليجو رائع.

أما زلتَ تَجْمَعُ شخصيات حرب الكواكب؟" سأل بيتر. "هل
اللعب بها الآن؟".

وجه سكاير عبوسٌ خفيف.

"بيتر، لقد تُهتت في الزمن. سيستغرق منك الأمر فترةً لتأقلم،
أي فُرُوضٍ مدرسيَّةٍ عليّ إنجازها".
"فروض؟".

"نعم، لديّ اختبار فيزياء غدًا. سأُنهي المدرسة العليا العام القادم".

سكت قليلاً ثم قال: "من الواضح أننا تباعدنا زمنيًا".

"نعم، يبدو هذا".

فجأةً خطرت لبيتر فكرة.

"ماذا لو انتظرتني أنت هذه المرة، سكاير؟ لو انتظرتني سنغدو في
السُن نفسها معًا مُجددًا!".

"لا أعرف بيتر، أعني، إن لديّ فتاة".

قهقهه بيتر بصوت عالٍ: "ها! ها! لدى سكايلر فتاة! ها! ها!"
لكنه أدرك بسرعة أنه يتصرّف بطفولية.

هزُّ سكايلر صندوقَ قطع الليجو. دخلت الفتاة ونظرت إلى
الصندوق.

قال سكايلر: "هذه إنجي، صديقتي".

قالت الفتاة: "هذه هدية قديمة رائعة".

قال سكايلر لبيتر: "شكرًا على كل حال، بيتر".

قال بيتر: "قد أراك في العطلة الأسبوعية".

نظر سكايلر إلى إنجي وقال:

"سندهب إلى السينما، لكنني أخشى أنه فيلم للكبار".
قالت إنچي بمَرَحٍ: "رَبْمَا يُمْكِنُنَا مُجَالَسَتُكَ فِي وَقْتٍ آخَرَ".
قال بيتر: "مُجَالَسَتِي! أَنَا لَا أَحْتَاجُ لِمُجَالَسَتِي!".
ثم ركض عائداً إلى بيته غاضباً وحزيناً. قابلته أمه، لكنه هاجم
حذاءه وألقى بسُتْرَتِهِ عَلَى الْأَرْضِ.

"الأصدقاء يذهبون ويعودون، وبيتر عزيزي"، قالت أمه. "أحبنا
يتباعدون. ألسنت سعيداً أن سنين المراهقة ما زالت أمامك بينما
يفعل سكايلر شيئاً سوى التُسكُّعِ مع فتاته؟ اخْرُجْ وَالْعَبْ. يوجد
الكثير من الأطفال الذين يمكنك مُصَادَقَتَهُمْ".

لم يَقُلْ بيتر شيئاً. ذهب ليلعب في ملعب الحَيِّ. كان هناك أطفال
قليلون، لكنه لم يتعرَّف على أيَّة وجوه ما عدا فتى واحداً يتذكَّر أنه
كان معه في روضة الأطفال، لكنه صار أكبر منه الآن. فعاد إلى بيته
فوراً.

"هل بابا في فنلندا؟" سأل.

"لا، إنه في متجر المعذات، يشتري طلاءً".

"أخبريه أن يعود إلى البيت في الحال!" قال بغضب.

"لن يستطيع العودة حتى المساء".

"أريد أن أتحدَّث معه الآن! الآن!"

هَزَّتْ رَأْسَهَا بِإِنْهَافٍ. هل سيظلُّ مُتَعَجِّلاً هكذا دائماً؟ فَكَّرَتْ.
فتحت إحدى التوابيت.

"حسناً، إلى التابوت إن لم ترغب في الانتظار!"

فقفز بيتر في الصندوق.

في اللحظة التالية كانت فتاة لا يعرفها تَقِفُ أمامه في معطفٍ

مرحبًا، أنا كريستين"، قالت. "يجب أن تأتي معي. أسرع!".

ابعها في مدينة أشباح إلى منزلٍ حيث تعيش امرأة عجوز مع
سبعة أطفال. نظر بيتر إلى جمجمة على طاولة غرفة الجلوس ولم
ينطق تخيّل ماذا يحدث البتّة.

سارت جريس بكوب قهوتها وأشارت إلى لافتة صندوق الزمن على
الشاشة على الجدار.

"اختفى أغلبكم في التوابيت خلال السنين الأولى لشركة صندوق
الزمن. بعد ذلك ازدهرت أعمال الشركة بمعدّلات مذهلة، وخلال فترة
سيرة كانت صناديقها السوداء في كل مكان. صارت صيحة العصر.
انت اللوحات المضيئة في كل مكان بشعاراتٍ مثل: "غداً تسقط
الأمطار!"، "صندوق الزمن ماركة مسجلة!"؛ فخلّت الشوارع في الأيام
الممطرة، ونسي الناس كلماتٍ مثل: "طقس عاصف" و"ثلج" و"طين".
عدّلوا الطائرات لجعل الزمن يتوقّف بالركّاب ما أن يغلقوا الباب
عليهم، فكانت الرحلة عبر المحيط الأطلنطي لا تستغرق أكثر من ثانية
واحدة. ثم حلّت الأزمة الاقتصادية، وتنبأ الاقتصاديون بسنةٍ فظيعة.
"لا تدع الأزمة تُدمّر حياتك!"... "صندوق الزمن ماركة مسجلة!"...
نصح الآباء بحماية أطفالهم من تلك الأوقات العصيبة؛ ما تسبّب في
فقدان المدرّسين عمّالهم، فاختفوا هم أيضًا في توابيتهم. بوجود ناس
أقل، فقدت المتاجر أرباحها؛ فاشترى العاملون بها توابيتهم هم أيضًا.
تسبّب كلُّ هذا في خفض العائد الضريبي؛ ما أدّى إلى تقليص ميزانية
الدولة للخدمات الصحيّة؛ لذلك وضعوا المرضى المدرّجين في قوائم
الانتظار في توابيت؛ ما جعل الأطباء يشترّون توابيت لهم أيضًا. لم

يَعُدُّ أَحَدٌ فِي الْعَامِ لِيَأْكُلَ مَا يَزْرَعُهُ الْفَلَاحُونَ؛ فَوَضَعُوا هِمَّ الْأَمْرِ
مَوَاشِيَهُمْ فِي تَوَابِيْتِ، وَسَأَلُوا الْحُكُومَةَ عَنْ خُطَّتِهَا لِإِدَارَةِ الْأَمْرِ
"ماذا فعلت الحكومة؟".

"اشترى رجال الحكومة لأنفسهم توابيت وأغلقوا على أنفسهم
فيها".

"هل اختفى الجميع إذن؟".

"يوجد في كُلِّ مَدِينَةٍ عَدَدٌ قَلِيلٌ مِنْ غَرِيبِي الْأَطْوَارِ الَّذِينَ هَلَّ
الْبَقَاءُ، لَكِنْهُمْ شَعَرُوا بِالْوَحْدَةِ، وَاخْتَفَوْا جَمِيعًا وَاحِدًا تَلَوَّ الْأَمْرُ
التوابيت، حَتَّى صِرْتُ أَنَا الْوَحِيدَةُ الْبَاقِيَّةُ".

"منذ متى حدث كُلُّ هَذَا؟".

"لا أعرف. أَنَا لَا أَسْجُلُ الْوَقْتَ".

"هَذَا فَظِيحٌ".

"نعم، كَانَ فَظِيحًا فِي الْبَدءِ، لَكِنْ حِينَهَا بَدَأَ ظُهُورُ الْحَيَوَانَاتِ، وَرَأَى
أَنَّ الْأَمْرَ يَتَحَسَّنُ رُويِدًا رُويِدًا. كَانَتْ الطَّيُورُ الْمُهَاجِرَةُ تَعُودُ كُلَّ عَامٍ
ازدحمت الشوارع بالغلزلان وازدهرت الغابات. صار الهواء نقيًا، وخذل
السماء من دخان العوادم. كنتُ أَزْرَعُ الْبَطَاطِسَ وَأَصْطَادُ السَّمَكِ. لَمْ
يَعُدَّ النَّهْرُ مُلَوِّثًا، وَكَانَ سَمَكُ السَّلْمُونِ يَتَقَافِزُ فِيهِ. اسْتَعَادَتِ الْأَرْضُ
عَافِيَتَهَا حِينَ تَوَقَّفَ النَّاسُ عَنِ إِزْعَاجِهَا بِشَتَّى أَنْوَاعِ قِمَامَتِهِمْ. وَصَارَ
الْجَوُّ هَادِئًا لِي لِأَبْحَثَ فِي قِصَّةِ أَوْسَيْدِيَانَا".

"لَكِنْ لِمَاذَا لَمْ تَفْعَلِي شَيْئًا حِينَ وَجَدْتِ الْعَالَمَ تَحْتَ تَأْثِيرِ تِلْكَ
التعويذة؟".

"لَمْ أَكُنْ مُتَأَكِّدَةً إِنْ كَانَ تَحْتَ تَأْثِيرِ تَعْوِيذَةٍ حَقًّا أَمْ إِنَّهُ قَدْ تَحَرَّرَ
مِنْ تَعْوِيذَةٍ مَا بِالْفِعْلِ. لَقَدْ دَمَّرَ الْبَشَرُ الْكَثِيرَ جَدًّا. كَانَ الْجَمِيعُ

أهون الزمن، يحاولون جمع أكبر قدرٍ مُمكنٍ من الأشياء. كانوا
أدبروا كل ما هو رائع، وهم الآن حبيسو غباثهم الخاص".

إن ماذا عَنَّا؟ عليك مساعدتنا لنعود إلى بيوتنا".

هذا ليس بيدي. سيتحسّن العالم فقط حين تجعلونه أنتم
ن. أنا لستُ سوى امرأةٍ عجوز".

ماذا يمكننا أن نفعل؟".

رجب أن تسمعوا القصة حتى نهايتها".

أنوري

في اليوم التالي للحفل الكبير، كان أنوري يتجوّل في المدينة؛ كان الجوّ
الساخن، الجميع في كل مكان يُعدّون الطعام، الشوارع مزدحمة وتُعجّ
بصخبٍ صيحاتٍ من شتّى اللغات، وأصواتٍ آلاتٍ موسيقيةٍ مُثيرةٍ
للمريّة. كانوا جميعًا في انتظار وصول الأميرة إلى الميدان. كان أنوري
مناظرًا: ظلّ لعام كامل يفكّر في الفتاة الراقدة في التابوت، في البدء
اندمه على ما فعله، لكنه بعد ذلك لأنها كانت صديقته. كان يتوق
لإخبار أحدٍ ما بسرّه لكنّه لم يثق بأحد. فاحتفظ بسرّه في قلبه. رأى
أنوري -أثناء زيارة الملك- كم كانت أوبسيديانا سعيدة حين ظهرت
في الشرفة لتحّي الجماهير؛ شعر أنها رأته يقف أعلى أحد العواميد،
بلوّح برأية. لكنه مُنقبض القلب الآن، ولا يعرف ماذا يخبئ المستقبل:
هل سيُمكنه التسلّل إلى القصر لرؤيتها مجددًا؟

ظلّ يقفز فوق الأسطح ليراقب الكهنة وهم يحملون أوبسيديانا
إلى الميدان، لكنها حين ظهرت بدا الأمر كأن موجة رُعبٍ سرّت في

الزُحام، عَلَّت الصَّيْحَاتُ والشَّهَقَاتُ، وانتهى المزاج الاحتفاليُّ على الله
كطائرٍ عَلَّقَ في شَبَكَةٍ.

"إنه نذيرٌ سوء، إنه نذيرٌ سوء!" ناحت النساءُ العجائزُ.

فَقَزَّ قَلْبُ أنوري بداخله وأسرع يهبط ليرى الأميرة عن بُعد
كان الناس يتدفقون إلى المعبد ثم يخرجون إلى الميدان؛ كدوامٍ دائمٍ
وتدور، بينما تكدست قرابينهم كالجبل في منتصف الميدان؛ سحابة
رائحة، دقيق، مكسرات وثمر، ذَهَبٌ ومجوهرات.

شَقَّ أنوري طريقَه في الزحام، حتى وصل أخيراً إلى التابوت. يرى الناس
أوبسديانا: وجهها مُشوّه بتقطيعةٍ فظيعة مُتجمدة؛ عيناها تُحْدَثُ
بكراهية، وأصابعها مُتكورة كمخالب قِطَّةٍ على وشك الانقراض. يدور
كشيطنَة.

ارتعش ولمس التابوت، يُتمِّمُ بصلواتٍ مثل الجميع؛ لا يفهم ما
حدث. نظر إلى أرشن الواقف أعلى منبر؛ يُحرِّك رأسه وهو يقول:
"لقد اكتشفنا خائناً بالأمس! لقد أَخْلَفَ أهلُ جبال السُحب في الشهر،
بوعدهم لبانجيا. إن الآلهة غاضبة! لقد ذهب الملك وجيشه لمعالجه
مَنْ خانوه! أوبسديانا تريد الانتقام! تريد القرابين والانتقام!"

شعر أنوري بدوار. لا بُدَّ أن شيئاً ما فظيعة قد حدث بعد أن
تركها. كان عليه أن يكتشفه؛ لن تتحوَّل الأميرة إلى ساحرةٍ شريرةٍ بـ
ليلة وضحاها. انتظر أن يُعيدوها، لكنهم، خلافاً للعادة، لم يُعيدوها إلى
القصر ذاك المساء؛ ظلَّ التابوت في المعبد طوال الليل. أشعلوا النيران
حول الأميرة لتكبير ظلِّ تَقْطِيبِهَا ومخالبها الحادة على جدران المعبد.

ظَلَّت أوبسديانا في الميدان طوال ذاك الأسبوع والأسابيع التي
تَلَتْهُ، دون أن يتغيَّرَ تَعْبِيرُ وَجْهها. نَقَدَت جميعَ حَبْلِ أنوري. يجب أن
يتحدَّثَ معها! ظلَّ القمر يكتمل بدرًا كُلَّ شهر دون أن يجد أنوري

.. لا لفتح التابوت وسؤالها عما حدث. لم يكن الحُرَّاسُ يَغْفَلُونَ
العظة.

ارك أرشن الأثرَ القويَّ لوجه أوبسيديانا الجديد: كان الناس
معون بالمزيد من الانتباه ويقدمون المزيد من القرابين، ساعده
على تصعيد حُطْبِهِ الجحيميَّة أن عَصَفَتْ نُذُرُ السُّوءِ بالمملكة:
ساز في الشرق، حرائق غابات في الجنوب، انفجارٌ بُركانيٌّ في الغرب...
العلامات على غضب أوبسيديانا والآلهة. الذي كان حَتَمًا سَتَصِلُ
إليه إلى الملك إن عاجلاً أو آجلاً؛ لذلك قرَّر أرشن أن يكون أوَّلَ مَنْ
ه. فأرسل غرابَ بريد:

حالة الملك العظيم! إن أوبسيديانا تقف إلى جانبك في معاركك
منه قوى الآلهة نحوك! لذلك تلبَّست هذا الوجه لِتُخَيِّفَ أعداءَكَ
نبتُ آلهة الحرب على التحرك!

لم يُرْحَبِ إكسل بالصورة الجديدة للأميرة، لكن حساباته أظهرت أن
الذهب يتدفَّق في الخزينة العامَّة كما لم يتدفَّق من قبل.

كان أرشن يَعِظُ الجماهير يومياً: "إن الأميرة الخالدة غاضبةٌ من
أهداركم الشريرة! إنها تكره أطماعكم!".

جال رجالٌ يرتدون عباءاتٍ مُطرزةً على صدرها عينان مغمضتان
في أرجاء المدينة يسلبون الناس أشياءهم الثمينة.

"المزيد من القرابين!".

لكنَّ قَلِيلاً مَنْ تَبَقَّى لديهم شيءٌ لتقديمه.

ظَلَّ أنوري في المنزل. تنهَّدت خالته بورجليد وهي تتحرك في البيت؛
اشعلت البخور أمام صورة للأميرة منحوتة في الحائط بغير فن.

"أيتها الأميرة الخالدة، أنا لا أعرف ما الذي أغضبك. أراد
امنحنا الأمطار للقمح. والشمس الساطعة للزهور. امنحني
حياةً. وامنحني الفتى طعامًا. أرجوك لا تغضبي، أيتها الأميرة الخالدة،
لا تغضبي".

نَقَدَ كُلُّ ما لديها من طعام، وكانت تضيف الأغصان والسفوف
الشوفان. قد يكون اللحم الموجود في السوق لحم أي حيوان: ثور
قط، قرد، حمامة، أو فأر. دارت الإشاعات أن أحدهم يبيع لحوم البشر
حتى.

يعرف أنوري طريقَ غُرْفَةِ المؤونة الملكية، حيث ذهب في هاهنا
المطاف حين لم يجد سبيلًا آخر. حَذَق بحزن في القاعة الخالية التي
ظَلَّ لوقت طويل يأتي إليها كُلُّما اكتمل القَمَرُ. لكن غرفة المؤونة
كانت نصفَ خالِيةٍ: لا توجد بطاطس، ولا لحم ضأن ولا كاكابو.
المناطق الغربية. أخذ قِطْعًا صغيرة من اللحم، قطعة صغيرة من
الجبين، وحفنة من الحبوب؛ ما يقيم أودَه فقط. سيثير الشُّكوك،
بِذَا حَسَنَ التغذية. كان يهْمُ بالعودة من حيث أتى حين سمع صوت
ألواح الأرضية وصوت خطواتٍ كثيرة تتحرك هنا وهناك على الأرضية
الخشبية في قاعة الاجتماعات فوقه. وجد، بعد أن صار الآن يحفظ
القصر عن ظهر قلب، مخبأً يُمكنه منه مُراقَبَة ما يحدث... اختلس
النظَر من فتحة في الخشب ورأى جنهليد تجلس على العرش، تبتسم
بائسةً. يجلس إكسل إلى يمينها، وإلى يسارها أرشين وابنتها الأنيقتان.
الغاضبتان. اقترب من الملكة شابٌ يصحبه خمسة فرسان. كانوا رجالًا
وسيمين، أنيقين ومُسَلَّحين.

"جلالتك، أنا أوري، ابن دوق السهول. جئتُ بهدايا من أبي ورسالة
إلى الملك. كما تعرفين، ظلُّ والدي حليفه الأقرب طوال عقود".

"وكيف يمكنني مساعدتك؟" سألته جنهليد بود.

أما الملب يد الأميرة الخالدة للزواج".

فهمت، قالت وابتسمت. "أتعرف أنه كل مائة عام يُؤدُّ واحدٌ
... استحقها؟".

جلالتك، سأذكر من صفاتي شجاعتي في المعارك وحفظي لكل
... الموجود في الكتب، بما في ذلك جميع ملاحم بانجيا، الألقا
... بكاملها. لقد قُدتُ جيوشًا وانتصرتُ في معارك أكثر من أي
... الملك دايون. ولولاي لَكُنَّا قد فقدنا جميع
... المنطقة التي صارت الآن مَعْقِلَ قوَّات الملك".

أرى أنه من المناسب أن تطلب يد الأميرة أمام ابنتي؟".

استمَّت الابنة الكبرى بحزن، وحرَّكت أهدابها.

أمر وجهُ ابن الدوق.

"جلالتك. أنا لا أقصد التقليل من شأن ابنتيك؛ الأمر فقط أنني
... أرقص مع أوبسيديانا في الحفل ناقش والدي هذا الأمر مع
... الذي رُحِبَ بطلبي يدها في المستقبل حين تُضَحَى، مم... أكبر.
... ذلك من وحدة الإمبراطورية".

ضجُّ قلب أنوري في صدره. تمنى لو كان معه قوسٌ وسهمٌ ليسدده
... قلب الشاب.

حدقتُ جنهليد في أوري وقالت: "إنها ما زالت صغيرة للغاية".

بدا أوري مندهشًا.

"كيف هذا؟ أنا في الثامنة عشر، وقد وُلِدت قبلي بوقت طويل".

"في هذه الحال، ألن تكون كبيرة جدًا بالنسبة إليك؟" ضحكت
... جنهليد.

"يمكنني انتظارها إن كانت صغيرة للغاية"، قال أوري بتواؤ •
"ثلاث سنوات، ست سنوات ليست وقتًا طويلًا بالنسبة إلي".

"حسنًا، قد يستغرقها الأمر أكثر من مائة عام لتتقدم في السن،
ثلاثة أعوام". أخرجت دفترًا. "كم من الوقت تطلب؟".
"ماذا تقصدين؟".

"أنت بالطبع لا تتوقَّع أن تُضِيعَ وَفَّتَها كُلُّه معك حتى تأخذها
معك إلى القبر؟".
"ماذا؟".

"أنتَ تُدْرِكُ أَنَّكَ لا تستطيع البقاء معها كل يوم، أليس كذلك؟ كم
من الوقت تودُّ قضاءه معها؟".
"أنا لا أفهم ماذا تعنين، سيدي".

"نحن نتوقَّع منها أن تعيش آلاف السنين. ألا تظنُّ أنها ستؤدُّ
الزواجَ كُلَّ مائة عام؟".

هرَّسَ أوري في رأسه. لم يخطر له ذلك.

سألته جنهليد: "هل لديك أيَّة لآلئ؟".

"لديَّ عشرون ألف لؤلؤة، جلالتك".

"إكسل"، قالت زوجة الأب، "كم من الوقت مُقابلٍ هذا؟".

"أكثر من عامين بقليل، جلالتك".

"هذا يعني أن بإمكانك الدفع مقابل حوالي عامين من وقتها
التمين"، قالت جنهليد بجفاء. "قد يُمكنك توزيع هذه الفترة على
حياةٍ بطولها".

بوجه جامد، همس أرشن بشيء ما في أذن جنهليد. فالتفتت إليه،
الخطئة، وسألته:

"هل قالت هذا؟ هذا مطابقٍ لطبعها تمامًا."

"نعم"، قال أرشن. "أوبسيديانا تقول إن عليه إثبات جدارته،
لديها رسالة له."

"أنا أقبل بأي تحدٍ"، قال أوري بابتسامة أمل. أزاح حُصلةً من
دعره عن وجهه، وانتظر الردُّ.

"أرشن!" صاحت جنهليد. "أخبر أوري بما تقوله الأميرة الخالدة."

أغمض أرشن عينيه؛ ظلَّ صامِتًا لفترة طويلة، وحين فتحهما كانتا
مساوئِن تمامًا. تمتم:

"يوجد خلف جبل الأفاعي، على الجانب الآخر من المحيط، مضيقٌ
فناديلٍ بحرٍ سامّةٍ. اسبح عبْرَه. وسوف تجد عُشا قديمًا للغراب
الذهبي. أحضِر لي بيض هذا الطائر."

اغتمَّ وجهُ أوري، وخاطبَ الملكة:

"أأنتِ جادّةٌ سيّديّ؟"

"وهل قلتُ شيئًا بنفسِي؟" أجابته جنهليد. "لقد سمعتَ بنفسِكَ.
لقد أوضح لك أرشن طلبتها. إن كنت تُفضّل السباحة في مضيق قناديل
البحر على الزّواج من إحدى ابنتي؛ يميكنك السباحة ما شئت!"

"أتقصدين بهذا الإساءة؟"

"أي مُتهوّرٍ بما يكفي ليسبح في مضيق قناديل البحر لا بُدُّ أنه
يستطيع العيش إلى الأبد."

قال ابن الدوق: "في هذه الحال، لِيَكُنْ الأمرُ كذلك". ثم استأنف وهو وفرسانه وخرجوا من القاعة. امتطوا جيادهم واختفوا في الليل.

تابع أنوري كُلُّ ذاك باهتمام، وكرَّر في ذهنه كلمات الملكة: "نتوقَّع منها أن تعيش آلاف السنين". "هل ستأخذها معك إلى الله؟ إن جميع مَنْ في القصر مجانين يَهْدُونَ. كانت أوبسيدانا أطول حين قابلها أوَّلَ مَرَّةٍ، والآن هما مُتماثلان في الطول تقريبًا. هل سَيَكْبُرُ حتَّى يصبح أكبرَ وأطولَ منها؟

جلس إكسل يفكر بعمق، ينقر على آلتة الحاسبة، قبل أن يقول: "سيدتي، إن حساباتي تُوضِّح أن إمكانية عبوره مضيق قناديل البحر حيا 0.04% فقط".

"أخرس، يا عدادَ الحبوب!" قالت جنهليلد بحنق. "لا تجرؤ على معارضة إرادة الآلهة!"

صار وجهُ إكسل أبيضَ كالطباشير، عاد إلى حساباته. ثم هبَّ، ناهضًا، وقال:

"هذا يدفع بالأمور بعيدًا جدًا! لقد أرسلتِ لِتوَكِ بأقوى حليف لدينا إلى حتْفِهِ. سيكون لهذا -طبقًا لحساباتي- تأثيرٌ جَدْرِيٌّ على مسار الحرب. ولماذا على وجه الأميرة هذا التعبير؟ إن مَهْمَتِي عَمَل تقييم دقيق لضمان سعادتها. انظري إلى هذا التقرير!" ولوَّح بملفٍ نحو أرشن وجنهليلد.

"هذه الأيام، لا يفهم الناس شيئًا سوى الخوف"، قال أرشن "الخوف هو ما يجعل الخزائن تمتلئ. الخوف هو ما يُخضِع الناس ويمنعهم من التَّظَاهُر في الشوارع واقتحام القصر بحثًا عن طعام".

أنا أطالبُ بِعَقْدِ اجتماعِ طارئٍ!" قال إكسل. "أنا أريدُ مرسومًا
الملك يؤكِّدُ موافقته على هذا المنهج في التعامل!".

أعال معي!" قال أرشن وجَرُّ أغلاله إلى غرفةٍ أعلى برج وإكسل
ثُحطُ الغِربانُ على جميعِ إطاراتِ النوافذِ بخطاباتٍ والتِماساتِ
السب.

رفع إكسل صوته ليعلو فوق نعيق الغربان:

"إن تَرَكَّها في الميدان لا جدوى منه. لن يستطيع الناس تقديم
الهربين ليلاً ونهارًا. لم يُعَدُّ لديهم شيء! انظُرْ فقط إلى هذا الرُّسم!".

أخرج أرشين من جيبه قِطْعَةً طباشير ورسم بها خَطًا يَسُدُّ عتَبَةَ
الباب، ثم خَطًا ثانيًا وثالثًا، بالقرب من بعضها البعض لِئَلَّا تكفي
السبع قَدَم.

"ماذا تفعل؟" قال إكسل وهو يرتعش ويرتجف. لم يستطع الوصول
إلى الباب. "أرجوك... امحُ هذه الخُطوط!".

لكن أرشن أحاط إكسل بالخطوط حتى صار حبيسًا في منتصف
الغرفة.

ضحك أرشين وجَلَجَلَتْ أغلاله وهو يقول:

"ابنُ مَكَائِكَ، وتحوُّنُ إلى حَجَرٍ!".

صاح إكسل دون أن يسمعه أحد. غرق صياحه في ضَجَّةِ نعيقِ الغِربان.

سار أرشن في أنحاء القصر يجمع فريق محاسبين إكسل ذوي
البذلات المطبوعة بالمرئعات؛ حتى وصل إلى بوابات القصر ففتحتها
قائلًا: "لتصحبكم السلامة! هيا اخرجوا! أنتم أحرار!".

خرجوا صُفًا بمساطرهم ودفاترهم. ساروا ببطء، يحدِّقون بخوفٍ في
العالم القاسي الفوضوي الذي ينتظرهم.

ما يَزِدُّ عَن حَدِّهِ يَنْقَلِبُ لِضِدِّهِ

أَيَقَطَّتْ شَمْسُ الصَّبَاحِ الْمَلِكُ دَائِمُونَ.. كَانَ يَشْعُرُ بِالتَّفَاؤُلِ: أَرْسَلَ لَهُ
أَرْشِينَ رِسَالَةً رَفَعَتْ مَعْنَوِيَّاتِهِ، وَحَتَّى أَوْبَسِيدِيَانَا كَانَتْ فِي مِزَاجِ الْقِتَالِ
وَأَمَّا اتِّصَالُ بِأَلْهَةِ الْحَرْبِ. خَرَجَ إِلَى الْهَوَاءِ الْمُنْعَشِ، فَوَجَدَ غَرَابَ بَرِيدٍ
مُحْتَمِلًا عَلَى حَيْمَتِهِ. الرِّسَالَةُ مَرْبُوطَةٌ بِقَدَمِهِ:

لَقَدْ تَحَدَّثْتُ أَوْبَسِيدِيَانَا مَعَ الْأَلْهَةِ. سَتُرْسَلُ إِلَيْكَ بِالْمَزِيدِ مِنَ
الْقُوَّاتِ. عَلَيْكَ بِعَبُورِ الْوَادِي لِتَلْقَى الْإِمْدَادَاتِ مِنَ الدُّوْقِ. كُلُّ شَيْءٍ
بِخَيْرٍ فِي الْقَصْرِ. طَبَقًا لِحَسَابَاتِنَا، أَوْبَسِيدِيَانَا سَعِيدَةٌ لِلغَايَةِ. الْمَخْلَصُ.
إِكْسَل

امْتَطَى الْمَلِكُ دَائِمُونَ وَرِجَالَهُ خِيُولَهُمْ وَعَبَرُوا وَادِيًا مَكْسُومًا بِالْعُشْبِ،
يَمْتَدُّ فِيهِ كَالثَّعْبَانِ نَهْرٌ وَاسِعٌ. حِينَ اقْتَرَبُوا آخِرًا مِنَ الْوَالِيَّاتِ الْغَرْبِيَّةِ
رَأَوْا جُنُودًا مُصْطَفَّيْنَ عَلَى التَّلَالِ وَالصَّخُورِ الْمُحِيطَةِ لِمُقَابِلَتِهِمْ. إِذْ كَانَ
يَتَوَقَّعُ اسْتِقْبَالَ مَلِكِيًّا؛ انْزَعَجَ دَائِمُونَ حِينَ أَمْسَكَ الْجُنُودُ بِالْأَبْوَاقِ
وَبَدَّوْا عَزْفَ تَشْرِيفَةٍ. تَقَدَّمَ بِحِصَانِهِ، لَكِنَّهُ لَمْ يَجِدْ أَحَدًا فِي اسْتِقْبَالِهِ،

تابوث الرُّمْنِ | 209

ما بدأ كلحن هاديٍّ ومَرِح صار يعلو بانضمام المزيد من الأرواح
ثم حَلَّ التَّوَجُّسُ مَحَلَّ مَعْنَوِيَّاتِ الْمَلِكِ الْجَيِّدَةِ حِينَ بَدَأَ فَارِسُ
الطَّبُولِ مَعْرُوفَةَ تَصْمُ الْآذَانِ. صَارَتِ الضُّجَّةُ طَائِعِيَّةً لِيَحْدُ أَنْ أَلِهَ
رِجَالُ دَايْمُونِ بِدِرْوَعِهِمْ وَأَسْلِحَتِهِمْ لِيُعْطُوا آذَانَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ. أَلِهَ
الْجِيَادُ بِرَاكِبِيهَا، تَرَكَتْهُمْ مَطْرُوحِينَ أَرْضًا مَعَ أَسْلِحَتِهِمْ عَدِيمَةَ الْجِدَارِ
يَنَازِعُونَ كَالسَّلَاحِ الْمَقْلُوبَةِ. جُنُّ جَنُونِ الْخِرَاتِيَّتِ، رَكَضَتْ تَجْرُ
خَلْفَهَا الْعَرَبَاتُ وَالْمَقْطُورَاتُ لِتَصْطَدِمَ بِالصَّخُورِ وَتَنْتَشِرَ حَطَامَهَا.
الضَّجِيحُ طَبُولُ الْآذَانِ، وَهَشْمُ الْمُرْطَبَانَاتِ وَالْأَوَانِي الْخَرْفِيَّةِ. فَجَاءَ سَدُّ
الضُّجَّةِ، لَكِنْ شَيْئًا مَا حَجَبَ ضَوْءَ الشَّمْسِ عَنِ رِجَالِ دَايْمُونِ الرَّافِدِ
بِآذَانِهِمْ تَطْنُ. لَاحَ شَيْءٌ مَا دَاكِنٌ فِي السَّمَاءِ، كَسَحَابَةِ طَيُورِ مَهَاجِرَةٍ
"سَهَامٌ!" صَاحَ الرَّجَالُ وَهُمْ يَحَاوِلُونَ الْهَرَبَ... مَتَأَخَّرِينَ جِدًّا
سَقَطَتِ السَّهَامُ عَمُودِيًّا نَحْوَ الْأَرْضِ كَسَرَبٍ مِنْ طَيُورِ الْأَطْيَاشِ
يَلْتَقِطُ سَمَكَ الرُّنْجَةِ مِنْ مِيَاهِ ضَحَلَةٍ. رَشَقَتْ فِي الْوَحْلِ، الْخُودَانُ
الْجِلْدِ وَالْعِظَامِ. احْتَمَى دَايْمُونُ بِخَرْتِييِّ مَيْيِّ، وَصَدَّ عَنْهُ دَرْعَةُ
النَّحَاسِيِّ السَّهَامِ الْحَادَّةِ الَّتِي أَغْرَقَتْ جُنَّتَ الْحَيَوَانَاتِ كَرُخَاتِ الْمَطْرِ
عَلَى سَطْحِ خِيْمَةٍ.

حين انتهى الهجومُ أخيراً. حدَّق دايْمونُ بهلع في قوَّاته المهزومة،
ترقد على الأرض، يبدو كثيرٌ منهم كالقنافذ، بالسهم الكثيرة البارزة من
ظهورهم. التقط أحد السهام فرأى الدمغة الخاصة بأسلحته منقوشة
على خشب السهم. تردَّدت كلمات سيِّدة القطب الشمالي العجيبة في
أذنيه مُجدِّداً: "لا أحد يمكنه غزو العالم دون أن يهزم الرُّمَن!".

"هذه خيالة!" صاح دايْمون، بصوت عالٍ للغاية يهزُّ الجبال. "أنا
مَنْ أَمَرْتُ بِصُنْعِ تِلْكَ السَّهَامِ! أَنَا مَنْ أَمَرْتُ بِإِرْسَالِهَا إِلَى هُنَا! أَنَا مَنْ

(1) طيور بحريَّة بيضاء متوسطة الحجم، تنتمي لفصيلة البجعيات، سُغِّت هكذا لعاداتها
القط على السُّفُنِ البحريَّة حيث يسهلُ اصطيادها، وتُسمَّى أيضاً الأخرق أو الأخبيل.

١٠٠. بتدريب القوّات! هذا جيشي! كيف تجرؤون على مهاجمتي
١٠١. لمعتي!" ارتدّت كلماته بين التلال، فبدأ أن صدها يجيبه قائلاً:
١٠٢. جرؤت على إثارة العداوة بين الحيوانات والبشر؟".

١٠٣. دفع دايمون بصره ورأى منجنيق يجري تَعَبُّثُهُ على أحد التلال.
١٠٤. إن ما طار نحوه شيء ما. قفز جانباً فيما يسقط رجلٌ عند
١٠٥. كان رسوياً برسالة مربوطة بقدمه.

عزيمي دايمون. شكراً ل صداقتك التي دامت طويلاً. هذا هو
الاستقبال اللائق بالرجل الذي طلب من ابني أوري السباحة عبر
سابق قناديل البحر.

دُهل دايمون.

"هذا هُراء! أنا لم أطلب منه السباحة في أي مكان. آخر مرة رأيت
١٠٦. أوري كان يرقص في حفل الاستقبال".

"انتباه للجُرد!" صاح، لكنّ الرقيب الأول لم يُجِبْهُ؛ كان لديه ثمانية
١٠٧. عشر سهمًا تبرز من ظهره.

كان الهجوم بالسهم مُكثِّفاً للغاية، لِيَحْدُ أَنْ بَدَتِ الأَرْضُ كَحَقْلِ
١٠٨. لَمَح. تجوّل دايمون في ساحة المعركة، ظهره مُنْحَنٍ كَفَلَّاحٍ عَجُوزٍ يَتَفَقَّدُ
١٠٩. محصوله. عثر على كونسيجليو أسفل شجرة، ونزع سمهين من فخذه،
١١٠. وواحدًا من كتفه، ضَمَدَ جراحه، وساعده لينهض على قدميه. تَدَبَّرَا
١١١. معًا جمعَ ما تبقي من الجيش، عَدَا السيوف والخوذات، وجمَعَا
١١٢. القتلى معًا، وأحرقوا جثامينهم.

فيما يتقهقرون في أحد الممرات، أغرقهم الرجال من أعلى التلال
١١٣. بصخور نارية سحقت رؤوسهم وعظام ظهور أحصنتهم. ركض الرجال
١١٤. المشتعلون بالنار يصرخون. احتسى دايمون بجسد فيلٍ مَيِّتٍ من
١١٥. الشظايا المتطايرة من حوله. حين نظر لأعلى إلى مصدر الهجوم خالَّ

له أنه رأى عجوزاً بناهٍ نِروالِ مُقوُسٍ تقفز هنا وهناك. جزءاً من
أسنانه بقوة جعلت ضروسه تتشقق.

كتب خطاباً إلى قصره وربطه بقدم غراب:

ابنتي العزيزة، نحن نتقدم نحو هدفنا ببطء. سرعان ما ستشاهد
شمس النصر على بانجيا مُجدداً!

كل حبي- بابا

فيما كان الملك يخط تلك الكلمات المتفائلة، كان كبير محاسبه
حبيساً في برج الغربان هناك في القصر. يُحدِّق برعب في الخطوط
المحيطة به. سميقة ومخيفة، كشبكة عنكبوت. حاول تجاوزها لكنه
لم يستطع؛ كان جسده يتخشَّب وترفض قدمه مطاوعته. حاول أن
انتباه الحرس بالتلويح والقفز، لكنه كان مُموهاً تماماً مع الجدران
الرمادية، لِحَدِّ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ. نَقَرَ أرقام آتته الحاسبة وأدرك أنه
سيموت جوعاً وعطشاً إن لم يستطع الخروج. أخذ قِصاصة وَرَقٍ وكتب
رسالة إلى الملك، ربطها بقدم غراب وأرسله:

انهيار النظام في القصر؛ نقاط القوى في الحد الأدنى، المخاطر عديدة.
الفرص قليلة. زاويتا فم الأميرة ملتويتان لأسفل؛ ما ينمُّ عن التعاسة.
أرشن وجنهيلد يثيران العداوة بينك وبين حلفائك. نتائج حساباتي
تُعلنُ أنهما يريدان التخلُّص منك.

لم يكن لدى إكسل شيئاً ليكافئ به الغراب؛ لذلك جرح أصبعه
وأعطاه قطرة دم صغيرة. نعى الغراب بسرور وانطلق. كان إكسل
مرهقاً، ظمآن وجائعاً. حاول قتل الوقت بحساب أبعاد الغرفة؛ كان
السقفُ مخروطياً؛ لذلك كانت الحسابات مُعقَّدة قليلاً. ثم تذكَّر الأيام
الرُّخيَّةَ الماضية حين جلس في ذاك البرج نفسه وجعل الغربان تأتيه
بالذهب. همس بأنشودة الغراب والذهب التي عادت على المملكة
بكل تلك الثروة منذ ذاك الحين. سكتت الغربان تماماً، أدارت رؤوسها

212 | تابوث الزمن

١ هـ هذا الاتجاه وذاك، ثم حَلَقَتْ بعيدًا واحدًا تلو الآخر. عاد الآلاف
هـ ا ذاك المساء بكنز لامع.

نُرِّ إكسل بشدة وأخذ يحصي ما أتت به الغربان. بحلول المساء
الذهب قد وصل إلى كتفيه وقبل أن يلاحظ وصل حتى عنقه.
- اول أن يأمرَ الغربان بالتوقُّف لكنه لم يتذكَّر البيت الأخير في
الاشودة، وإذ لم يوجد هاجيس لمكافأتها؛ حَطَّت الغربانُ على رأسه،
و دأت تنقره.

مَتَجَزَّ الأَلْعَابِ المَهْجُورِ

انتاب القلقُ ماركوس وهو يستمع لحكي جريس. كانت الغربانُ
تتجمع وتتعق على الشجرة بالخارج، تذكرُ أصدقاءه، أخوته وأخواته،
والفتاة التي كان يهتمُّ بها قليلاً. تذكرُ أيضاً جدَّته وجدَّه، اللذين
يعيشان في الشمال. هل الجميع مُتجمِّدون داخل الصناديق هناك
أيضاً؟ هل المدن في العالم بأكمله مثل هذه المدينة؟ كيف قرَّر
الجميعُ -الجميع بالفعل- الهروبَ من الزمن؟

"عُذراً"، قال بأدب، "لكننا لا يمكننا أن نظلَّ جالسين هنا نستمع
للقصة. علينا أن نتحركَ لفعل شيء ما فوراً".

"لقد حاولتُ بالفعل"، قالت جريس. "دَعني أَنه القِصَّة فقط".

"قد يكون بإمكاننا فتح الصناديق لإخراج الناس منها".

تنهَّدت جريس ونظرت إلى الساعة.

"حسنًا، لناخذ استراحةً قصيرة".

مَدَّت يدها في حقيبتها، أخرجت مفتاحًا سُداسيًا. وأعطته لماركوس،
قائلةً:

"خُذْ هذا، افتح التابوتَ الذي تريده."

"أَلَدَيْكَ مِفْتَاحُ سُداسي؟"

"بالطبع."

"وبوسعي أن أفتح أيَّ تابوتٍ أريده؟"

"إلى حَدِّ ما."

"فكرة رائعة! مَنْ سيأتي معي؟" قال ماركوس بأملٍ وهو ينتهز
حذاءه.

قالت سيجرين بحماس "أنا!".

قالت جريس "سأعودُ القراءةَ مُجددًا بعد ساعتينِ إحدًا".

ركضَ ماركوس وسيجرين يتجولان، يتساءلان مَنْ الذي قد تكون
لديه الأجوبة. نظرت سيجرين حولها فرأت مبنى البرلمان، تكسوهُ
أشجار الورد البرية والأشواك.

"لقد قالت جريس إن بوسعنا فتح أي تابوت"، قالت سيجرين، "لأ
بُدُّ أن أعضاء البرلمان يعرفون ماذا حدث".

كان باب الدخول مُوازبًا، نظرًا منه إلى رواقٍ طويل بأرضية رخامية.
تتحرك فيه الأوراق مع التيارات كأوراق الشجر في الخريف. على أحد
الجدران توجد تماثيل نصفية ولوحات لأعضاء البرلمان، مُغطاة كلها
بطبقة من التراب.. كان الأعضاء أنفسهم مُصطفين على طول الجدار
المقابل، يغمهم الضوء الأزرق. فحص ماركوس التوابيت، ووجد أحد
الأعضاء الذي يعرفه من نشرات الأخبار في التلفاز. أدخل المفتاح
السداسي في القفل وفتح التابوت.

• بين انفتح التابوت سأل الرجل بغضب: "لماذا تُزعجني؟" كان
أي بذلة رمادية داكنة ويبدو مرهقًا.

• له ماركوس: "أنت عضو برلمان، ألسنت كذلك؟".

• لا أعرف. في أي عام نحن؟" نظر الرجل إلى مؤشر في التابوت وأطلق
• دة ارتياح قائلاً: "لا، لسنتُ عضوًا ولسنتُ مسؤولًا عن أي شيء".

"؟" قال ماركوس. "مكتوبٌ على التابوت عضو برلماني".

• لا، لقد سَقَطَت الألقاب"، قال الرجل وهو ينزع بطاقة لَقِيهِ
• "ألفي. ثم أضاف: "حسنًا، وداعًا إذا، لن أخرج حتى يتعافى النظام
• الاقتصادي".

"ومتى سيكون هذا؟".

• رفع الرجل كتفيه قائلاً: "حين يتحسن الموقف. لكنني الآن مُرْهَقٌ.
• لقد كانت فترة برلمانية صعبة جدًا". أشار إلى تابوت آخر. "تحدثُ
• مع المعارضة، إنهم يتظاهرون دائمًا بمعرفة كل شيء".

• ثم صَفَقَ غطاء تابوته يغلقه. اتَّجَّها إلى تابوت بداخله امرأة
• -وسطة السن ترتدي بذلة؛ تقف مُنْتَصِبَةً القامة، بتعبير فولاذي.
• فنحت سيجرين التابوت.

• "ماذا؟" قالت المرأة. "في أي عام نحن؟" نظرت إلى الساعة. "حسنًا.
• لقد انتهت الدورة البرلمانية أخيرًا. ما الموقف الآن؟".

• "فوضى تامة"، قال ماركوس. "الموقف خطير جدًا".

• "بالطبع!" قالت المرأة بانتصار. "تمامًا كما توقَّعتُ. لا تسألني عن
• شيء. أنا لم أشارك في شيء، لقد ظلَّلتُ داخل التابوت طوال الوقت،
• وبالقطع لن أشارك في تنظيف الفوضى التي تركتها الإدارة السابقة!".

• قالت سيجرين: "لكن على أحدٍ ما فعلُ شيء ما".

"نعم، لكن ماذا سيحدث إن قُمْتُ أنا بالتنظيف؟ ما أن يعود شيء إلى طبيعته سيُعاد انتخاب الحمقى السابقين. تذكّري قولي هـ جيّدًا!"

"هيا، همس ماركوس، هذا كله بلا جدوى".

صَفَّقَت المرأةُ غِطاءَ تابوتها تُغْلِقُه. فيما رَكَضَ ماركوس وسيجروا، إلى دار رعاية المسنّين، حيث وَجَدَا جَدَّةَ ماركوس الأخرى في تابوتٍ في غرفة صغيرة.

قالت الجَدَّة: "مرحبًا، ماركوس عزيزي".

"جَدِّي، يجب أن تساعدني. لقد اختفى الناس من العالم!"

"أعرف هذا، يا صديقي الصغير".

"ساعدينا إذًا. علينا إخراج الجميع من توابيتهم قبل أن يتأخّر الوقت. تعالي معنا، جدتي! أتذكرين كيف كُنَّا في الماضي؟"

"أوه، لستُ مُتأكّدة"، قالت.

"أرجوكِ جدتي".

من خارج النافذة كانا يريان يافطات شعارات باهتة:

هل ستترك الأزمة تُؤثّر على أطفالك؟ صندوق الزمن ماركة مسجّلة.

حالة الطقس أمطار ورياح طوال العام القادم! صندوق الزمن ماركة مسجّلة.

أسوأ سني حياتك في انتظارك؟ صندوق الزمن ماركة مُسجّلة.

لم يتبق لي الكثير لأعيشه عزيزي ماركوس. لقد وُلدت في الكساد
البر 11¹ ولا أريد أن أفضى سنواتي الأخيرة في حياة طاحنة.

"لكن جدتي، سنفتح المزيد من التوابيت. سنجمع الناس معًا ونبدأ
بمعًا صغيرًا، ثم سنفتح للمزيد للانضمام إلينا".

"همف! لقد بدأت تفكر مثل الهيئين!".

لم تكن تدفئة العرقعة تعمل؛ ارتعشت الجدة، ونظرت إلى ورق
المائل المنفصل على الجدار.

"هل الكافتيريا مفتوحة؟" سألت.

"لا"، أجابها ماركوس.

"خطئك لن تفلح، ماركوس عزيزي. فقط أسرع بالعودة إلى بيتك".

تركا دار الرعاية وذهبا إلى أصدقائهما.

"مرحبًا! أتودون الخروج؟".

لكن الإجابة كانت واحدة دائمًا.

نظر أصدقاؤهم إلى العالم بالخارج بخوفٍ وقالوا: "لا، لن يُسمح
لي بالطبع. إنه خطر شديد بالخارج وقد وعدتُ أمي أنني سأبقى في
البيت".

وَجَدَا الخَبَّازَ.

"صباح الخير، هل يُمكنك -من فضلك- أن تفتح المخبز مجددًا؟".

"لا أحد هنا لأخبز له".

وجدا طبييًا.

(1) أزمة اقتصادية في الثلاثينات تعتبر أشهر وأهم الأزمات الاقتصادية في القرن العشرين.

"لا مرضى، وملعب الجولف مَكسُوٌ بالعشب الطويل". كانت سيجر، تنوي فتح تابوتَيِّ والدَيْهَا. وقفت أمامهما بالمفتاح السداسي، لكنه أعادته في جيبيها.

"سيعيدانني إلى صندوقي بالتأكيد"، قالت بحزن: غادرت بغضه حلقها.

مَرًّا بِمَحَلِّ مَهْجُورٍ مَكْتُوبٌ عَلَى نَافِذَةٍ عَرَضَهُ مَحَلُّ أَلْعَابِ مَا جَنِي وَبِجَوَارِهِ لَافِتَةٌ مَكْتُوبٌ عَلَيْهَا بِخَطِّ الْيَدِ

بِضَاعَةٍ جَدِيدَةٍ: أَلْعَابُ فِرَارِ!

طَائِرَاتٌ وَرَقِيَّةٌ! أَلْعَابُ شَاطِنٍ! مِعَاطِفُ مَطَرٍ!

حاول ماركوس فتح الباب؛ لم يكن مُوصَدًّا. كان الهواء بالداخل مكتومًا، ورَأْيَا الْأَرُفَّ مُكْدَسَةً بِالْعَرَائِيسِ وَالِدَبَادِيبِ الْمَتْرَبَةِ، صِنَادِيوِ الْأَلْعَابِ الْمُضْفَرَّةِ، نَمَازِجَ لَطَائِرَاتٍ وَسِيَّارَاتٍ تَعْمَلُ بِأَجْهَازَةِ التَّحَكُّمِ عَرَبِيٍّ، وَعَرَبَاتٍ حَمَلِ الْعَرَائِيسِ. فِي غَرَفَةِ الْمَخْزَنِ يَوْجَدُ رَجُلٌ عَجُوزٌ يَقِفُ كَعَارِضٍ أَزْيَاءٍ مُتَجَمِّدٍ فِي صَنْدُوقِ أَسْوَدٍ، مُحَاطًا بِنَمَازِجِ الطَّائِرَاتِ، مَتْرَبَةٍ وَأَحَاجِي تَرْكِيْبِ الصُّورِ.

توجد في جميع الأرجاء دلاء طلاء ولافتات مكتوب عليها بحروف باهتة

كل يوم مغامرة!

الخيال يقتل الوقت!

سَمِعَا صَوْتًا مِنْ خَلْفَهُمَا. جَاءَتْ جَرِيْسٌ لَتَنْضَمَّ إِلَيْهِمَا.

قالت: "كان آخر واحد، كتب تلك اللافتات لِيُعَلِّقَهَا فِي أَنْحَاءِ الْمَدِينَةِ".

علم الطفلان إلى اللافتات

الأوقات الطيبة في انتظارنا الفاضى الكبرى تتطلب عملاً كثيراً!

واصلت جريس كلامها: "كان متفائلاً، لكنه، بعد أن قضى عاماً
أملاً وحده فى المدينة؛ أغلق متجره واشترى لنفسه تابوتاً".

قالت سيجرين: "هذا سخف. إن جدّة ماركوس لا تريد الخروج
من تابوتها حتى تفتح الكافتيريا مُجدّداً؛ والسياسيون لا يرغبون فى
الليف فوضى الإدارة السابقة؛ الأطفال خائفون من الخروج واللعب.
فقدوا جميعهم صوابهم تماماً".

قالت جريس: "هذا لأن التابوت يجعل التأجيل سهلاً جداً. يُسهّل
على من فيه التخلّي عن حلّ المشاكل... يجعل المشكلة تمرّ كشكّة
أوس صغير".

"أى أن الناس أنفسهم هم من قرّروا أن يكون العالم هكذا؟"
"إلى حدّ ما".

"أى أننا ليس بوسعنا فعل شيء؟".

"حسناً. ظنّى أن بوسعنا فعل شيء. دعونا فقط نُنه القصة".

اهرب يا ولدي

سأل أنوري عائداً إلى البيت ببعض الطعام لخالته. دُعرت بورجليد
من رآته عند الباب؛ أسرعت تشدُّه للداخل وهمست:

"يجب أن تهرب! لقد جاء رجال منذ قليل، يبحثون عنك. فثشوا
"سنت كلُّه. أنا لا أعرف مَنْ هم. معظم الفتية في الشارع تمَّ تجنيدهم،
من الأصغر منك. المعوقون فقط مَنْ كانوا محظوظين. يجب أن
اهرب!"

"إلى أين؟ أين؟"

"أنت في الرابعة عشرة من عمرك، أنوري، لقد اقتربت من سنِّ
الرشد. توجهْ شمالاً. حاول الوصول إلى البلدان التي انهزم فيها دايمون.
الآن، أسرع... اذهب!"

"ماذا عن أبي؟"

"لا جدوى من انتظار انتهاء الحرب. يجب أن تذهب!".

"لكن مَنْ سيعتني بك؟".

"لا تقلق بشأنى. سأكون بخير!".

أسرع أنوري يجمع ملابسه، وأخذ معه بعض الطعام. لم ير المأمون الصغير المخصص للأميرة الخالدة مكانه.

"أين المذبح؟" قال. "أين صورة أوبسيديانا؟".

"تلك الساحرة؟" بصقت بورجليد. "لا تذكر اسمها في بيتنا! اذهب. ابتعد بقدر ما يمكنك! لم تعد المدينة مكاناً آمناً للفتية وسنك".

فتحت صندوقاً صغيراً وأخرجت منه فيلاً منحوتاً من عظم الحوت. إحدى عينيه من حجر أزرق، بداخله قطرة حمراء صغيرة، والعين الأخرى مفقودة. ناؤلته لأنوري.

"كان هذا لجذتك، أختي. جاء حرس الملك وأخذوها حين كان أبواً رضيعاً ولم تعد إلى البيت ثانية قط".

عانقته بقوة لوقت طويل.

"اعتن بنفسك".

بكى الاثنان، وغادر أنوري.

لكنه بدلاً من مغادرة المدينة، توجه إلى القصر، وجد جحر الأرنب. ورزحف مباشرة إلى قاعة التابوت. كان عليه أن يعرف ماذا حدث سيعودون بالأميرة إلى القاعة عاجلاً أم آجلاً، بالتأكيد. قبع في الغرفة الخلفية حيث السلم الحلزوني المكسور، خلف الفتحة الصغيرة، أزال التراب واتخذها مخبأً.

• رُبّت الأيام ببطء. كان يعثر على الأركان والزوايا المظلمة حيث
 • هي أياًّما كاملة في التجسُّس على حياة القصر، وكان من فترة لأخرى
 • ط إلى السرايب ليتمرّن على الرماية بالقوس والسهام التي وجدها
 • مزانة أسلحة قديمة. كان في العادة يستلقي أعلى برج الحراسة
 • بم يُحدّق في النجوم. في الليل، تهدأ المدينة، قليلون من يشعلون
 • «ان ولا أحد يغني؛ لا يسمع سوى أصوات الحرس وهم يُعدون
 • «الاب الضالة.

سرعان ما عرف أنوري كل ما يحدث في القلعة. عرف كل شيء عن
 • هير نوبات الحراسة، وعن مزاج الأختين الذي يسوء كثيراً في المساء.
 • سلل إحداهما أحياناً للقاء غرامي مع أحد الحُرّاس، وتبدو الأخرى
 • أنها قد فقّدت صوابها حين تجلس في فراشها تتمتّم لنفسها. أمّا
 • هيلد، فكانت تروح وتجيء في الأروقة كالأسد الحبيس. كان يسمع
 • «نادائتهما حين يأتي أرشن لها برسائل من أوبسيديانا:

"إنها ليست راضيةً عنك اليوم. عليك الانتباهُ جيّداً لأفكارك، وإلّا
 • ستحدّث عنك مع الآلهة بالسوء."

تعلّم أنوري أن يتحرّك بين عوارض الأسقف في الظلام. عرف كل
 • مخابئ وسقّ في القلعة جيّداً جيّداً، ووجد فجواتٍ حيث يمكنه الاختباء
 • طوال اليوم دون أن يراه أحد. كان يحب مشاهدة فتّاني القصر، كيف
 • يضبّون بفرشهم، يشدّون أقمشة لوحاتهم، يرسمون خطوطهم، يُلوّنون
 • الطبقة الأساسية، ثم يضيفون طبقةً فوق الأخرى، وكيف يمزجون
 • مساحيق الألوان العديدة لإعداد الطلاء. كان يذهله ظهور الوجوه في
 • اللوحات، مع الأحصنة والجبّال، والسفن والمعارك الملحمية.

في الليل كان يدرس اللوحات عن كثب. لوحة لم تتّهِ بعدُ للملِكة
 • في أوج مجدها؛ وتلك للملك دايمون مُحاطاً بالجنود والحيوانات، واضِح
 • أنها رُسِّمت قبل انقسام المملكة إلى نصفين؛ وها هو دايمون بسلسلةٍ

حولَ كَتْفَيْهِ، يرفع صخرة ترمز إلى الشق العظيم... استراح، ١١٥
لفكرة أن الجندي الواقف خلف الملك بقوسٍ وسهام هو والده. ١١٦
لوحة لإكسل ببذلته المطبوعة بالمربعات؛ وهنا بدأ أحد الفنانين ١١٧
لوحةً لأوبسديانا الجميلة في تابوتها الزجاجي. من خلفها الخط ١١٨
العريضة للملك، الملكة، والأختين. كان وجه أوبسديانا قد اكتمل ١١٩
تقريبًا، لكنه لم يَبْدُ كوجهها بالمرّة. يمكنني أنأ رسمها على نحوٍ أفضل ١٢٠
من هذا، ففكر أنوري.

ملاً حقيبةً بالفُرُش والطلاء، وتَسَلَّل عائِدًا إلى مخبئه، حيث بدأ ١٢١
غطاءً سميكًا على النافذة لِيُمْكِنَهُ إضاءة الغرفة بالشموع ليلاً. نهارًا ١٢٢
إلى الجدران الحجرية الرمادية وتذكّر الوقت الذي مَرَّ عليه ١٢٣
أن جاء إلى هنا وهو فتى صغير؛ تذكّر القصص التي أخبرته بها ١٢٤
أوبسديانا، وبدأ يَبْنُ فيها الحياة على الجدران حول فراشه البائس. ١٢٥
رسم أوبسديانا تَحْمِلُ سَمَكَةً ذهبيةً عملاقة وغزلتين عند قدميه ١٢٦
ظلَّ يرسم طوال ذاك الشتاء وبداية الربيع التالي، تزداد مَهَارَتُهُ بِمَرورِ ١٢٧
الوقت. رسم طيورًا بيضاء، وطيورًا جارحةً، وِغْرِيانَ تَحْطُّ على بَرَم ١٢٨
ثم بدأ الرسم على جدار آخر، رسم غابة كبيرة مليئةً بحيوانات ١٢٩
غريبة، باندا حمراء، وفيل بعينٍ واجِدَةٍ. ثم راح يُزَيِّن السقف بسما. ١٣٠
زرقاء وسُحْب، وفي أحد الأركان رسم مطرقةً ثَقِيلَةً وتابوتًا مكسورًا. ١٣١
والزمن يحيط بأوبسديانا كالنسيم المنعش؛ تعرّف بالنظر إلى وجهها، ١٣٢
أنها حرة.

مَرَّت الأيام. شحب وجهه، وصار كصفحة بيضاء من البقاء بالداخل ١٣٣
دائمًا؛ لم يَكُنْ يغامر بالخروج إلى أي مكان سوى لجلب الطعام والطلاء. ١٣٤
ولم يكن له رفيقٌ سوى فأرٍ يتركه يقرض بقايا طعامه. كان يتسلّل في ١٣٥
القلعة بحرص شديد؛ أي حركة خاطئة تعني موته. في إحدى زيارته ١٣٦
لمرسم القصر ذات ليلة، دَقَّق في صورة لأوبسديانا؛ يدرسها، هزُّ رأسه، ١٣٧
وأحضر بعض الطلاء. أضاف للأنف ضربةً فرشاةً بيضاء، أضفى لمعةً ١٣٨

لـ شعرها، وعدّل زاوية إحدى العينين. أضاف لنظرتها بريقًا أيضًا،
لـ شفثيها أكثر احمرارًا قليلًا، وسّع جبينها، وأضاف ظلًا تَنَاسِبُ
لـ مع الشمس في الصورة. حين عاد الرّسام في الصباح التالي كان وجه
لـ يديانا الكامل يتوهج على القماش؛ فاعتبر الرّسام ذلك دليلًا على
لـ القوى الغامضة قد عملت على لوحته.

لَقَد عَادَت

سَاعَدَ الرُّسْمُ أَنُورِي عَلَى نَسْيَانِ الزَّمَنِ وَوَأَقِيعَ أَنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ مُقَابَلَةَ
أُوبَسِيدِيَانَا. لَكِنَّهُ سَمِعَ ذَاتَ يَوْمٍ الأَوَامِرَ تَصَدَّرُ بِصَوْتِ عَالٍ لِلْحُرَّاسِ:
"إِنذَارٌ بِالْإِنْتِبَاهِ جَيِّدًا هَذَا الْمَسَاءِ! سَيَنْفَتِحُ التَّابُوتُ وَسَوْفَ تَظْهَرُ
الْأَمِيرَةُ لِلْعَامَّةِ!".

قَفَزَ قَلْبُ أَنُورِي بِدَاخِلِهِ. يَجِبُ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى الْمِيدَانِ. الشَّوَارِعُ
لَيْسَتْ أَمْنَةً؛ لِذَلِكَ تَقَافَزَ عَلَى الأَسْطِجِ إِلَى حَيْثُ يُمْكِنُهُ رُؤْيَةُ التَّابُوتِ
فِي الْمَعْبَدِ. أَحْزَنَهُ التَّعْبِيرُ الْفَظِيحُ عَلَى وَجْهِ أُوبَسِيدِيَانَا، كَانَ يُشْعُ ظِلَامًا
تَقْرِيبًا. عَلَيْهِ فَعَلَ شَيْءٌ مَا... لَكِنْ مَاذَا؟ كَانَ يَفْتَقِدُهَا بِشِدَّةٍ.

فُرِعَتِ أَجْرَاسُ الْمَعْبَدِ، وَحَشَدَ حَرَسُ الْقَمَرِ النَّاسَ إِلَى الْمِيدَانِ.
حَمَلَ الْكَهَنَةُ التَّابُوتَ فِي طَقْسٍ رَسْمِيٍّ إِلَى الشَّرْفَةِ حَيْثُ وَضَعُوهُ وَاقِفًا.
اقْتَرَبَ أَرشَنُ مِنَ التَّابُوتِ بِصَلَاةٍ أَعْلَالِهِ، وَفَتَحَهُ بِحَرَكَةٍ مَسْرُوحِيَّةٍ،

لِيُحَرِّزَ أَوْسَيْدِيَانَا مِنْ عُبُوسِيهَا، الَّذِي تَحْوُلُ إِلَى صِرْحَةٍ... صِرْحَةٌ هَاهُنَا،
فَظِيْعَةٌ سَرَتْ فِي أَرْجَاءِ الْمَدِيْنَةِ كَقَشْعِرِيْرَةٍ بَارِدَةٍ.

"تَفْضَلِي... اخْرِجِي"، قَالَ أَرْشَنُ.

صَيَّقَتْ أَوْسَيْدِيَانَا عَيْنِيهَا. ارْتَعَشَ النَّاسُ، وَمَتَّمَمُوا لِبَعْضِهِمْ الْبُحْبُوحَ،
انظُرُوا إِلَى وَجْهِهَا الشَّاحِبِ الْمِيْتِ وَشَفَتَيْهَا الْمَتَعَطِّشَتَيْنِ لِلدَّمَاءِ!

نَظَرَتْ أَوْسَيْدِيَانَا حَوْلَهَا، عَيْنَاهَا تُطَلِّقَانِ غَضْبًا وَكِرَاهِيَةً. تَمِيْرُهُ،
أَنُورِي مَكَانَهُ؛ قَلْبُهُ يَدُقُّ بِقُوَّةٍ فِي صَدْرِهِ. مَاذَا حَدَثَ؟ لِمَ يَرَاهَا شَرِيْرًا،
هَكَذَا مِنْ قَبْلِ قَطْ.

رَفَعَ أَرْشَنُ ذِرَاعِيْهِ لِأَعْلَى.

"هَلْ يَرِغِبُ أَحَدُكُمْ فِي أَنْ يَصِيْبَهُ غَضْبُهَا؟".

صِرْحَتْ أَوْسَيْدِيَانَا فِيْهِ. طَارَ سِرْبٌ مِنْ غَرْبَانِ الْبَرِيْدِ يُطَلِّقُ لَأَمْ،
فِي دَوَائِرٍ حَوْلَ الْأَبْرَاجِ. كَاااا! كَاااا! كَاااا! تَمَلَّكَ الدُّعْرُ النَّاسَ. بَكَى الْأَطْفَالُ،
وَنَاحَتِ النِّسَاءُ فِيمَا يَمُرُّ الْحَرَسُ بَيْنَ الْحَشْدِ لِجَمْعِ الْخَبِزِ وَالْحَبُوبِ،
وَالْمَلَابِسِ وَالْحُلِيِّ. صَارَتْ أَوْسَيْدِيَانَا رَمَزًا لِلْقَمْعِ وَالطَّغْيَانِ، الظُّلْمِ
وَالجَشَعِ. كَانَتْ مَا زَالَتْ تُطَلِّقُ صُرَاخَهَا حِينَ أَغْلَقَ الْكَهْنَةُ غِطَاءَ
التَّابُوتِ، لِيُجَمِّدُوا وَجْهَهَا فِي صِرْحَةٍ صَامِتَةٍ. بَدَأَتْ الْحَشُودُ تَتَدَافَعُ فِي
الْمِيْدَانِ هُنَا وَهَنَا؛ فَتَحْوُلُ الْأَمْرَ عَلَى الْفُورِ إِلَى شِجَارِ جَمَاعِي.

كَانَ أَنُورِي عَلَى وَشِكِ الْقَفْزِ مِنْ عَلَى السُّطْحِ الَّذِي يَقِفُ عَلَيْهِ
حِينَ وَجَدَ نَفْسَهُ فَجَاءَهُ مُحَاطًا بِثَلَاثَةِ رِجَالٍ.

"سَاحِرَةٌ حَقِيْرَةٌ"، قَالَ أَكْبَرُهُمْ سُنًّا، وَبَصَقَ نَحْوَهَا.

تَجَمَّدَ أَنُورِي. كَانَ الصَّوْتُ مَا لَوْقَا.

"أَيْنَ كُنْتَ تَخْتَبِئِينَ يَا فَتَى؟ ظَلَّلْنَا نَبْحَتَ عُنُقِكَ مَدَّةً طَوِيلَةً".

نَظَرُوا إِلَيْهِ مِنْ أَعْلَى لِأَسْفَلِ.

نُفَعُ طِلَافٍ؟ مِنْ أَيْنِ طَالَتْكَ هَذِهِ؟".

"افْتَحَمْتُ مَنَزَلَ رَسَامٍ"، قَالَ أَنْوَرِي. "لَكِنَّدَهُ لَمْ يَكُنْ لَدَيْهِ شَيْءٌ. مَاذَا... وَن؟".

"تَعَالِ مَعَنَا".

دَفَعُوا بِهِ أَمَامَهُمْ، هَبَطُوا وَسَارُوا فِي الشَّوَارِعِ حَتَّى وَصَلُوا إِلَى نَزْلِ
الْبِم، كَانَتْ رَائِحَةُ الْهَوَاءِ بِدَاخِلِهِ نَتْنَةً كَرَائِحَةَ سِكِّيرِ نَائِمٍ. جَلَسَ رَجُلٌ
بَدُوٌّ مِنْ هَيْئَتِهِ أَنَّهُ الزَّعِيمُ يُدَخِّنُ غَلِيونًا... مَعَ أَنَّهُ كَانَ الْحَصُولَ عَلَى
أَيِّ نَوْعٍ مِنَ التَّبَغِّ مُسْتَحِيلًا بَعْدَ فُقْدَانِ النُّصْفِ الْغَرْبِيِّ مِنَ بَانْجِيَا.

قَالَ الرَّجُلُ: "لَقَدْ كَبَّرْتَ يَا صَاحِبِي".

نَظَرَ أَنْوَرِي إِلَيْهِ؛ كَانَ هُوَ مَنْ أَجْبَرَهُ مِنْ قَبْلِ عَلَى الزَّحْفِ إِلَى
الْمَافِيَّةِ، نَمَّتْ لَهُ الْآنَ لِحْيَةٌ كَامِلَةٌ.

"نَعَمْ"، أَجَابَهُ، "الْأَطْفَالُ يَكْبُرُونَ".

قَالَ الرَّجُلُ وَهُوَ يَقْرَصُ لَحْمَ ذِرَاعِ أَنْوَرِي: "وَجْهُكَ شَاحِبٌ، لَكِنَّكَ
تَبْدُو بِصِحَّةٍ جَيِّدَةٍ. مِنْ أَيْنِ تَحْصَلُ عَلَى طَعَامِكَ؟".

"أَتَدْبُرُ أَمْرِي"، قَالَ أَنْوَرِي، مُتَعَرِّقًا. هَلْ يَعْرِفُونَ شَيْئًا؟

ضَحَكَ الرَّجُلُ عَلَى رَدِّ فِعْلِ أَنْوَرِي، وَنَكَزَهُ فِي ظَهْرِهِ. "تَعْتَنِي بِنَفْسِكَ
جَيِّدًا، حَازِقٌ، أَنَا أَحَبُّ هَذَا. نَحْنُ فِي حَاجَةٍ لِأَشْخَاصٍ مِثْلِكَ".

بَدَأَ أَنْوَرِي مَكْتَبِتًا.

"تَبْدُو بِأَيْسًا طَوَالَ الْوَقْتِ يَا فَتَى"، قَالَ الرَّجُلُ بِخَشْوَةٍ. "نَحْنُ لَمْ
نَعَامَلْكَ بِشَكْلِ سَيِّئٍ لِلْغَايَةِ فِيمَا مَضَى، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟ صَاحِبٌ؟ لَمْ نُجِرِّدْكَ
عَلَى فِعْلِ شَيْءٍ لَمْ تَفْعَلْهُ نَحْنُ مِنْ قَبْلِ. كُنْتَ جَيِّدًا مَعَنَا. أَتَعْرِفُ هَذَا
السَّيْفَ؟" سَحَبَ سَيْفَهُ مِنْ غَمْدِهِ وَأَرَاهُ لِأَنْوَرِي. "لَقَدْ قَتَلَ هَذَا رِجَالًا

عديدين منذ أن جئتنني به. كنت تبدو كقردٍ صغيرٍ وأنت تتسأله
منازل التُّجَّار"، قال وهو يُمرِّر يده على النُّصل الحادِّ.

قال أنوري: "ماذا تريد؟".

بدا الرُّجُلُ جادًا فجأة. قال:

"لقد ظللنا نبحثُ عنكَ. لدينا معلوماتٌ عن والدك".

دُهِل أنوري.

"لقد قُتِل في إحدى المعارك".

شحب وجه أنوري أكثر. "لا! هذا مستحيل!".

"إن الملك يمنع أخبار الخسائر، لكننا نعرف الحقيقة".

لانت نبرة الرُّجُلِ قليلًا الآن، تكاد تَحْمِلُ تعاطفًا، أمسك بكتف
أنوري بوُدٍّ قائلاً: "لدينا شاهدٌ كان مع أبيك في الكتيبة نفسها حين
قُتِل في معركة الممر".

"لماذا أصدُقُك؟".

"إنهم يكذبون ليحفظوا الوهم"، قال صوتٌ من خلفه؛ كان رجلاً
بذراعٍ واحدة يقف في الظلام. "إنهم يعرفون أنها حربٌ خاسرةٌ ومع
ذلك ما زالوا يُرسلون بنا إليها. لقد قُتِل فيها ابني وثلاثة من أخوتي،
وقد رأيت بعيني مَقْتَلَ أبيك. كان رجلاً قويًا، والدك".

"لا!" قال أنوري. "أنت تكذب!".

"لدينا هنا قائمة الخسائر"، قال الزعيم. "سرقناها من مُخِيْم
الملك". بحث في رُزْمَةِ أوراقٍ، وأشار إلى قائمةٍ طويلةٍ من الأسماء.
حينها فقد أنوري الوعي.

تَمَرْدٌ

أفاق أنوري ليجد نفسه في فِراشٍ مُريحٍ. قدّمت إليه امرأةٌ عَطوفٌ
لُوبَ لَبِنٍ قَائِلَةً: "لا بُدَّ أنك جوعانٌ ومُتعبٌ".

نهض ونظر حوله. كان مكانًا مُريحًا، وتوجد نارٌ تطلق في المدفأة؛
يوجد أيضًا فتيةٌ آخرون من عمره، وقليل من الرجال الأكبر سنًا
يتحدّثون بأصواتٍ خَفِيضَةٍ. جاء المزيد من الرجال، وحيّتهم المرأةُ
بودّ:

"أنتم هنا في أمان!"

"نعم، ماما"، قال أحد الشباب. كان بشعره الأصهب الأشعث وعينيه
الخضراوين يشبه والدته تمامًا، وكان صوته مألوفًا لأنوري: كان أحد
أفراد العصابة التي أجبرته على تسلُّق منزل التاجر. قدّمت المرأةُ
العشاءَ. مرَّ وقتٌ طويلٌ جدًا منذ أن جلس أنوري إلى مائدة بجوار

نار في المدفأة، التهم الأرز وحساء جذور الشمندر بنهم معهما
جيدة من اللحم.

جلس الرجال على الطرف الآخر من المائدة يتناقشون.

قال أحدهم: "أنا واثق أن لا شيء مما سأقوله هنا سيخرج
هذه الجدران؛ أنا متأكد أنكم تقسمون على هذا برحمة أبان
وإخوانكم. لقد اقتربت نهاية دايمون القاسي. لا بُد أن تتوقف شرو،
لا يوجد على وجه الأرض من لم يُعان بسببه. لقد أثار العداوة
الحيوانات والبشر، وأودى بحياة آلاف البشر."

"شش!" قالت المرأة. "لا تتحدث هكذا. للجدران آذان."

"ليس بعد الآن"، قال الرجل. "إن الحراس يخافوننا. نحن نعره
أين يعيشون"، رفع صوته كأنه يُحذر جاسوسًا يتصنّت. التقت
أنوري قائلاً:

"إن دايمون وحش، وابنته أسوأ منه."

قال آخر: "لقد سمعت أنها تتجول ليلاً مع شيطان يدعونه الأم
الأسود."

انتصبت أدنا أنوري.

"ماذا؟ الأمير ماذا؟"

"الأمير الأسود. لقد شوهدا معاً أول مرة في الميدان منذ سنوات
مضت، وشوهدا أيضاً وهما يتجولان في القصر في الليالي المقمرة."

شعر أنوري بعرقه البارد وبلع ريقه. هل رآهما أحداً ما في القصر؟

"لقد سمعت عنهما قصصاً مرعبة"، قالت المرأة. "ذات مرة، ظهرت
امرأة مجهولة في مزرعة وطلبت من الزوجة الاعتناء برضيعها الصغير،
أخذته المرأة ووضعت في المهدي مع طفلها، في الليل سمعت الزوجة

أ. وات مَضَغَ بِنَهُم، ووجدت أنه لم يكن طفلاً، بل مخلوقاً شريراً،
الهم طفلها كله، حتى آخر قطعة، نظر إليها المخلوق بحنق؛ تقول
المرأة إنها النظرة نفسها التي رأيناها في الميدان. كانا هما: أوبسيديانا
والأمير الأسود".

"هذا كلام فارغ!" قال أنوري، لكنه ندم فوراً على فتح فمه.

سكت الرجال ونظروا إليه. ضحكت المرأة: "حسناً، حسناً! لا بُدَّ
ألك تعودت على عبادتها، صحيح؟".

"إن ما رأيناه بأعيننا أسوأ بكثير من تلك القصص"، قال الأصب. "إن
مُحَاسِبَ الملك الشرير، إكسل، يحسب كيف يمكن إبادة بلدان
بأكملها. النساء والأطفال بالنسبة إليه مجرد أرقام. هو من جعل
الملك يُخْلِيفَ وعده بعدم إثارة العداوة بين الحيوانات والبشر".

صب الماء الساخن في إبريق الشاي وهو يقول:

"أنا أعرف هذا من خبرتي الخاصة؛ لأن جدي مايكل هو من نصت
التمثال الواقف في الميدان. كان فناناً عظيماً، وظن أنه يمكنه حفظ
جمال أوبسيديانا إلى الأبد، لكن الملك غضب بشدة حين رأى على
قاعدة التمثال اسم "مايكل هوجمان" بدلاً من "أوبسيديانا"؛ فأمر
بالقائه إلى الأسود. كان دايمون مجنوناً منذ عدة عقود، لكنه مساوئه
تضاعفت الآن".

قال رجل آخر: "أنا كنت في المكتبة التي مررت بالمدينة الذهبية
بعد أسابيع قليلة من تخيير رجال دايمون هناك. كان الحال مُريعاً.
كانت الضباع تتجول هنا وهناك لالتقاط آخر ما تبقى من البشر.
وجدنا رضيعاً صغيراً حياً، يتضور جوعاً ويَجُثمُ مُرتعداً كجرو. لن
ننسى هذا أبداً".

أضاف رجل آخر: "كانت الانتصارات أكثر رعباً من الهزائم".

جلسوا صامتين لفترة. ثم نظر الزعيم إلى أنوري قائلاً:

"نحن بحاجة إليك".

"نعم؟".

حاول أنوري بَلْعَ قطعة خبز، لكنْ خَلَقَه كان جافاً؛ أعادت المرأة مَلءَ كوبه باللبن.

قال الرجل: "لقد طال حُكْمُ دايْمون الرهيب؛ لن يعيش دايْمون، والأميرة لِيَرَيَا البَدْرَ المَقْبِلَ".

اختنق أنوري باللبن. تَمَلَّمَ الرجال الجالسون بجوار الزعيم.

همس أحدهم للزعيم: "أنت تتحدّث بصوتٍ عالٍ للغاية".

قال الزعيم "لا يهمني".

"سيسمع القصرُ بالأمر".

"ومَن الَّذي سَيَسْئَلُ بنا؟"، قال الزعيم وهو ينظر حوله نظراً تهديداً. "هل يتذكّر أحدكم "فين"؟ هل تعرفون ماذا يحدث للواشين؟". ثم التفت إلى أنوري وقال بِحِدَّة:

"الأمر نفسه ينطبق عليك أنت أيضاً. أنتِ مُمَكِّنُكَ التُّسْلُقُ؛ ولذلك نحن في حاجةٍ إليك، تذكّر فقط مَن كان السبب في موت أبيك. استعدّ، سوف نأتي إليك".

"متى؟" سأل أنوري.

"الجواسيس فقط مَن يسألون سؤالاً كهذا"، قال الرجل وهو ينظر إليه بِحِدَّة. ثم أخرج خريطةً مُهترئةً: مُخَطَّطاً قديماً للقصر، بعلاماتٍ على مداخله الممكّنة.

"على الجانب البَحْرِيّ من القلعة يمكنك التُّسْلُقُ دون أن يلاحظَكَ أحدٌ. يوجد هنا بُرْجُ حراسةٍ مهجور"، قال، يشير إلى نقطة في الخريطة.

الآن بتعدُّد الوصول إليه، لكن في السنوات الأخيرة تَمَّت النباتات
السُلْفَة؛ فصار بإمكان شخص خفيف الوزن مثلك أن يتسلَّق لأعلى
من هنا، يوجد رواقٌ يُوَدِّي إلى قاعة
التابوت". قال يشير إلى القاعة التي يعرفها أنوري جيِّدًا جدًا.

كان على أنوري أن يتماشَكَ جيِّدًا. إنه يحفظ القصر عن ظهر
القلب، ويعرف جيِّدًا أن هذه الخريطة قديمة جدًا؛ الباب الذي
يصلُّون للدخول منه مَسدودٌ بالطوب. ظلَّ صامِتًا لئلاَّ يمنحهم أيَّ
الافكار مفيدة، لكن فكرة تَسَلُّق النباتات فاجأته، وبدأ يقلق. كان
واسخًا أن أوبسيديانا ليست في مأمَنٍ في القلعة.

واصل الرُّجُلُ كلامه:

"هذه مهمَّةٌ لرجلين. عليهما مساعدة أحدهما الآخر في تَسَلُّق
النباتات. من هناك يسيران في الرواق المؤدِّي إلى قاعة الأميرة. وهناك
ملبنا العمل بسرعة حقًّا".

سال أنوري: "علينا؟ أتريدني أن أتسلَّق إلى القاعة؟".

"أنت بارِعٌ في التسلُّق. لقد زَحَفْتَ إلى المقابر. مُكِنِّكَ هذا. أنت
وهو". قال يشير إلى الشاب الأصهب ذي العينين الخضراوين.

"إنه صغيرٌ، لكنَّه يعرف كيف يستخدم السُّكِّين".

ردَّد أنوري: "سكين؟".

نظرَ الرجال إلى بعضهم البعض، ثم أوما أحدهم برأسه قائلاً:

"نحن لدينا عملٌ مهمٌّ جدًا لك. هل يمكننا الوثوق بك؟".

أوما أنوري برأسه.

قال الرجل: "أنت ستفتح التابوت، وهو سيغرس سَكِّينَه في قلبها.

احرصا ألاَّ تَنظُرَا في عينيها مباشرة؛ فقد تلعنكما".

حدّق أنوري في الخريطة، سرت في جسده كُله قشعريرة باردة.
سأل مُجدِّداً: "نقلها بسكين؟".

قال الرجل: "إنّ قتلها هو أسهل الطرق لنزع دايمون عن الـ...
إنها وحش. إنها المسؤولة عن الألم لا يمكن وَصْفُها كان على الـ...
تَحْمُلُها، وعن مقتل أبيك أيضاً. أنتَ خائف؟ أتظنُّ أن بإمكانك...
هذا؟".

أوما أنوري برأسه ببطء.

"نعم، يمكنني".

تنحى الرجال جانباً لِعَقْدِ اجتماعِ هاميس. نظر أنوري حوله إلى
الجالسين هناك يأكلون، يُرْقِعُونَ ثيابهم، يَسْتُون سيوفهم. انقبض
معدّته بقوة. عاد إليه الزعيم.

"أتريد المكوث هنا؟ أَلَدَيْكَ مكانٌ تذهب إليه؟".

قال أنوري: "أنا بخير، لديّ مكان للمبيت".

"سوف نرسل إليك"، قال الرجل. "احتفظ بالأمرِ سراً، حتى وإن
نزعوا أظافرك. الوصول إليها في القلعة أسهل من الوصول إليها في
الميدان... قد يُكَلِّفُنَا ذلكَ خَمْسِينَ رَجُلًا، لكن داخل القلعة لن نُضْمِرَ
بأكثر من اثنين".

"تَضَعُونَ باثنين؟".

"إن النّار لأبيك له مَخاطِرُه، نحن لا نَعِدُّكَ بشيءٍ، وقد يحدث
أيُّ شيءٍ. انبثق في مَخَيِّتِكَ. سوف يعملون أوبسديانا إلى القلعة الليلة.
ونحن نعرف أنها ستبقى هناك لعدة أيام".

سار أنوري في الظلام. السماء مُلبّدة بالغيوم، لا نجوم ولا قمر يُنير
له طريقه في الأريفة الضيقة. تأكّد أنّ لا أحد يتبعه. حين وصل أخيراً

١٠٤. فنحة الأرنب ألقى بنفسه على الأرض وراح يبكي. لن يعود أبوه؛
الملك دايمون. أوبسيديانا حبيسة التابوت كساحرة شريرة غاضبة،
الامرؤدون يريدونه أن يقتلها. عالمه كُله ينهار.

حين وصل إلى الغرفة الخلفية، سمع أصواتًا تأتي من قاعتها. ركّز
شعنه.

كان أرشن يقول: "انظري فقط إلى صرختيها، صرخة شرسة مُجمّدة".

لم تُقلّ جنهيلد شيئًا.

سألها أرشن: "لماذا أنتِ هادئة؟".

"ليس عليّ قولُ شيءٍ، إنها تقرأ أفكارِي".

قال أرشن: "لقد كنتِ جميلة جدًا. أنا لا أعرف لماذا يدعُ الملكُ
الرؤمَنَ يُدمركِ بلا رحمة. لقد تركَ جمالَكِ يزول عنكِ رغم وجود
تابوت يمكنه حفظ شبابك".

"إن دايمون لا يفكر في".

"لا، إنه لا يهتمُ بكِ ولا بابنتيكَ، إنه يفكر في السُلطةِ فقط. مَنْ
ملك التابوت يمكنه هزيمة الزمن والسيطرة على الناس".

لم تُجِبْه جنهيلد.

"لماذا تسكتين؟".

"أنتِ تعرف فيما أفكر".

جَلَجَلَت أغلاله وهو يقترب منها.

"أنا أقرأ أفكارك بوضوح. أنتِ تكرهينها. تشعرين أن التابوت
يجب أن يكون لكِ أنتِ".

لم تُجِبْه أيضًا.

"أنت تَتَمَنَّى الشباب الدائم".

اندَفَعْتَ تَخْرُجُ مِنَ الْغُرْفَةِ. تَزَكَّتْ أَرْضُنَّ يُرْبَتْ عَلَى التَّابِ،
وَيَدْنِدُنُ:

"أنتِ جَمِيلَةٌ جِدًّا، سَتَكُونِينَ لِي قَرِيبًا جِدًّا".

ثم غادر، وَصَفَّقَ بَابَ الْقَاعَةِ خَلْفَهُ.

انتظر أنوري حتى هدأ كلُّ شيء، ثم تَسَلَّلَ وزحف إلى التاب،
لينظر إلى أوبسيديانا عن كَتَبٍ. كانت عيناها حَانِقَتَيْنِ كَقِطِّ شُرْبِ
وأسنانها البيضاء تلمع كحيوان مفترس. في ماذا كانت تُفَكِّرُ حِينَ
توقَّفَ بها الزمن؟ هل صارت وَحْشًا حَقًّا؟ فَتَّحَ الْغِطَاءَ، وعاد،
الأميرةُ الحَانِقَةُ إلى الْحَيَاةِ.

أوبسيديانا وأنوري

زَمَجَرَت أوبسيديانا. قفز أنوري إلى الخلف.

هَمَسَ قَائِلًا: "ششش! إنه أنا!"

نظرت أوبسيديانا حولها سريعًا، ثم ألقت بنفسها بين ذراعيه
قَائِلَةً:

"أنوري! لقد جئت! أخبرني بكل شيء عن عالم الزمن!"

راودها شعور غريب. تساءلت إن كانت المشاعر تزداد ببطء داخل
التابوت رغم توقف الزمن. كانت تفتقده حقًا. نظرت إليه صامتةً.

سألها: "ماذا؟".

مدت يدها ولمست أنفه قَائِلَةً:

"لقد كبر أنفك للغاية، وتغير صوتك!"

احمرُّ وجهه حَجَلًا، وَغَطَى أَنْفَهُ بِيَدِهِ. لَمَسَتْ حَدِيئِهِ.
"يُوَجَدُ جُرْحٌ هُنَا"، قَالَتْ تَرُبَّتْ عَلَى ظَهْرِ يَدِهِ. "وَهُنَا أَيْضًا. أَدَا،
تَبْدُو كَأَذْنِي قِطُّ مُتَوَحَّشٍ".

"كُنْتُ فِي قِتَالٍ"، قَالَ، "هَيْئًا... أَسْرِعِي، لَيْسَ لَدَيْنَا الْوَقْتُ لِنَتَحَدَّثَ!".

"قِفْ مُنْتَصِبِ الْقَامَةِ، دَعْنِي أَرْكُ... لَقَدْ اِزْدَدَتْ طَوَلًا!".

"شش! هَيْئًا، لَيْسَ لَدَيْنَا وَقْتُ لِنُضَيِّعَهُ". قَالَ وَهُوَ يَشْدُهَا.

"كَمْ مَرَّةً مِنَ الْوَقْتِ مِنْذُ أَنْ رَأَيْتُكَ آخِرَ مَرَّةٍ؟".

"ليلة الحفل، منذ عامين".

"أَنَا لَا أَصَدِّقُكَ!" قَالَتْ أُوْبْسِيديَانَا مُتَجَهِّمَةً. "كَيْفَ أُمَكَّنَكَ فِعَالًا
هَذَا بِي؟ لَقَدْ وَعَدْتَنِي بِالْعُودَةِ!".

"لَقَدْ حَاوَلْتُ، لَكِنَّ الْكَاهِنَ أَرَشَنَ أَمَرَ بِإِبْقَانِكَ فِي الْمَعْبَدِ طَوَالَ
الْوَقْتِ؛ لِذَلِكَ كَانَ مِنَ الْمُسْتَحِيلِ الْوُصُولَ إِلَيْكَ. هَيْئًا الْآنَ، أَسْرِعِي"
سَكَّتَتْ أُوْبْسِيديَانَا ثَمَّ قَالَتْ: "لَكِنْ مَاذَا عَنِ أَبِي؟".

"مَا زَالَ فِي الْحَرْبِ".

"وَكَيْفَ الْحَالُ هُنَاكَ؟".

"لَمْ يَعْذُ أَبِي قَطُّ. أَخْبَرُونِي أَنَّهُ مَاتَ".

"أَوْه"، هَمَسَتْ. "يَا لَهُ مِنْ خَبَرٍ حَزِينٍ".

"عَلَيْنَا أَنْ نَذْهَبَ، أُوْبْسِيديَانَا. لَيْسَ أَمَانًا خِيَارًا آخَرَ! الْمُتَمَرِّدُونَ
يُرِيدُونَ قَتْلَكَ".

"مَنْ؟".

"أَنْتِ لَا تَعْرِفِينَهِمْ. إِنَّهُمْ يَظُنُّونَكَ سَاحِرَةً. أَرَشَنَ وَالْمَلِكَةَ يُرِيدُونَ
إِيذَاءَكَ لِتَحُطَّ مِنْ شَأْنِ الْمَلِكِ. هَيْئًا!".

حاول أنوري شدّها إلى الفتحة خلف الستائر.

همست: "لا! أريد أن أعرف ماذا حدث؟".

كان صبر أنوري يتفقد شيئًا فشيئًا، ظلَّ يجرّها وهو يشرح لها
سرعة:

"طلب أوري، ابن دوق السهول، يدك للزواج".

"ماذا؟" قالت، "أفعل ذلك؟".

"نعم، لكن أرشن قرأ أفكارك؛ قلت إنه ليس كُفؤًا لك ما لم يسبح
عبر مضيق قناديل بحر".

نظرت إليه أوبسيديانا لا تُصدّق.

قالت: "هذا ليس حقيقيًا!".

قال أنوري: "لقد غرق، وأخذ الدوقُ بثأره. كاد أن يقتل الملك".

تجمّدت أوبسيديانا مذهولة.

"أين هو الآن؟".

"الأخبار غامضة. لقد أرسل بإشعاراتٍ إلى جميع أنحاء بانجيا أن
على الجميع الاستعداد لأوقات أفضل، وأن كل شيء سيكون على ما
يُرامُ قريبًا".

"وهل هذا حقيقي؟".

"لا، إن العالم ينهار. لقد قضيتِ عامين في المعبد، والقصر لم يُعد
أمنا الآن. علينا أن نهرب من هنا الآن. أسرع!".

"لا. سيعود بابا إلى هنا سريعًا".

لم يقل أنوري شيئًا للحظة، لكنه قال أخيرًا:

"هل أنت متأكدة أنها فكرة جيّدة؟".

"ماذا تقصد؟"

"أَتظنُّن أن كل شيء سيكون بخير قريبًا؟"

"بالطبع! إنه الملك."

هز أنوري رأسه وقال:

"لقد حبسك في التابوت السحري! الناس يخافونه، والعالم سينهار بسببه!"

حدقت أوبسيديانا فيه بغضب.

"لماذا تتحدث هكذا؟ إن لم يكن هو طيبًا، فمن الطيب؟"

"رغمًا لا أحد طيب، لكنه خطأ الملك أن قُتل أبي مع آلاف الآخرين! إنه يُدمر كل ما يقترب منه، يحرق المدن ولا يرحم أحدًا. كان هو من أثار العداوة بين البشر والحيوانات!"

كُور أنوري قبضته، يكاد ينفجر غيظًا. "علينا أن نذهب الآن! أنت في خطر هنا! أفهمين؟"

أغمضت أوبسيديانا عينيها. كانت مُرتبِكةً، منذ وقت قصير مضى كانت تجلس في حدائق القصر وكان كل شيء رائعًا: كان بيك وموون يأتيانها ركضًا حين تناديهما، مُرَبَّيتُها تأتي إليها بالكعك واللبن، باندتها تُداعِيها بخَطْمِها، وبانجيا أقوى مدينة في العالم. منذ وقت قصير مضى كانت تنتظر وصول رسائل من والدها بصوِّر لأبراج براقّة. لا بُدَّ أنه في طريقه إلى القصر الآن.

نظرت إلى التابوت، تشعر ببرودة وقسوة الزمن الذي يلفها الآن. أغوتها فكرة العودة إلى التابوت ليختفي الزمن مُجددًا. قد يعود كل شيء إلى ما كان عليه خلال لحظة. عادت إلى التابوت.

سألت أنوري: "ماذا لو انتظرتُ هنا حتى يعود كل شيء بخير مُجددًا؟"

اجابها: "سيقتلونك! لدى أرشن حُطَطُ شريرة، والمتمرّدون كذلك
محلطون لخلع الملك عن عرشه. إنْ عُديتِ إلى التابوت، ستكون تلك
أمر مرة".

الغَمَصَت أوبسيديانا عينيها.

هز أنوري رأسه قائلاً:

"أفهمين ما أقوله؟ لن تَرِنِي مرةً أخرى أبداً إن لم تاتي معي
الآن". ثم أسرع إلى الفتحة في الجدار.

"انتظر!" قالت. "انتظرنِي!".

تَبِعَتْهُ عَبْرَ الشَّقِ، ثم إلى الغرفة الخلفية التي ظلَّ مُخْتَبِئًا فيها
إمامين. توقفت وحدقت في الجدران مذهولة: لوحة لزهور وقلعة
بربان، لوحة لتابوت مكسور، ولوحة لها وهي تحمل سمكة ذهبية
بملاقة بين ذراعيها. نقلت بصرها من لوحة لأخرى، وهي تلمسها.
"هل رسمت هذا؟" سألته.

لم يُجِبْها. تحركت أمام الجدران، مرّت بمروج خضراء، أحصنة
وحيدة القرن، وبركٍ سحريةٍ أمام قصر رائع بجبل بعيد في الخلفية.
"غريب جداً"، قالت، "لكن ظنني أن الزمن يتسرّب من التابوت.
لقد افتقدتُك كأنّ زَمْنَا طويلاً جداً قد مرّ".

رفعت راحة يدها مقابل راحة يده، فوجدت يده أكبر من يدها بكثير.

"يجب أن نذهب"، قال أنوري. "علينا أن نُسرِع".

قالت أوبسيديانا: "اجلس، أنوري، إنه دوري الآن لأخبرك بقصة".

قال: "لا، فيما بعد، ليس لدينا الوقت".

قالت: "بل الآن".

الفتاة الراقدة في تابوت الزمن

"كان يا ما كان، كانت توجدُ أميرةً راقدةً في تابوت، هادئةً و رزينة، سنوات عديدة. ذات يوم استيقظت لتجد فتى صغيراً يحاول حنقها".
"هذه قصة جيدة"، قال أنوري بنصف ابتسامة.

واصلت أوبسيديانا: "كانت المدينة كلها تُعبدُ الفتاة الراقدة في التابوت، كانوا يظنونها ربةً. كلما رآها كثيرون؛ كلما زادت أهميتها، وكلما زادت أهميتها؛ زاد من يريدون رؤيتها. كانت مهمةً للغاية، لحدّ أن حتّى احتفالات العام الجديد لم تكن جيدة بما يكفي لتحضرها، كانوا يظنون أن وقتها مُمينٌ للغاية. لكن الفتى أخرجها من التابوت في منتصف الليل مصادفةً فألقت عليه الفتاة تعويذة: كان عليه أن يأتيها كلما اكتمل القمر بأخبار العالم الخارجي. وهكذا كان الفتى يأتي إليها مرةً كل شهر ليُخرجها من التابوت، فيذهب لرؤية المدينة والمخابئ السرية في القلعة. لكنه كان يكبر وينمو، في حين ترقد هي في التابوت السحري كبذرة صغيرة.

لم يكن لدى الفتاة أصدقاء من قبل. لكنه أصبح -فجأة- لها أصدقائها. شَعُرَتْ بهذا لأن كل ما حدث لها منذ أن رآته كان شيئاً جدياً".

احمرّ وجه أنوري. وضعت أوبسيديانا أصبعها على شفتيها، وواصلت:

"ثم اكتشفت الفتاة شيئاً حزيناً. كانت قد قابلت الفتى لأول مرة حين كان عمره تسعة أعوام، لكنه بعد عدة أيام فقط، أو هكذا الأمر لها، صار عمره عشرة أعوام؛ ثم فجأة صار في الرابعة عشرة من عمره. كان قد كَبُرَّ خمسة أعوام في حين لم تتقدّم هي في السنّ سوى عدة أيام فقط. إن استمر الحال هكذا سيصبح هو في الثامنة عشرة من عمره... في العشرين، أربعين، خمسين- بينما ستظلّ هي في الرابعة عشر من عمرها. في النهاية سيموت، مثل جميع مَنْ تعرفهم. فهم الفتاة أنها لا تريد أن تكون الأميرة الخالدة، بل تريد أن تكون الأميرة تحت المطر والجليد، وفي الرياح والربيع والشتاء والخريف. تريد أن ترى الأيام الغائمة لتُقدّر قيمة الأيام المشمسة".

"ماذا فعلتِ إذًا؟".

"كان والدها قد أعطها ذات مرة خطاباً لا يجب أن تفتحه سوى في وقت الأزمات الصعبة فقط. توجد في الخطاب إرشادات للوصول إلى كوخ بجوار بحيرة صغيرة في الغابة، حيث يرقد جثمان أمها. سيكونان آمنين هناك؛ لذلك قرّرا ذات يوم أن يُغادِرا، وهربتا معاً إلى هناك".

ابتسم أنوري.

"وماذا حدث للأميرة والفتى؟".

"أنجبا خمسة أطفالٍ رائعين".

"أوه؟" قال أنوري واحمرّ وجهه. "ظننتهما مجردَ صديقين مُقربين".

"ارجوك!" قالت. "إنها حدوتة خيالية. كانا يصطادان سمك
لمون من البركة؛ وكان لديهما بقرتان وتمر؛ كانت السناجب تأتيهم
الصدق، والأرانب بالبطاطس، وكانوا يأكلون الحمام والدجاج متى
شاءوا".

"أوه، نعم، وهل هذه الحياة تليق بأميرة؟" سألها أنوري ضاحكًا.

"نعم"، قالت. "وفي النهاية صارا عجوزين جدًّا، وقبيحين حقًّا.
صار وجهه مُجعَّدًا كقميص مغسول، وصار لها مُؤخَّرة فُلَاحَة سَمِينَة،
وأفئ مُتَغَضَّن، وشعرٌ أشعثٌ كَنَبَاتِ الهِنْدِباء. حين تضحك يُمَكِّنُكَ
أُذُنَة لِتُتَهِمَ الخَالِيَة من الأَسنان التي كانت تُرَعِبُ أَحْفَادَهَا حقًّا".
ضحك أنوري.

"ملأت التجاعيدُ وجهَهِمَا، لِحَدِّ أَنَّهُمَا كانا يلتصقان حين يتبادلان
القبل!".

ضحك أنوري أكثر، وقال:

"كانت تلك قِصَّة رَائِعَة، لكن علينا أن نذهب، إن حياتنا في خطر".

أمسكت أوبسيديانا بيديه قائلةً:

"أنا أعرف مكانًا، عند البحيرة الصغيرة حيث ترقدُ أُمِّي. لا أحد
مسموح له بالذهاب إلى هناك. لا أحد سوى الملك يعرف الطريق إلى
هناك. لقد أعطاني الخطاب منذ سنوات. حان الوقت لفتحه الآن".

أخْرَجَتْ ظَرْفًا قَدِيمًا، مَخْتومًا بِالشَّمْعِ جَيِّدًا.

الهُرُوبُ

جَمَعَ أنوري وأوبسيديانا ما استطاعا العثور عليه من مؤونة وأدوات: مجرفة، قسبة صيد، فأسا، سجادة، مفرش مائدة، طاستين، سكين مطبخ، قطعة زبد كبيرة، بعض الفواكه المجففة، وبعض الأرز؛ وسعاها معًا كلها في حقيبتَيَّي ظَهَرَ. استعدًا للتسلُّل هاربين في ظلام الليل. لتقليل الأخطار إلى الحدِّ الأدنى.

"هل لديك كلُّ شيء؟" سأل أنوري. "هيا بنا!" وصعد على العمود المركزي للسلم الحلزوني، لكنها نظَّرت خلفها وقالت:

"ألن أرى هذا المكان مرة أخرى أبدًا؟"

"ليس قريبًا"، قال أنوري، "وربما لن تَرِيه أبدًا بالفعل."

تردَّدت قليلًا، ثم قالت:

"يجب أن أقوم بزيارة واحدة فقط قبل أن أذهب"، قالت واندفَعَت إلى القصر.

"إلي أين؟ ليس لدينا وقت!"

"يجب أن أودّع مُرَبِّيتي!"

تنهّد أنوري قائلاً:

"علينا أن نسرع إذا". ثم أسرع يلحق بها.

أوقفها - وهما يقتربان من موقع وقوف حارس قريب من نوم الخدم - حارس متين البنيان، ومسلح بحربة ضخمة. يحدو الظلام كالبومة.

قال أنوري: "لا يمكننا الاقتراب منه، إنه لا ينام أبداً، لقد راها جيداً".

فكّرت أوبسيديانا للحظة، ثم أخذت نفّساً عميقاً، سَوّت ثوبها وأزاحت حُصْلَةً شَعْرٍ عن وجهها.

قالت: "سر خلفي".

سألها: "ماذا ستفعلين؟"

قالت: "أشعل الشعلة من فضلك".

سألها "هل جُنِنْتِ؟ سنسَلِّم نَفْسِنَا بذلك! عودي!".

لكنها تقدّمت للأمام وهي تسأله: "هل تعرفه؟".

"نعم، إن اسمه مانستون".

"ما اسم والدته؟".

"چوزفين".

"أهو مُتزوِّج؟".

"نعم، زوجته اسمها فريا".

"أديه أطفال؟".

"٧".

ربطت أوبسيديانا قطعةً قُماشٍ سوداءَ حول رأس أنوري، بِشَقِّ
• ٤ • بِرِ لِعَيْنَيْهِ.
"لماذا هذا؟".

"إن كانوا يعبدونني حَقًّا أو يخافونني فسوف يفعلون ما أَمُرُهُم
• ٤ • . اتبعني!".

أَمَسَّكَتِ الشُّعْلَةَ، وبدأت تسير في الرُّواقِ الخالي من النوافذ،
• ٤ • والملاهما تراقص على الجدران، إلى حيث يقف الحارس أمام بابٍ
• ٤ • واجبي.

صاح الحارِسُ: "قِفْ! مَنْ هناك؟".

لكنها واصلت سَيْرَها نحوَه بِثِقَةٍ.

لَوْحُ الحارس بحَرَبَتِهِ يُحَدِّقُ في الظلام، وَضَعِيقَ حين رأى أنها الأميرة
والأمير الأسود؛ ارتعشَ والأميرةُ تَتَضَحُّ له، وتُحدِّثُه بِحَنَقٍ:
"مانستون! هل أنت الحارس مانستون؟".

انكمش الحارس قائلاً: "الأميرة العظيمة، ماذا تريد مني؟".
كانت بقعة ماء صغيرة تتشكّل عند قَدَمَيْهِ.

قالت أوبسيديانا: "لقد اختارتكِ الإلهة. كنتُ أنا والإلهة نُراقِبُكِ
منذ طفولتك. باسم والدَتِكَ جوزفين، وزوجتك فريا، عليك أن تقوم
بَعَمَلِ مُهَمِّ".

"سأفعل ما تأمرين به جلالَتُكِ! أي شيء لجلالتك!" قال الحارس
باكِيًا.

"عليك أن تفتح هذا الباب، وألا تُخَيِّرَ أَيَّ شَخِصٍ بِأَيِّ شَيْءٍ. إن الأَسْوَدَ معي؛ وهو يُعاقِبُ كُلَّ مَنْ لا يُطِيعُنِي".

اعتدل مانستون في وقفته فوراً، ببعض الجهد، وفتح الباب.

"بهذوء!" قالت هامِسَةً. "الآن فِمْ مَكَانَكَ. ولا تَجْرُؤُ على تَتْبِعِنَا!".

تقدّمت للأمام نحو الحارس التالي، الذي ركع أمامها فوراً، فأمرها، قائِلَةً: "انتظر هنا!".

وصَلّا إلى باب فناء صغير به دِكْكٌ في ثلاثة من جوانبه، مُضاهياً بِمِصباحٍ وَرَقِيٍّ رَفِيعٍ. جَلَسَتْ امرأةٌ عَجُوزٌ بِضَفِيرَةٍ رَمادِيَّةٍ على دُكْكٍ تَغْزِلُ جورباً صغيراً؛ رَفَعَتْ بَصَرَهَا حين اقْتَرَبَا منها، عيناها رَقِيقَتَانِ، لكنَّهُما خالِيتَانِ بِطريقةٍ ما، ووجهها تَمَلُّوه التِجَاعِيدَ العميقة.

ابتسَمَت العَجُوزُ حين رأت أوبسديانا، وبانت لثتها الخالية من الأسنان وهي تقول:

"حسنًا، حسنًا، أهذا أنتِ حَقًّا؟".

قالت أوبسديانا: "نعم، هذا أنا، ثورديس عزيزتي".

"لقد عُدتِ إِذًا؟".

"نعم، عُدتُ".

"ما اسمُكِ؟".

"أوبسديانا".

"حسنًا"، قالت العجوز، "لديّ طِفْلَةٌ صغيرة اسمها أوبسديانا. إن هذا الجورب لها. إنها في حدائق القصر مع غزالتَيْها الصُّغِيرَتَيْنِ".

"إنه جَوْرَبٌ جميلٌ"، قالت أوبسديانا وهي تُمسِكُ بِيَدِ مُرَبِّتِها بِقُوَّةٍ.

١٠ ان أنوري قَلِقًا؛ الوقتُ يَمُرُّ. ما زال الحارسان رَاكِعَيْنِ حيثُ تركاهما،
ه يعرف أن الأمر كاللعب بالنار.

١١ "شكرًا لك أُمِّي العزيزة"، قالت أوبسيديانا. "لم أَقُلْ لكِ هذا من
ه ا، لقط، لكنك كُنْتِ أَفْضَلَ أُمِّ لي".

١٢ ومضت عَيْنَا المرْبِيَّة العجوز بيريقي فَهَمَّ صغير، وَعَصْرَتْ يَدَ
١٣ أوبسيديانا. سالت دَمْعَةً صغيرة على خَدَّهَا وأوبسيديانا تعانقها.
هنا، هيا"، قالت أوبسيديانا، "كل شيء سيكون بخير".

١٤ كان أنوري على وشك التحرك حين وقع بَصْرُهُ على خَاتَمٍ في أصبع
١٥ اورديس. تقدّم نحوها، مذهولًا: كان في الخاتم حَجَرٌ أزرقي بقطرة
١٦ امرأة فيه، تمامًا مثل عين الفيل الصغير الذي أعطته له خالته. لم
١٧ ين ليخطئه، كان الحجران مُتطابقَيْن. أمسك يَدِ ثورديس وقال:

"هل لديك أَخْتُ تُدعى بورجليد؟"

سألته العجوزُ: "كيف تعرف هذا؟"

مالَ عليها وهمس في أذُنِهَا بشيء ما.

"الوَلَدُ العزيز"، قالت. "هل كَبُرَ وصار فتى كبيرًا؟"

"نعم، جدتي العزيزة"، قال أنوري. "صار فتى كبيرًا وقويًا".

١٨ بَدَت العجوز كأنها قد فَقَدَت اهتمامها بهما وعادت إلى غَزَلِهَا،
١٩ تُنَمِّمٌ بهدوء لنفسها.

قال أنوري: "يَجِبُ أن نذهب".

٢٠ قالت لهما ثورديس وهما يغادران: "إن رأيتما فتاةً صغيرة، فهل
٢١ تخبرانها أن تأتي لتشرب كوبًا من اللَّبَن".

٢٢ عادا أدراجهما، تَجَاوَزَا الحارسَيْنِ الرَّاكِعَيْنِ، وَحَمَلَا حَقِيبَتَيْ ظَهْرِيْهُمَا
٢٣ في الرُّواق. لقد تأخرًا: بدأت الديوك في المدينة صياحها.

"لقد سَرَقْنَا الْوَقْتَ!" قال أنوري. "في أي طريق نذهب؟".
أخْرَجَتْ أوبسيديانا الظَّرْفَ من جَنِيْهَا وقرأت المكتوبَ عليه
لفتحته فقط حين لا يوجد سبيل آخر.
كَسَرَت الختم وفتحت الخطاب:

"ابنتي الحبيبة، معنى أَنَّكَ تقرئين هذا الخطاب أن شيئًا ضامًا
قد يحدثُ لِكَ بالفعل. مُرَقِّقٌ بالخطاب خريطةُ الطريق إلى فسحة
في الغابة، حيث ترقد والدَتُكَ تحت صفافة بابلية. ستجدين هـ
كوخًا في بقعة آمنه، حولها نباتاتٌ صغيرة. فيه أوعيةٌ مليئةٌ بالمشمش،
والدقيق، وفي البحيرة وَفَرَةٌ من سمك السلمون. إن حَدَثَ شيءٌ
وهاجَمَ أعدائي القَصْرَ عليكِ بالهروب إلى هناك. في قَاعَتِكَ في القلعة
تُوجَدُ فَتْحَةٌ تَصِلُ إلى غرْفَةٍ خَلْفِيَّةٍ فيها سُلْمٌ حلزونيٌّ، أسفلَه نَفَقٌ
تحت المدينة. أخْرُجِي من تلك الفتحة، وسيري في الممرِّ السريِّ المزدحم
إلى الأبراج السبعة. حين تصلين إلى هناك...".
شَحَبَ وجهُ أنوري.

"الأبراج السبعة؟ إنها على الجانب الآخر من الشُّق! يستحيلُ عبورُ
المحيط! لا بُدَّ أن الملك دايمون قد كَتَبَ هذا قبل انقسام المملكة إلى
نِصْفَيْنِ".

وقف أنوري مكانه بحقيبتيه على ظهره، شعر فجأةً أنه يحمل
فيها مصائبَ العالمِ كُلِّه. سيبدأ الجميع في البحث عنها، ولن يجدوا
مكانًا ليختبئوا فيه. حاول التفكير في خُطَّةٍ أخرى. أين يذهبان؟ نظر إلى
يديها - رقيقتان وبيضاوان - نظر إلى حقيبة الطعام، سيكفيهم لأسابيع
قليلة فقط. كيف سيتدبَّران أمرهما؟ إنها لا تعرف كيف تفعل أي
شيء؛ وهو قد ظلَّ طوال العامين الماضيين مُعْتَمِدًا على ما يسرقه من

١٠٠ مؤونة القصر نصف الفارغة؛ لذلك لن يُمكنه هو الآخر تدبُّر
.

"هيا بنا في جميع الأحوال. سنجد طريقًا ما"، قال.

جمدّت أوبسديانا مكانها، حائرةً.

همست قائلةً: "إن أبي يُحبُّني".

"هيا! ليس لدينا المزيد من الوقت!".

قالت مُتردِّدةً: "سيموت لو ذهبْتُ، أليس كذلك؟".

"ماذا تعنين؟".

"إن كنتُ أنا مَنْ أبقى على وحدة المملكة؛ فسوف يموت أبي لو
أذرتُ. أليس كذلك؟".

خبطَ أنوري الأرضَ بقدمه، وقال:

"إنه مجنون! لقد كتبتَ هذا الخطاب منذ عشرين سنة مضت. لا
تُبد أن تأتي معي. لا يمكنك إنقاذه".

همست: "إن غادرتُ، فلن تُقدِّم القرابين، ولن تصلَّه الإمدادات،
وسوف يخسر الحرب. الملوك المهزومون يعانون أقدارًا قاسيةً".

قال أنوري: "هيا، أسرع!".

"لكنني لا يمكنني تركه يموت! لا يمكنني نسيانه حتى ولو نسيه
العالمُ كُلُّه".

قالت وهي تخلع قلادتها وناولتها لأنوري.

"أذهب واعثر على والدي! أخبره أن يعود. القلادة إثباتٌ. سوف
انتظر عودتكما".

"لا! لا يمكنني! أنا لا أعرف أين هو. لا يمكنني الذهاب وحدي، أنت لا تعرفين مدى وُسْعِ العالمِ وضخامته! أنتِ هنا في خطر! عار! أن نذهب. الآن! معاً!"

وقفت أمامه وربطت وشاحها الأحمر حول عنقه. إنه أطول مما هو الآن، كان منذ وقتٍ قصيرٍ مضى فتى صغيراً قديراً. سوت شعره وقتاً، برقة؛ قبله لم تستمر لأكثر من لحظة، لكنها بدت لأنوري كالأه السنين.

أسرعت إلى قاعتها واختفت في التابوت. تركت أنوري وحده. يسر في سيره. الملك اللعين! القاتل المجنون اللعين! عليه الآن أن يسرق حصاناً ويذهب للعثور على الملك، عليه عبور المراعي والغابات المعتمدة الجبال والصحاري، وتجنب قطاع الطرق وأكلي لحوم البشر، وعليه بعد كل هذا أن يقنع الملك المجنون بالعودة معه قبل أن يقتحم المتمردون القصر ويقتلوا الأميرة، ابنته. عليه المخاطرة بحياته من أجل الرجل الذي تسبب في مقتل أبيه كمن يحرك بيدقاً في الشطرنج كان ما يزال يسب وهو يزحف خارجاً من جحر الأرنب حين وجد ظلاً أسوداً ضخماً يعلوه، وشعر بيديّن ضخمتين تمسكان به من قفاه.

سُقُوطُ الْمَمْلَكَةِ

انكَمَشَتْ إمبراطورية بانجيا؛ مملكةُ تَلَوِ الأخرى، ومنطقة تلو الأخرى، ومدينة تلو الأخرى. كان الملك دايْمون ورجاله كالأشباح، يَجُوبون بلا هدف بين أطلال مَمْلَكَتِهِ. دُمِرَ مرض الإسقربوط أسنَانَهُمْ؛ نُؤَةُ الكُسَاخِ عِظَامَهُمْ؛ وتَأَكَّلَتْ أطرافهم جِزَاءَ المعارك، والعدوى، والوحوش المفترسة.

تقهقروا مهزومين وبائسين في صَفِّ متنافر: ثلاثة خراتيت عَرَجَاءَ، لثمان عشرة نحلة هزيلة، أربعة عشر رامى سهام بشعور مشعَّة، حُوذِيَّانِ أعميان، ضبع حبيس في قَفْصِهِ ولا يَكْفُ عن الضحك، عدد قليل من جنود المشاة، حصانٌ وحيد، وأربعة فرسان شجعان يمتطون معًا حمارًا واحدًا. كانوا جميعًا يُؤْمِنُونَ بِمَلِكِهِمْ إيمانًا لا يتزعزع؛ لن يَخُونُوهُ أَبَدًا، الملك دايْمون العظيم. كونسيجليو في آخر الصف، يعرج ومحدودب، يقف على كتفه صقر الفردوس، عجوز وعارٍ من الريش

الآن كدجاجةٍ نُزِعَ ريشها. ظل دايمون محتفظًا بهيئته واحترامه ،
أمكنه.

كانوا يعبرون أحد المستنقعات في منطقة مليئة بها.

قال دايمون: "لنعب من هنا يا رفاق".

نظر إلى يمينه، فرأى تمساحًا يفترس أحد رجاله.

صاح: "أيها الهامسون، هل فقدتم سيطرتكم على الحيوان،
تمامًا؟".

نظر إلى يساره فرأى أحد رجاله يتشبَّث بجذع شجرة، بوجوه
أبيض: التهمته سمكة بيرانا من أسفله حتى خصره.

شعر دايمون أن عليه التحدُّث إلى رجاله لتشجيعهم قليلًا:

"إلى الأمام! إلى الأمام! ستعود مملكة بانجيا لتحكم العالم مُجددًا!".

بعد ذلك بأسبوع وصلوا إلى بؤابةٍ إحدى المدائن. وجدوه
موصدةً. كانوا مُنهكين فلم يمكنهم الصباح بصوت عالٍ ليسمعهم
أحد بالداخل، انتظروا طويلًا حتى ظهرت امرأة عجوز عند البؤابة،
لوح لها كونسيجليو بوثيقة.

"طبقًا لهذه الاتفاقية، تُعتبر هذه المدينة جزءًا من إمبراطورية
بانجيا. افتحوا البوابات وحيُّوا ملككم!".

ظهر الأطفال أعلى السور وبدأوا في إلقاء فضلات الكلاب عليهم.

صاح دايمون: "استسلموا! المقاومة لن تُجدي!".

انفتحت البوابات واقتيدوا إلى قاعة مأدبة حيث يجلس أميرٌ بدينٌ
مع حاشيته؛ رَمَقَت زوجة الأمير الملكَ بنظرة احتقارٍ ورَقَصَت تَحِيَّتَه.
فتح دايمون حقيبةَ أوراقه وطلب منهم التوقيع على اتفاقية.

"جئتُ إليكم ببركاتِ الأميرة الخالدة".

لكنُ الأميرُ أجابه:

"لقد سمعت أنها لا تجلس مع الآلهة، بل تتجوّل ليلاً مع الأمير الأسود، وأنها المسؤولة عن اختفاء واختطاف الأطفال."

"هذا ليس حقيقياً"، قال دايمون. "إنها وريثةٌ عرشي."

"سمعتُ أيضاً أن المصائب التي حلّت بالبلاد بدأت بظهور الأميرة العائمة، حتى هنا، رآها الناس وهي تتجوّل في المدينة ليلاً."

"أنا لا أعرف بماذا يهمس لك الفئرانُ وأنت جالسٌ تقضي حاجتك"، أجابه دايمون، "لكنني أوكدُ لك أن أوبسيديانا سوف تحكّم بانجيا إلى الأبد."

أمسك الأمير بمقبض سيفه، لكنه عاد لثباته مُجدّداً، وقال:

"أنا لن أقتلك. إن كل يوم ستقضيه على قيد الحياة سيكون لك هزيمةٌ جديدةٌ."

أحاط الجنود بدايمون ورجاله، أسروهم، صُبوا عليهم القَطران ثم الرّيش، ثم قادوهم في الشارع الرئيس على ظهر قَطيعِ خنازير. أخرجوهم من المدينة وأغلقوا بوابات المدينة خلفهم، كان دايمون طوال الوقت يلوح بوثيقة الاتفاقية صائحاً:

"لم تُوقّعوا على الاتفاقية بعداً!"

لم تَكُنْ لا الرحمة ولا أدنى شعور بالشفقة ما منع الناس من قتل الملك، بل كان ذلك لأنّ الناس -في أعماقهم- يخافون لعنة الأميرة، كانوا يؤمنون أنها سبّب المصائب التي تحلّ بالعالم حقاً.

صاح دايمون: "يجب أن نضغط عليهم!"

سأله كونسيجليو: "أثرها فكرةٌ جيّدة؟"

قال الملك: "سنعود إلى قصرى الصيفي إذن! لنستجمع قوانا هـ. ١١
قبل أن نخوض الحربَ مُجدِّداً".

تقدَّم الموكب البائس في طريقه بجهد بالبح، وصلوا مع حلول الغد
إلى قصر صيفي مُتهالك. كان القصر مهجوراً تماماً، وشقُّوا طريقهم
أدغال النباتات لدخول القاعة الرئيسية. جال دايْمون بعينه في المدا
وهم يشعلون المصابيح؛ كان قد أمر ببناء هذا القصر منذ سنوا
مضت، لكنه لم يجد الوقت ليملك فيه حتى الآن.

غطت ستائر ثقيلة من المخمل الأحمر ما تبقى من النوا
المكسورة، وكان الهواء ثقيلًا في حَرِّ الصيف. تهدمت الجداريات
رسمها فنانون عظام، وسقطت تُرابًا على ما كان ذات مرَّة أرض
رُخامية مصقولة. بهتت ألوان اللوحات وصارت كلها باللون الرمادي
الممتقع للتراب، ومالت إطارات اللوحات على الجدران؛ لعن دايْمون
حظَّه، فيما كان كونسيجليو يحاول تعديل إحدى اللوحات.

"لا جدوى من إصلاح أي شيء"، تمتم دايْمون. "سيدمرُ الزَّمَنُ أ
شيء في النهاية".

التقط كتابًا قديمًا فتحوَّل إلى تراب بين يديه. أمر بأن يأتيوا
بأفضل وأقدم نبيذ في القبو، لكنهم لم يجدوا في الزجاجات سوى رمال
حمراء. انهار كلُّ ما بناه وكسبه، صار إلى تُرابٍ وعَقْنٍ وصدأ، وفنى
لأشياء، ولا حتى ملايين الرجال المسلَّحون، يُمكنهم حمايته من الزمن
حدِّق حوله بغضب، أمعن نظره في الأركان وهو يمسح العرق
عن جبينه؛ نظر خلف الستائر، لأعلى في السقف، التفت حوله كمن
يتوقَّع مُداهمته من خلف.

"أأنت هناك؟" همس. "هاه؟ أنتَ هناك، أُلها الزمن العجوز؟"

شعر بالزمن كالمياه- مياه باردة وعميقة أغرقت حواشيه كلها حتى
لم يهدُ بإمكانه التقاط أنفاسه، وطبلتا أذنيه تكادان تنفجران، وعيناه
تقفزان من محجرتيهما. شعر بالزمن كأسدٍ يزأرُ نحوه. كذبابة تئيرُ
مد أذنه لتستفزهُ. حَكْ جلده كأن حشرات الزمن تلتهم مفاصله،
أحر عظامه، تنزع أسنانه، وتُفقدُه صوابه. شعر بالزمن كسيربٍ دُبابٍ
أرُ في رأسه، يسلبه ذاكرته ويطير بها بعيدًا.

ضعفت ذكرياته عن ملكته الحبيبة فيما تآكل حشرات الزمن
أهصيلةً تلو الأخرى، ومشهدًا تلو الآخر. ذهبت أولُ لمسة، أول قبلة،
أربق عينيها.

لم يتبقَّ له ما يتشبَّث به سوى أوبسديانا. أيا كان ما حدث،
فقد استطاع على الأقلَّ هزيمة الزمن: هناك، في قلعتة، يوجد تابوت
مسنوع من حرير العنكبوت، وفيه أعز كنز لديه. شعر أن قواه
تعاوذه، فحطَّ كلمات قليلة في رسالة، ربطها بقدَم عُرابٍ بريد،
وأرسله إلى القصر.

أعزائي شعب بانجيا! النصر قريب جدًا!

إِعْدَامُ النَّصُوصِ

حينَ أعطت أوبسيديانا القلادةَ لأنوري وقبَلته لِتودِّعَه، تمَنَّت من أعماق قلبها أن يمكنها، بعودتها إلى التابوت، الإبحارُ عبْرَ الزمنِ لتمرُّ جميع المصائب وتصلَّ في النهاية إلى مرفأ آمن، وترى في المرة التالية التي سينفتح فيها التابوت أباهَا وأنوري بابتسامة على وجهيهما وهما بقولان ضاحكين: كل شيء على ما يرام الآن. لكن شيئاً من هذا لم يحدث. بل رأت حين انفتح التابوت في المرة التالية جنهيلد، وجهها أبيض كالطباشير، وفي يدها القلادة البراقَّة.

"هل فقَدتِ هذه؟" قالت جنهيلد ببرود، وألقت بالقلادة في التابوت.

"من أين أتيت بها؟" سألت أوبسيديانا. "من أين أتيتِ بهذه القلادة؟"

أجابتها الملكة ببرودٍ شديد: "لقد تسأل ليصُّ إلى القصر. أتصنأه ، هذا؟ أمرٌ مشير، لكن لم يُعْذ من شيء مُقدَّس في تلك المملكة بعد، لا بُدُّ أنه سرقتها منك".

بحَثَّت أوبسيديانا عن شيء تقوله، أي شيء تكسب به الوقت.

"أين هو؟" قالت بازدراء في عينيها. "ماذا فعلتم به؟".

"فعلنا به؟ إن اللصوص ليسوا من شأني. إنهم يُعَدَمون بالطبع".

"أين أبي؟ يجب أن أراه".

"لماذا تظنُّين أنه سيكون هنا؟ لم يكن موجودًا أبدًا كُلما سألتِ عنه".

"أريد أن أتحدَّث إلى إكسل!".

"كفى كلامًا فارغًا أيتها الصغيرة، وتعالى لتشاهدي إعدام اللصوص من الواضح أن أباك لم يُعَلِّمك شيئًا عن حُكم المملكة! عليكِ حفا، القانون والنظام. حان الوقت الآن لتتصرُفي كحاكِيم حقيقي وتأمري بالإعدام. إنه تمرينٌ جيّد لك. ثم قد يُمكنك حتى خوض حربٍ صغيرة خاصة بك".

دَفَعَت الملكة أوبسيديانا أمامها إلى الشرفة.

بالأسفل في الميدان كان الحُرَّاس يقودون سبعة رجال معصوبي الأعين إلى منصَّة الإعدام. فيما كان الحارس يرفع عصابات أعينهم واحدًا تلو الآخر ليربط المشانق حول أعناقهم، لمحت أوبسيديانا وشاحها الأحمر. وتعرَّفت أيضًا على الحذاء. كان أنوري. نظَّرت حولها، تشعر بالدوار والإعياء.

"لكنهم لا يجب إعدامهم"، تمَّتَمَت. "مُستحيل!".

"اهديني الآن أيتها الأميرة العطوف"، قالت جنهيلد بهرح. "ليس للفلاح أن يحتفظ بِجملانه إلى الأبد؛ عليه في النهاية إرسالها إلى المذبح.

.. أن تتمرّني. لم يكن أبوك ليجلس على العرش دون أن يعدم أحداً.
"أعطيتهم الأمر بالتنفيذ!"

"لا! توقّفوا! أوقفوا الإعدام!"

كانت تأمل في حدوث معجزة. يجب أن تنقذ أنوري. نظرت لأعلى
إلى السماء: إن كانت الآلهة موجودة؛ فعليها أن تنقذه.

أمرتها جنهيلد قائلةً: "هيا... أعطيتهم الإشارة!"

"لا، أيتها الشمطاء!"

"أتريدني أن أعطيتهم أنا الإشارة بدلاً منك؟ أتريدني أن تظلي
الأميرة اللطيفة البريئة كعادتك؟ هيا أعطيتهم الإشارة!"

"لا!"

"حسنًا"، قالت جنهيلد. "كانت تلك الإشارة."

انشقت الفتحات السفلية تحت أقدام الرجال وسقطوا فيها، تدلّوا
من الجبال، ارتعشوا، تارجحوا يمينا ويسارا؛ ظلّ أحدهم يهتزّ حيا
حتى تقدّم منه جندي وطعنه بحربة.

سالت الدموع من عيني أوبسيديانا: لم تستطع رؤية شيء. مستحيل
أن يموت أنوري. حين قال إن الرحلة قد تكون خطيرة لم يخطر لها
أنه قد يموت بالفعل. أنه لن يكون حيا. ثمّنت لو كان تابوتها يُمكنه
العودة بها إلى الخلف في الزمن، كانت حينها ستهرب معه وهما
يحملان حقيبة طعام واحدة؛ كانا سيتعبان ويتضوّران جوعاً، لكنهما
سيكونان معاً، وسيكون هو حيا.

تدلّ الفتى ذو الوشاح الأحمر من الجبل بلا حراك.

"ممتاز"، قالت جنهيلد. "شكراً لك، لقد تمّ تنفيذ العدالة."

نظرت إليها أوبسيديانا بغضب وقالت بحنق وهي توسّع عينيها:

”أنا لا أريد أن أراكم مرة أخرى أبدًا! لا أحد يفتح التابوت . . .
تموتوا جميعكم! لا أريد أن أراكم!“.

رَكَضَتْ تَعُودُ إِلَى التَّابُوتِ، قَفَزَتْ فِيهِ وَصَفَقَتْ غِطَاءَهُ تَغْلِقًا . . .
ذَلِكَ بِلِحْظَةٍ انْفَتَحَ الْغِطَاءُ مُجَدِّدًا، وَوَجَدَتْ نَفْسَهَا مُحَاطَةً بِذ. ا.
كَثِيفٍ وَبَارِدٍ.

الْوَشَاخُ الْأَخْمَرُ

حين خرج أنوري من الفتحة، أمسك به شخص ما من قفاه.
"هنا مَبَيْتُكَ إَذَا، أيها الخراء الصغير! كنت أعرف أنك تُخفي شيئاً
ما عَنَّا! ماذا لديك هنا؟".
أحْكَمَ أنوري قبضته حول تَذَكَارِهِ الثُّمِينِ، لَكِنَّ الرَّجُلَ داس بِقَدَمِهِ
على معصمه؛ لِيُجِرَّهُ على فتح قبضته.
"قلادة!" قال الرجل باهتمام. "يا شباب! إنها قلادتها!، ونظر
حوله بسعادةٍ قبل أن يسأل أنوري: "كيف حصلتَ عليها؟".
كان الشاب الأذهب ذو العينين الخضراوين يُفْتَشُ حقيبة أنوري.
"يوجد هنا طعامٌ يكفي لأيام! حُبُوب، خبز، لوز، فاكهة مجفَّقة!".

دفع بكيس مليء بسمكٍ مُجفّف في وجه أنوري قائلاً: "أتعرف؟
مَن هذا؟ من أين حصلتَ عليه؟ لم أرَ هذا القدر من الطعام...
أزمنة الرخاء".

لم يُجب أنوري بشيء.

قال الرجل الضخم: "هذه هي الفتحة التي اختفيت فيها طوال
الفترة الماضية! أخبرتنا أنك لم تجد شيئاً".

"هيي، انظروا إلى هذا!" قال الأصهب. "هذا الوشاح عليه شعاع
الأميرة"، ونزع الوشاح عن عنق أنوري. "وانظروا إلى حدائه! حذر،
أبناء الطبقة الراقية ليس لديهم مثل هذا الحداء الباهظ".

"لقد وثقتُ بك"، قال وهو ينظر في عيني أنوري مباشرة. "كان
يجب أن نذهب معاً. لقد خُننتني!".

أشاح أنوري بوجهه بعيداً.

لَفَّ الأصهب الوشاح الأحمر حول عنقه، وخلع حذاء أنوري، فيما
كان بقيتهم يستجوبون الفتى.

"من أين حصلت على هذه الأشياء؟" سأله رَجُلٌ وهو يركل،
"ماذا كنتَ تُخطِّطُ؟ ماذا يوجد بالداخل؟".

"هيي، يا شباب!" صاح أحدهم. "تُوجَدُ فتحةٌ أخرى هناك،
اربطوه!".

قَبِدوا ذراعيه وقدميه، وأجلسوه.

"أما زالتِ الساجرةُ الغاضبةُ بالداخل؟".

لم يُجب أنوري.

"أأنتَ متواطئٌ مع القصر؟ أتأخذ رشاًوى من الرجل الذي قتل
أبيك؟".

أوى الرُّجُلُ أصبع أنوري، فصرخ أنوري متألمًا: "لا يوجد شيء
إلا اضل!".

لكنه كان يعرف أن لا جدوى من الكذب. سرعان ما سيجدون
إياهم إلى الفتحة ثم إلى القاعة التي ترقد فيها أوبسيديانا بلا دفاع.
نممه الرجل. حاول أنوري التحرُّر من قيوده لكنه لم يستطع، فجلس
إياهم يختفون في الفتحة واحدًا تلو الآخر. سيجدونها ويقتلونها. كان
أمر ما يتذكُّره أنوري هراوَةً هَوَّت على رأسه فجأةً قبل أن يتحوَّل
إلى شيء إلى السواد.

دايمون يعود إلى صوابه

كان دايمون خارج القصر الصيفي يقوم بإسعافاتٍ أوليةٍ لأحد الغرائيت الجريحة حين حَطَّ غرابٌ قَدِرٌ على مبعدةٍ مرمى حَجَرٍ منه، حَبَّ الغراب نحوه، انحنى، ومدَّ قدمه. تناول الملك الرسالة وقضها

انهيار النظام في القصر؛ نقاط القوى في الحد الأدنى، المخاطرُ عديدة، الفرصُ قليلة. زاويتا قِمِ الأميرة ملتويتان لأسفل؛ ما ينمُّ عن التعاسة. أرشن وجنهيلد يثيران العداوةَ بينك وبين حلفائك. نتائج حساباتي تعلن أنهما يريدان التخلُّص منك.

معتَمَد ومُسجَل - إكسل

هرش الملك رأسه. جلب كونسيجليو قِطعةً لحم، التهمها الغراب. بعد ذلك بوقت قصير وصل غراب آخر؛ مربوطةً بقدمه كبسولة.

عُذ إلى الممرِّ مُجدِّدًا. طبقًا لحساباتي، جميع الطرق الأخرى
مسدودة. الكبسولة تحتوي مادةً ستجعلك لا مَرئيًا.

خالص تحياتي - إكسل

"أعود إلى الممرِّ؟" زمجر الملك. "نعود إلى حيث أغرقنا بالسحابة
والقطران السَّاخِن؟". رَقَعَ الرسالة عاليًا في ضوء الشمس ورأى أنه
مكتوبة على ورقة مُسطرة. إكسل لا يكتب على ورقٍ مُسطرٍ أبدًا.
أمسك دايمون الكبسولة السحرية بأصبعين ودَقَّق النظر في المسحوق.
الرمادي الأخضر فيها. رأى سنجابًا يتحرَّك على شجرة بجواره، سدَّ
دايمون المسحوق على حَجَرٍ؛ جاء السنجاب ولَعَقَه، وبدأ على الفور
يتصرف بغرابة: صارت عيناه حادَّتين، وكشف عن أسنانه قبل أن
يندفع ليصعد أعلى شجرة، حيث جلس هناك بغرور، دون أن يلاحظ
البومة التي اقتربت منه بهدوء، أنشبت مخالبها فيه وحلَّقت بعيدًا
به.

سُم، فُكَّر دايمون. أحدهم يريد التخلُّص منه.

"كونسجوليو"، قال، "في أيِّ يوم نحن؟".

"أتريد الإجابة الحقيقية أم السهلة؟".

"الحقيقية".

"الأربعاء".

"في أيِّ شهر؟".

"الربيع".

"في أيِّ عام؟".

"طبقًا لأيِّ تقويم؟".

"الجديد".

"لم يبدأ بعد".

"القديم إذًا!".

"مرُّ أربعون عامًا منذ موقعة الثُل".

"هذا مستحيل"، قال دايمون. "هذا يعني أن عمري سبعون عامًا".

راح يصقل درعه حتى لمع ليرى انعكاسه فيه، فرأى رجلًا عجوزًا ، لا أسنان، وبَعَيْنٍ واحدة فقط، وأنفٍ بدا كأنَّ أحدهم خَيطه في وجهه. كان قد فقد ثلاثة أصابع وأصْبَعَيْ قَدَمٍ، نصف أذن، إحدى اليدين وأغلب شَعْرِهِ.

"لقد غزوتُ العالم، ثم خسرتَه مرَّةً أخرى، لكنني نجحت في هزيمة الزمن"، قال. "إن حدث شيء لأوبسديانا ساكون بذلك قد فقدتُ كُلَّ شيء!".

تحقَّق دايمون من كتيبته المتهالكة، ثم امتطى الحصانَ الوحيد المتبقي، صائحًا: "سأنطلق إلى القصر!".

سهل الحصان، عاد للخلف، ثم اندفع إلى الأمام بسرعة شديدة جعلت الملك يتشبَّث به جيِّدًا خوفًا على حياته الغالية. فيما كان يترك خلفه ما تبقى من جيوشه، صاح دايمون:

"هيا! هيا، أيها الجواد الجميل! إلى القصر!".

الباندا الحمراء

عاد أنوري إلى وعيه ليجد نفسه مُقيّدًا ومُكمّمًا، يدها مُقيّدتان خلف ظهره، ولا يمكنه التّحرك. كان يرى الفتحة التي اختفى فيها الرجال، لكنه لا يعرف ما إن كانوا قد عادوا منها أم لا. منذ لحظة واحدة فقط قُبِلته أوبسيديانا قُبْلَةً وداع، قبل أن يتحوّل كُلُّ شيء إلى السّواد التام. لا بُدّ أنهم بالداخل معها الآن، وهو يعرف جيّدًا ماذا سيفعلون.

حاول أن يميل بطريقة ما ليقضم قيوده. أدرك أنهم لم يكونوا عطوفين حين لم يذبحوه على الفور؛ كان الأسوأ بكثير بالنسبة إليه أن يموت من الحرّ والظمأ هنا في الخلاء. تلوّى ورأى أن إحدى يديه قد صارت زرقاء من انحباس الدّم عنها. زحف النمل إلى أذنيه وزاويتي عينيه، فغمز بعينه حين قرصه؛ من الواضح أن النمل يُخطّط لتمزيقه قطعًا صغيرة لأخذها إلى كتيبه.

لكن حينها ظهر حيوان، يعرفه أنوري من اللوحات في القاء، كانت الباندا الحمراء العجوز، تتشمم القمامة في الرُقاقِ يتكاسر. أ توجّهت نحوّه، تشمّمته، وبدأت تلغى النمل عنه، التهمت النمل في فمها وسحقته بطقطقة خفيفة بين أسنانها. غمغم أنوري وتقل على جانبه ليُري الباندا الجبل، لكنها تراجعت واختفت.

"لا تذهبي!" غمغم أنوري من تحت كمامته.

عادت الباندا سريعًا، تقبض بمخالبها على فأر، فأر بعين واحدة، قدير ورمادي وله ذيل طويل. تركته الباندا فانطلق نحو أنوري، الذي اتسعت عيناه من الذعر والفار يتشمم أنفه، يخربش وجهه، ويندفع داخل ياقة قميصه ليخرج من كُمه. عادت الباندا تمسك بالفار ووضعتة على الجبل، فبدأ الفأر يقرض. ظل يقرض قليلاً حتى اقترب من جلد أنوري، لكن أنوري ظل يحرك يديه ويشد الجبل حتى استطاع قطعه أخيرًا. فرك يديه معاً ليسري الدم فيهما مرة أخرى. والباندا تتفافز حوله. نظر إلى الفتحة في الجدار ولم يستطع تحمّل فكرة أنهم قد أنها مهتمهم الآن. أخذ قوسه وسهامه وزحف داخل الفتحة، لم يكن قد زحف كثيرًا في ظلام القلعة حين سمع الحراس يتحدثون:

"هل من مزيد هنا؟"

"لقد وجدنا الفتحة التي دخلوا منها!"

رأى أنوري وهج شعلاتهم. عاد أدراجه سريعًا، ينوي الركض في الشارع، لكنه لمح الباندا على السطح بالأعلى. رفع نفسه أعلى إطار نافذة وتبعها إلى مخبأ صغير، حيث انتظروا لفترة، فيما يركض الحراس حولهم يبحثون عن المزيد من المقتحمين. ثم اندفعت الباندا نحو الجدار الخارجي للقلعة، سارت على الحافة، وبدأت تتسلق فروع النباتات المتسلقة الملتصقة بالجدار بمهارة. تبعها أنوري، يتجاهل

الأشواك التي انغرزت بعمق في راحتي يديّهِ. نظر لأسفل إلى تكسر الأمواج على الصخور المتناثرة عند سفح الجرف أسفله بمسافة طويلة جدًا، لكنه رفع بصره لأعلى بحزم، وتسَلَّقَ لأعلى، تقدّم بِطُءٍ، وكان أحيانًا يتأرجح ويستعيد توازنه حين تبتعد فروع النبات المتسلِّق عن الجدار وتتركه مُعلِّقًا بِيدٍ واحدة. كانت الباندا في انتظاره عند نافذة على السطح فيما يدفع بنفسه لأعلى إلى الممر الضيق المخصَّص للرعاة الممتد عبر أبراج الحراسة كلها. في الغرفة أسفلهما وقع بصر أنورى على التابوت، وأطلق تنهيدة ارتياح؛ وإذ لم يكن يعرف هل من الحكمة الاقتراب منه أم لا، جَتَمَ بجوار الباندا وانتظر بصبر. نظر لأسفل على الميدان من كُوَّةٍ في الجدار، ورأى سبعة رجال يتدأون من مشانقهم. عرفهم على الفور بالرغم من عُصابٍ وجوههم، ورأى وشاح أوبسيديانا الأحمر يتطاير في النسيم. كانت قد مرَّت عليه لحظاتٌ تَمُنَى فيها أن يموت هؤلاء الرجال، لكن الموقف مُختلِفُ الآن. تذكَّرَ المرأة في الثُرُل، الحساء بقطع اللحم، والرجال الجالسين بجوار المدفأة. انقبَضت معدته. هؤلاء مَنْ أرادوا خلع الملك دايْمون عن عرشه وجعل العالم مكانًا أفضل. كان قد وعدهم أن يأخذ بثأر أبيه لكنه خانهم.

بعيدًا، عند أقصى حدود المدينة كان رَجُلٌ يقترب على ظهر حصان، غارقًا في عرقه، إنه الملك دايْمون في طريقه إلى القصر.

أنوري تحت العوارض الخشبية

كان أنوري يحاول الهبوط إلى قاعة أوبسيديانا حين سمع جلجلة أغلال أرشن وهو يدخل إلى القاعة، تصحبه جنهيد. حاول أنوري الاختباء. سَحَبَ قَوْسَهُ وانتظر، متأهبًا، أي شخص سيحاول إيذاء أوبسيديانا سيتلقَى السهم في قلبه.

سار أرشن نحو التابوت ولمس الغطاء.

"انظري كم هي جميلة"، قال، "حتى وهي حزينة".

"ماذا تُخطِّطُ أرشن؟ لماذا أتيتَ بي إلى هنا؟".

"لقد فهم دايْمون الأمر"، قال. "لقد سمِعْتُ أنه في طريقه إلى القصر. حين سيعرف أعداءه سيسحقونه".

"ماذا تريد أن تفعل؟".

حدَّق أرشن في التابوت وفي الفتاة الجميلة بداخله. لمعت عيناها، وهو يسحب سكينًا حادةً قائلاً:

"أن أظعنها في قلبها بالسكين"، قال، "وبذلك تَرثُ ابنتكِ المملكة".

تراجعت جنهيلد خطوةً للوراء ورمقته بنظرة جليدية.

"هذا ما تريدينه، أليس كذلك؟" سألتها أرشن. "لطالما أردتِ التخلُّص منها. أنتِ تكرهينها. لَمْ تَرْضِ عنكِ قَطُّ، وظَلَّمتِ تتحدَّثُ عنكِ للآلهة بالسوء".

عرض عليها السكين. نَظَرَت جنهيلد إلى الرجل النحيل بأغلاله الذهبية وعباءته السخيفة.

"وما مصلحتك في هذا؟" سألته. "إن ابنتي ليست ابنتيكِ".

"يُمْكِنُنَا الحُكْمُ معاً"، قال أرشن بِخُبْتٍ.

"هذا لن يفلح".

"بالتأكيد سيفلح".

"لا، لأنني أعرف فيما تفكّر. أنت تريد التخلُّص من دايمون ثم مِنِّي أنا أيضًا. تريد أن تملك الأميرة الخالدة".

نظر إليها أرشن بعينين تلمؤهما الكراهية وجلجل بأغلاله. تحرك فجأة ليضع السكين في يد جنهيلد، استدار، وفتح غطاء التابوت وهو يصيح:

"احترسي، أوبسينديانا! ستقتلكِ جنهيلد! يا حُرَّاس! جنهيلد ستطعن الأميرة!".

تسرّب الزمن، القاسي المتوحّش، وشمل أوبسيديانا كضبابٍ كثيف وبارد. كانت جنهيلد قد أجبرتها على مُشاهدةٍ إعدام صديقها الوحيد؛ لانت قد رأت أنوري يتدلّى من جبل المشنقة ولا ترغب في رؤية شيءٍ اخرٍ ثانيةً أبدًا. لكن الآن ها هو أرشن يقف أعلى التابوت ويبدو متوحّشًا وهو يصيح بصوتٍ عالٍ للغاية:

"يا حُرّاس! جنهيلد ستطعن أوبسيديانا!".

وقفت جنهيلد حائرةً، تحمل السكين. انفتح الباب وزأر الملك دايمون:

"مَن الذي فتح التابوت؟ مَن الذي يضيّع وقت ابنتي الثمين؟" شدّ قوسه، سدّده نحو أرشن مباشرةً، وأطلق السهم.

وقف أنوري بالأعلى، يريد أن يستخدم السهم الوحيد لديه بإطلاقه على الشخص المناسب، ظلّ يُتابع تحركاتِ أرشن وهو يُسدّد سهمه نحوه. كان ما زال يُسدّد نحوه حين اندفع أرشن نحو التابوت وفتحه، لكنّ صياحِ أرشن المنذر لَقَت انتباه أنوري نحو جنهيلد، الواقفة بجوار التابوت بسكينٍ في يدها. صاح أنوري: "انتبهي أوبسيديانا!", وأطلق سهمه برشاقةٍ نحو الملكة.

شقّ هواءِ القاعةِ سهمان، انطلق أحدهما نحو أرشن، والآخر نحو جنهيلد. كانت أوبسيديانا ترقد، مُغمّضة العينين، في التابوت حين سمعت أصواتًا مألوفة.

"أبأ؟ أنوري؟" همست مُندهشةً. فتحت عينيها على وسعهما، قامت تجلس.

نظرت حولها فرأت جنهيلد تستدير بسرعة كالبرق وتغرز السكين في قلبِ أرشن. نظرت لأعلى إلى مصدر صوت أنوري ووجدت نفسها تُحدّق في عينيه مباشرة؛ ها هو هناك، يجلس تحت العوارض الخشبية

بشعره الأشعث وعينيه الرقيقتين. اضطربت دَقَاتُ قَلْبِهَا وشعرنا،
سَهْمًا نالها. ما كان كذلك بالفعل: رشق سَهْمٌ في قَلْبِهَا في اللحظ ،
نفسها التي مَرَّ فيها سَهْمٌ آخر بها إلى خارج النافذة. سَقَطَتْ جنبها ،
على أرشن، وعادت أوبسيديانا تسقط في التابوت، ثم انغلق ،
التابوت بقوة. حدث الأمر كله بسرعة شديدة، لِحَدِّ أَنْ الضوء كان ،
زال في عينيها، وفي رأسها الفكرة السعيدة: أنوري لم يَمُت!

رأى أنوري السَهْمَ يَشُقُّ الهواءَ وأوبسيديانا تَهْمُ بالنهوض؛ نظر ،
عينيها مباشرة قبل أن يرى السهم يستقرُّ عميقًا في صدرها. انكم ،
قَلْبُهُ كَنَجْمٍ يَنْطَمِسُ ويتحوَّل إلى ثقب أسود.

رأى الملك جنهيلد تسقط، وأرشن كذلك، وابنته تختفي في التابو،
مُجْدَدًا. رَكَضَ في القاعة مذعورًا. رَقَدَتِ الملكة في بِرْكَةٍ من الدماء.
بجوارها أرشن بسكين في قلبه. والأميرة الجميلة، كنزه الثمين، ترقد في
تابوتها السحري. أطلق تنهيدةً ارتياح، وهَمُّ بِفَتْحِ التَّابُوتِ لِيُعَانِقَهَا
بعد كُلِّ هذا الوقت، لكنه صُعِقَ حين رأى السهم.

كان في التابوت ثلاث قطرات دَمٍ فَقَط. لم تَمُتْ أوبسيديانا، لكنه
أدرك أنه لو فتح الغِطاءَ سَتَتَسَرَّبُ منها الحياة وتتحلَّل في لحظةٍ
كزهرة الألبينو.

الأمير الأسود

حين عاد أنوري إلى صوابه ببطء، وَجَدَ نفسه يتجول وسط خدم وحرس القصر الذين كانوا يركضون هنا وهناك بفوضى وارتباك. لا بهمه إن أعدموه. كان صوتُ زَمَجَرَة دَائِمُون يأتي من القاعة.

قال الخدم ينوحون: "لقد قتلها الملك".

وصاح الحرسُ: "لقد قتلها الملك! كان أرشن وجنهيلد سيقتلانا. هذا فظيع!".

أكنتُ أنا مَنْ قتلها؟ ففكر أنوري. ظلَّ يجول في القصر شاردَ الذهن فيما يندفع الحرس والجليسات اللاتي ينتظرن الأوامر في كل مكان وهم يبكين، يصطدمون به ويصيحون.

"ابتعد عن الطريق! ابتعد عن الطريق! علينا فعل شيء ما!".

مع ذلك لم يعرف أحدٌ ماذا يفعل، ولم يفكر أحد في القبض عليه. شعر أنوري بغضّةٍ في حلقه. أيا كان مَنْ أطلق ذاك السهم، فقد استقرَّ

عميقًا الآن في قلب الأميرة. أنفاسها الأخيرة محفوظة الآن في النار،
إلى الأبد؛ لم تَمُتْ بَعْدُ، لكنها ليست حَيَّةً أيضًا. لا بُدَّ أن هناك شيئًا
ما يمكنه فعله.

شعر أنوري بِبَيْدِ دَافِئَةٍ تُمْسِكُ بِيَدِهِ.

"صغيري العزيز، أأنتِ حَزِينٌ؟ ماذا حدث؟"

نظر حوله. كانت ثورديس. قَادَتِهِ فِي الرُّوَّاقِ، مَرًّا بِحُرَّاسِ مَذْهُولِمْ،
ووصيفات بيكين. كانت بَوَابَاتِ القَلْعَةِ مَفْتُوحَةً، وَسَمِعَا صَوْتَ حَوَاهِجِ
الخيال فيما كانت جولد ويلو وسيلقُر ويلو تهريان من القلعة
مذعورَتَيْنِ.

سار أنوري وثورديس في شوارع المدينة ببطء. أصَابَتِ الشَّمْسُ
رَأْسَهُ بِالذُّوَارِ فِيمَا تَقُوْدُهُ ثورديس فِي شَوَارِعِ بَدَا أَنَّهَا تَحْفَظُهَا عِ
ظهر قلب.

"حسنًا، حسنًا، لم أر هذا من قبل! هل أغلق المتجر عند ناصية
الشارع أبوابه؟" صاحت مُنْدَهَشَةً وهما يمران ببيت مهجور. كانت
مُتَّجِهَةً إِلَى بَيْتِ خَالَةِ أَنْورِي.

"عزيزتي بورجليد"، قالت ثورديس، "أنا أسفة على التأخير. يبدو
أنني نسيت شراء الخُبْزِ."

حدقت بورجليد في أختها مذهولة للحظة، ثم تعانقتا بقوة.

كان أنوري يُحَدِّقُ فِي السَّقْفِ، حَيْثُ تَقْبَعُ عَنكَبُوتٌ فِي أَحَدِ الأَرْكَانِ.
أمسكها ووضعها في زجاجة صغيرة، ثم جلب عصا والتقط خيوطها في
كُرَّةٍ.

في القصر وقف دايمون شاجبًا كالموتى. وصل كونسيجليو على ظهر
حصان مع ما تبقى من الجيش.

قال دايمون: "كونسيجليو! على أحدٍ ما إنقاذها".

نظر كونسيجليو من خلال غطاء التابوت الكريستال إلى الفتاة
الحميلة بالسهم في قلبها. فاضت عيناه بالحزن كأنَّ نَحْلَه كُله قد
أرصه.

قال: "أنت تعرف جيّدًا أن الجُرْح في القلب مُميتٌ".

"لا!" قال الملك. "لدينا وقت، لا بُدُّ أن أحدًا ما في هذا العالم يمكنه
إنقاذها".

هَزَّ كونسيجليو رأسه.

"أنت تعرف المثلَّ القائلَ "لا جدوى من تضييد جُرح مُميتٍ".
ما أن تفتح التابوت ستنزف حتى الموت. لا يوجد في العالم طبيبٌ
يربِّع بما يكفي. كل ما عليك فعله هو أن تفتح التابوت لتخبرها
أنك تُحبها".

هدَرَ دايمون قائلاً:

"مَن سينقذ أوبسيديانا ساكافته بنصف مملكتي!"

"أيُّ مملكة؟" قال كونسيجليو. "لم يتبقَّ شيء منها".

قال الملك "سأعيد غَزوَ العالم، وسأمنح مَن سينقذها نصفه. أرسل
بالأوامر إلى أفضل الأطباء وأمهَر الصُّناع! اعترُّ على الأقرام!"

قال كونسيجليو وهو يهزُّ رأسه: "لكنك أمرتَ بقطع رؤوسهم،
سيدي".

انغَلقت البوابات، وأوصدت جميع الأبواب. بات القصرُ في ظلام
حالِك فيما عدا ضوء واهِن في بُرج عالٍ حيث يجلس دايمون في
انتظار مَن يُمكنه تضييدُ جُرح مُميتٍ في القلب. مرَّت السنوات
وانتظر الملك، لكن لم يأت أحد.

أعلى الجبال، دارت الأقاويل عن شخص غامض يرتحل هنا وهناك،
رجل يرتدي السواد، يقود عربةً يجرها حصانٌ. كان المسافرون الآخرون
يتعدون عن طريقه وهم يهمسون:
"إنه الأمير الأسود!".

كان الفلاحون يوصدون أبواب أكواخهم حين يمرُّ بقريتهم، تقعه
عربته المحمّلة بمربطانات زجاجية مليئة بالعناكب. تجلس امرأة
عجوزتان على العربة في يد كلٍّ منهما مغزلٌ تغزلُ به خيوط العنكبوت
من حينٍ لآخر كان أنوري يتوقّف لِيُفتِّشَ في الغابات المحيطة. حين
يرى شبكةً عنكبوتٍ كبيرة ينكزها بعصا طويلة، يديرها فيها كحلوة،
غزل البنات، ثم يناولها لإحدى رفيقتيه لتبدأ غزلَ خيوطها. بدأ
المرأتان سعيدتين، وكانتا تُنتجان الكثير.

قالت بورجليد: "حسنًا ثورديس، أختي العزيزة، أخيرًا قمنا برحلتنا
معًا!".

"رحلة؟" قالت ثورديس، وهي تغزل. "أنحنُ في رحلة؟".

أوقف أنوري عربته عند كهف، وأفرغ كرات الخيط ومربطانات
العناكب. رتب داخل الكهف مكانًا للمعيشة، وصنع نولًا. سرعان
ما بدأ ينسج ما غزلته المرأتان: ظلٌ يضع الخيط ويضغطه، يضع
ويضغط، يضع ويضغط، طوال ذلك الخريف والشتاء التالي. حين
أشرقت شمس الربيع على الكهف توقّف لينظر إلى ثمار عمله، رفع
في ضوء الشمس قطعةً صغيرة من حرير العنكبوت بدت كندفة ثلج
صغيرة للغاية. نظر إلى النسيج وسالت دمعة من عينه، بينما كانت
المرأتان نائمَتين تُشخّران.

ظهر مخلوق صغير في أعماق الكهف المظلم، يحمل مصباحًا وإهنا
يلقي بشعاع ضوء طويل ورفيع نحوه.

"لقد ظللتُ أراقبُكَ"، قال المخلوق من الظلام. "إنَّ طريقَتك في العمل لا أمل فيها. سيستغرق منك الأمر عشرة آلاف سنة لِصُنْعِ نابوتِ كاملٍ".

حين اقترب منه المخلوق، وجده أنوري قِزَمَةً عجوزًا.
قال لها: " سأعمل بسرعة".

"لا أحدٌ يُمكنه سحبُ سهمٍ من جُرحٍ في القلب".
"أعرف"، قال أنوري. "سوف أنسج نابوتًا لي لأبجَرَ فيه عبر الزمن. إنها الطريقة الوحيدة لأراها مُجددًا".
"عليك أن تكفُ عن ملاحقة الأميرة الخالدة، إن قَدَرها إنذارٌ لنا جميعًا".

"إنها لم تخطن في شيء؛ لقد أرادت أن تعيش فحسب".
فكُرتِ القزمة في هذا.

"هذا ما يحدث حين يسعى الناس للانتقام"، تَمَتَّت وهي تحدِّق في أنوري بعينيهما الكبيرتين.
"لم أكن أسعى للانتقام".

"الانتقام دائمًا ما يُؤذي الأبرياء. كان الثابوتُ هَدِيَّةً انتقاميَّةً من إخواني".

"أرجوكِ دعيني أعمل"، قال أنوري، "ليس لدي وقتٌ لأضيِّعه".
"لا أستطيع مُشاهدتَكَ تنسج بهذا السوء، أنت عازرٌ على الصنعة. عناكبُكَ عديمةُ الجدوى وأنت تُرَبِّت عليها بطريقة خاطئة".

قَادَتْهُ إِلَى أَعْمَاقِ الْكَهْفِ الْمَظْلَمَةِ. حِينَ اعْتَادَتْ عَيْنَاهُ الظَّلَامَ رَأَى.
خَمْسَ قَزَمَاتٍ بَعْنَكَبٍ صَخْمَةٍ مُشْعِرَةٍ فِي حُجُورِهِنَّ؛ كُنَّ يُرْبِتْنَ عَلَيْهِ
بِرُقَّةٍ، كَأَنَّهُنَّ يُرْبِتْنَ عَلَى قِطْطٍ، وَيَسْحَبْنَ مِنْهَا خِيوطًا فَضِيَّةً طَوِيلَةً.
قَالَتِ الْعَجُوزُ شَارِدَةً: "مَنْ يَدْرِي، رُبَّمَا يُمَكِّنُنَا مُسَاعِدَتَكَ قَلِيلًا".

الغوغاء

كان الوقتُ صباحًا، حين تجمّعت الحشود الغاضبة أمام القصر الملكي. ظلّ دايْمون في القصر بذهنٍ شاردٍ، يشاهد من نافذة قاعته الرسمية النباتات المتسلّقة تُخفي المعبد، تغزو حدائق القصر، وتُغطّي التماثيل. لم يَبدُزْ عنه أدنى ردِّ فعلٍ تجاه كل هذا، كما لم يَرمشْ له جَفنٌ حين انهزم حُرَّاسُه ونُزع منهم أسلحتهم. أحاط الغوغاء بالقلعة وحاول مجموعة أشخاص فتح البوابات بالقوة.

تمتم دايْمون وهو يَهْزُ رأسه: "الزمن، أيها الزّمن اللعين!".

بالنسبة إليه لم يكن الغوغاء الغاضبون مختلفين كثيرًا عن الزمن، الذي ظلّ طوال تلك السنين يُفتتُ القصر، لكنّ الناس أكبر من حشرات الزمن.

اقترَب منه كونسيجليو. كان قد وضع نحلته في صندوق.

"لقد انتهى كل شيء، جلاتك"، قال. "سيقتحم الغوغاء المكان هـ. ا
في أي لحظة. يجب أن نهرب من الممر السري".

تجاهله الملك.

كرّر كونسيجليو: "دايمون، يجب أن تودّعها".

كان يشير إلى التابوت، حيث ترقد أوبسيديانا بجمالها الخال.
ترتدي ثوباً أبيض، يُشعُّ وجهها بالفرح، وينغرز في قلبها سهم الخب.
قال: "سيدخل الغوغاء إلى هنا في أي لحظة. يجب أن تأخذها بع.
ذراعيك وتودّعها. إنها ابنتك، رغم كل شيء".

"لا"، قال الملك. "إنها لم تمُتْ، وطالما ظلت في التابوت لن تموت أبداً".

قال كونسيجليو بحزم "لا جدوى من حفظ أنفاسها الأخيرة إلى
الأبد، لو كنتُ أنا الملك لأمرتك بفتح التابوت وتوديعها".

قال الملك: "لا. يوجد أمل دائماً".

سقط وابل من الحجارة على النوافذ، لكن الملك لم يتحرك قيد
أُمَّلَّةٍ والحجارة تسقط عند قدميه. علَّت الضجَّة بالخارج، والغوغاء
الآن يدفعون أبواب القاعة الكبيرة المصنوعة من خشب البلوط.
انفتحت الأبواب، قطعن كونسيجليو أوَّل مُقتَحِمٍ بسيفه، لكنه سَقَطَ
مَيِّتًا على الفور تحت أقدام الآخرين: شحاذين، جنود، هاربين من
التجنيد، نساء عجائز، شباب، فلاحين: رعاغ عنيفون بلا قائد. ساد
الصمتُ للحظة حين وقفوا يُحدقون حولهم في القاعة، التي لم يُسمح
للعاثة بدخولها من قبل قط. حملقوا بدهشة في الرجل الملتحى
الجالس على العرش. كان دايمون صامتًا، جامدًا. بدأ مندَهشًا قليلًا
حين اندفع الرعاغ نحوه ورفع الرجل الذي يتقدمهم فأسه ليضربه
بها. نظر الملك لأعلى إلى السقف المقبب واللوحه التي تُصوره واقفًا
في أوج مجده والعالم بين يديه. فجأة شقَّ الهواء شيء ما وهو يقترب

منه، وانفجر العالم في رأسه وهو يسقط على الأرض. رأى التابوت من زاوية عينه، ثم غمر المشهد أمام عينيه ضوءاً أبيض ووريق، ظلماً أبدياً.

مَرَّتُ امرأةً إحدى الستائر الثقيلة، فغمرت شمس الصباح القاعة بضوء ساطع. سقط شعاع شمس على الفتاة الراقدة بلا حراك في التابوت، فأضاء جمالها المدهش وملامحها المشرقة. وقف قاتلُ الملك ورفع رأسه يستعدُّ الآن لضرب الأميرة، لكنه تجمَّد في وقفته، ووضع سلاحه على الأرض يبْطِئ. لم يتجرأ أحدٌ على التَّفوُّه بكلمة، كذا لم يتجرأ أحدٌ على الاقتراب من التابوت. أضاءت أشعةُ الشمس الشعَرَ الأسودَ، الشَّقَّتَيْنِ الحمرَوينِ كالدم، الخَدَيْنِ الشاحِبَيْنِ، والسُّهم المنغرس في القلب. ثم بدا كأنَّ قطيعاً من الثيران يتدافع نحوهم: استدار أحدهم وركض، فتبعه الباقون، مرعوبين من اللعنة المميتة لتلك الفتاة المخيفة.

لم تَدْرِ أوبسيديانا شيئاً عن ذهاب كُلِّ مَنْ عرفتهم وأحبَّتهم: ظلُّ تعبيرٌ وجهها بلا تغيير حتى فتح رجلٌ يرتدي السَّوادَ فَتَحَةً صغيرة للغاية، ووضع رسالةً في يدها، وهو يهمس: "سنلتقي مجدداً!!".

شَهَّقَت، تَحَوَّلَ صدرها إلى الأحمر الفاتح، واقتربت من الموت لحظةً أخرى.

مَرَّتِ الأيام، والمواسم، والسُنون. طَمَسَ الزَّمَنُ القَلْعَةَ بمئات الآلاف من الزهور التي نَمَت وَتَفَتَّحَت في كل ركنٍ منها، لِيُثْبِتَ بذلك أنها أقوى من أعظم ملوك الأرض. استقرَّت البذور في الملك وضربت بجذورها في جذعه وصدرة، تتغذى على جسده. نما برعمان أخضران صغيران من محجرتي عينيه، وصارا فرعين نَضْرَيْنِ يميلان نحو ضوء الشمس، ويلتفنان حول أحدهما الآخر مثل نابِ حوتِ التُّروال، نَمَيَا حتَّى صارا شجرةً واحدةً مُلتَوِيَةً، شَقَّتْ طريقها عبر السقف، ومدَّت

ظَلُّهَا الْأَخْضَرُ أَعْلَى الْأَمِيرَةِ، وَأَحَاطَتْ بِجُذُورِهَا التَّابُوتَ فِي عِنَاقِ قَوِيٍّ.
بِمَرُورِ الْقُرُونِ اخْتَفَى التَّابُوتُ رُويْدًا رُويْدًا تَحْتَ أَرْضِ الْغَابَةِ.
هنا ترقد الأميرة، خالِدةً، وبمناى عن الزمن، ليست حَيَّةً ولا مَيِّتَةً.
عمرها ألفا عام، لكنّها في الرابعة عشرة فقط من عمرها.

نِهَايَةُ الْقِصَّةِ

سَكَتَتْ جَرِيْسَ.

سَأَلَ أَحَدُ الْأَطْفَالِ: "كَيْفَ مَاذَا حَدِثَ؟".

قَالَتْ: "هَذِهِ نِهَايَةُ قِصَّةِ بَانِجِيَا".

قَالَ مَارْكُوسُ: "لَا، لَا يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ هِيَ النِّهَايَةُ".

بَدَتْ جَرِيْسَ جَادَّةً، وَقَالَتْ:

"أَنَا آسِئَةٌ، لَكِنِ الْمَشْكَالَةُ أَنَّكُمْ لَوْ لَمْ تَفْعَلُوا جَمِيعًا شَيْئًا مَا سَتَلْقَوْنَ قَدْرًا مُؤَلِّمًا كَقَدْرِ أَوْبَسِيدِيَانَا".

سَأَلَهَا أَحَدُهُمْ: "مَاذَا تَقْصِدِينَ؟".

أَجَابَتْ: "السَّنَوَاتُ طَوِيلَةٌ ظَلَلْتُ أَرَاقِبُ النِّبَاتَاتِ وَالْأَشْوَاكَ تَكْسُو الْعَالَمَ. لَنْ يَمُرَّ وَقْتُ طَوِيلٍ مِنْذَ الْآنَ قَبْلَ أَنْ تَنْهَارَ الْبُيُوتَ وَتَخْتَفِيَ

المدينة تحت الغابة؛ حين سيحدث هذا سيكون الوقت قد تأخر ،
للخروج من توابيت الزمن إلى العالم مُجدِّدًا".

جلس الأطفال جامدين من وَقَع كلماتها. تخيَّلت سيجرين عالما
يحكمه سُكَّانُ الغابة من طيورٍ وغزلان، بينما البشر مُجمدين تحت
الأرض كحفرياتٍ فيلَّةِ الماموث. قد يتسبَّب زلزالٌ قويٌّ في فتح التوابيت
فيخرج الناس منها ليجدوا أنفسهم في غُرفٍ في أعماق الأرض مُحاطة
بالطُحالب. مَنْ سينجح منهم في شُقِّ طريقه إلى سطح الأرض سيتجوَّل
هنا وهناك، مرعوبًا وحائرًا، وسيدرك أن أمَله الوحيد في العودة إلى
تابوته.

سأل ماركوس: "ماذا علينا أن نفعل؟".

"إن لعنة أميرة بانجيا قد انتشرت في العالم لأن أحدهم عَثَرَ على
تابوتها، وعَرَفَ كيف يصنع منه أعدادًا كبيرة. مَنْ يفهم أصل اللعنة
فقط يمكنه إصلاح العالم وجعله مكانًا أفضل. الآن لديُّ هنا تَتِمَّة
لأقرأها لكم".

ثم أمسكت برزمة أوراق أخرى.

حَنَزَ دَفِينٌ

كانا قد قادا لِعِدَّةِ سَاعَاتٍ عَلَى طُولِ الشَّاطِئِ الصَّخْرِيِّ حِينَ رَأَيْنا أُخِيرًا قَرْيَةً صَغِيرَةً رَقِيقَةَ الْحَالِ، تَقَعُ فِي حَضْنِ وادِي صَغِيرٍ عِنْدَ سَفْحِ تَلٍّ تَكْسُوهُ الْأَشْجَارُ. بِيُوتِهَا قَدِيمَةٌ وَمَتَهَالِكَةٌ، يَبْدُو أَنَّ الْعَالَمَ قَدْ نَسِيَ مَكَانَهَا. تَوَقَّفَ عَالِمَا الْأَثَارِ: چِيمَسُ كَرُومُوِيلُ وَفِيكْتُورُ رُولانْدُ عِنْدَ مَقْهَى قَدِيمٍ. كانا مُعْبَرِّئِنِ مِنَ الطَّرِيقِ المُرْتَبَةِ الَّتِي ارْتَحَلَّا فِيهَا مُتَعَرِّقَيْنِ وَقَدْرَيْنِ. خَرَجَ إِلَيْهِمَا رَجُلٌ عَجُوزٌ يَسِيرُ بَعَرَجٍ، وَسألَهُمَا بِلُغَةٍ لَمْ يَفْهَمَاهَا، تَرَجَمَهَا لَهُمَا دَلِيلُهُمَا:

"ماذا تفعلان هنا؟".

أجابهُ كَرُومُوِيلُ: "نَسْتَكشِفُ الْمَكَانَ فَحَسَبٌ".

قالَ الرَّجُلُ بَحَدَّةٍ: "لا يَوجَدُ هُنَا شَيْءٌ لِرؤيْتِهِ".

"في هذِهِ الْحَالِ سَنَسِيرُ قَلِيلًا فِي الْأَنْحَاءِ"، قالَ كَرُومُوِيلُ وَهُوَ يَشِيرُ إِلَى التَّلِّ المَكسُوفِ بِالْأَشْجارِ المِطْلُوعِ عَلَى القَرْيَةِ.

تابوتُ الزَّمَنِ | 297

"ممنوع الاقتراب من التل المحرّم! إنه ملعونٌ، ولم يذهب إلا ،
أحدٌ منذ آلاف السنين!".

انتصبت شعراتٌ قفاً رولاند، لكن كرومويل استمع للرجل باهتمام
ساعدته حكاياتُ التراث من قَبْلُ كثيراً في عثوره على أشياء ثمينة.

في وقت مبكّرٍ من الصباح التالي حطّت طائرةٌ مروحيةٌ سوداء في
فسحة في الغابة على الجانب الآخر من التل. بدا الطيار متوتراً وهو
يوقف المحرك ويقول:

"سوف أنتظر، لكنني لا أعدُّكما بشيء. لو حدث أي شيء غير
مألوف، سأنتقل وحدي!".

كانت القرية عند سفح التل يغطيها الضباب، وحجّب ندى
الصباح قدمي كرومويل ورولاند وهما يهبطان على التل. تقدّما
بحرص كأنهما في حقل الغام، وقفراً حين طارت الغربان من أعلى
شجرة قريبة وحلقت كالنسور في دائرة حولهما. أثّرت الحكايات التي
سمعاها على أعصابهما.

كان من الواضح أن المنطقة ظلّت غير مأهولةٍ منذ وقت طويل
للغاية: شقاً طريقهما في الأدغال، حتى ظهرت لهما حدود الجدران
الحجرية الصلبة.

"شيء لا يُصدّق"، قال رولاند وهو يحرك جهاز الكشف عن المعادن
ببطءٍ أعلى الأرض، ويسمع أزيزه كلما تقدّم خطوةً أخرى.

لم يستطع كرومويل إخفاء حماسه؛ عثوره ولو على علبة صفيح
حتى في هذه المنطقة سيجعله مليونيراً.

قال رولاند: "يبدو أن الناس قد قرؤوا من هنا مذعورين".

أخرج كرومويل أدواته، أزاح كتلةً من العشب جانِباً، وبدأ يحفر في
الأرض. لم يَمُرَّ وقتٌ طويل حتى عثر على صحنٍ ذهبيٍّ وعملةٍ ذهبيةٍ؛

«سل العُمَّلةُ بماء من زجاجته، فرأى صورة ملك وكتابة بلغة غير مألوفة».

"أنا لم أعرف شيئاً كهذا من قبل"، قال، "هذا كنزٌ حقيقي! لم يأتِ أحد إلى هنا منذ آلاف السنين. هؤلاء القرويون الأغبياء كان بإمكانهم أن يصيروا مليونيرات لولا اعتقادهم القوي بتلك اللعنة".

لمح وهو يضع العملة في جيبه شجرة سنديان مُلتوية على نحوٍ عجيبٍ يجعلها تُهَيِّمُ على التل. لها جذعان متشابكان كنانٍ حوتٍ بروال عملاق، وتبدو عتيقةً، لحاؤها رماديٌّ كجليدٍ سُلْحَفَاءٍ عجوز. كانت الرِّيحُ تَصْفُرُ على نحوٍ غامضٍ بين أوراقها، كأنها تخبرهما أن يتبعداً من هنا، مع ذلك صدر عن فروعها الرقيقة همسٌ وديعٌ يحثُهما على الاقتراب منها أكثر.

شعر رولاند يحبّات العَرَقِ على جبينه وهو يدور حول الشجرة بِقَلْبٍ بجهاز الكشف عن المعادن. كان أزيزُ الجهاز يعلو كلما اقترب من الجذع، حتى صدر فجأةً صريرٌ فظيع، وانطفأت شاشة الجهاز. نظر لأعلى ورأى ما بدا له وُجوهٌ محفورة في اللحاء.

قال بصوت مرتبكٍ: "هذا الجهاز قطعهُ حُرْدَةٌ عديمة القيمة!".

ظَلَّ كرومويل على مسافةٍ فيما يكافح رولاند مع الجهاز ليعيد تشغيله، وغطى أذنيه عندما صرَّ الجهاز مُجدِّداً وتوقَّف عن العمل في البقعة نفسها تقريباً.

"يوجد شيء ما بالأسفل هنا"، قال رولاند، "شيء ما أثقل من قدرة استقبال الكاشف".

أخذ كرومويل يحفر بحماسة.

"هذا ليس من شيمِ علماء الآثار الجيدين"، قال رولاند. "الحفَرُ هكذا قد يُدمر دليلاً قيماً".

"لن نستطيع استكشاف هذا الموقع بإحدى ملاعق الشاوي
خاصّتك"، قال كرومويل، "وإن لم نُسرِعْ قد لا نخرج من هنا أبداً"
كانا قد وصلا إلى عمق حوالي عشرة أقدام حين انكسرت المجرّفة.

"ها هو شيء ما!" قال رولاند بسرور وهو يمّسح العرق عن جبينه
بطرف كُمّه. "لكن علينا أن نسرع، بدأ الظلام يحلّ".

انضمّ إليه كرومويل في الحفرة التي حفراها.

قال رولاند "إنه تابوت".

كان التابوت مَكسُواً بالطحالب، وكانت شجرة السنديان تقبض
عليه بقوةٍ بجذور تُشبه الأصابع السميكّة. بدأ الرجلان بنشر الخشب
لتحرير التابوت، لكن الشجرة أُبِت أن تترك لهما كَنزها الثمين؛ كان
يبدو أنها، ما أن ينكسر أحد جذورها، تمُدُّ جذراً آخر ليلتفّ حول
التابوت كالثعبان. ظلّا يحاولان قطع الجذور، استخدمتا موقِد اللّحام
ليحرّقها حتّى، ثم بدا أن الشجرة قد استسلمت فجأةً، وحرّرت التابوت
من قبضتها، بدت فروعها الخضراء كأنها تئنُّ بحزن، وعالماً الآثار
يربطان التابوت بجبلٍ ويرفعانه من الحفرة.

بالأسفل في القرية كانت المشاعل تتوهج، واستطاعا رؤية خطّ
منها يشقُّ طريقه نحو التلّ.

تناهى إلى سمعهما صوت الطائرة المروحية تبدأ في التّحرك.

قال رولاند "بسرعة، قبل أن يتركنا ويذهب!".

جرّ التابوت بين الأشجار بأسرع ما أمكنهما؛ كانا يرفعانه على
متن المروحية ومُحركها يتخذُ سرعته القصوى، بعد ذلك بلحظاتي
كانوا يحلقون أعلى الغابة.

"كان من الممكن أن نلقَى حتفنا"، قال رولاند وهو ينظر إلى أضواء
المشاعل المتجمّعة حيث كانت الطائرة تنتظرهما.

عادا بالطائرة، أعلى الشاطئ الصخري الطويل، يراقبان الشمس تختفي في الأفق. صار كرومويل وروланд يتنفسان بسهولة الآن، غرقت نحاكأتهما العصبية في صَجَّة المحرك. بعد ساعتين حطت الطائرة في مزرعة كبيرة على حدود المدينة، وحمل التابوت إلى مبنى قريب، حيث أزالا عنه طبقة الطحالب والتراب، ونزعا ما تبقى من الجذور العالقة به. تسارعت دقات قلبيهما حين ميّزا هيئة كائن بشري بداخله. ظل كرومويل يتحسس الغطاء حتى عثر على المقبض.

قال رولاند "افتحه بحذر".

انفتح التابوت بتكئة خفيفة، وتدقق إليه الزمن كما تتدقق المياه في سفينة غارقة. ثم سمعا أنينا ثقيلاً.

"أوه يا إلهي!" قال كرومويل، وفتح الغطاء على وسعه. وجدًا بداخله فتاة راقدة بهم مغروس في قلبها. ما أن فتحت عينيها تبلل ثوبها كله بالدم؛ شهقت وسعلت، وسال الدم من زاويتي قمها. "إنها جريحة!"

قال كرومويل وحملها بين ذراعيه وركض إلى الطائرة المروحية.

"بسرعة! بسرعة! إلى الطائرة! يوجد سهم في قلبها! أسرع!"

كاد الطيار، الذي كان جالسًا في الفناء، يختنق بقهوته وهو يندفع إلى الطائرة. أسرع يدير المحرك وروланд يصعد إلى متن الطائرة، يتبعه كورمويل وهو يحمل الفتاة ويصيح: "هيا! هيا!"

انطلقت الطائرة في الظلام، وأسرت أعلى أضواء المدينة الساطعة. كانا يضغطان على الجرح بقوة، يحاولان وقف النزيف، بينما تحديق الفتاة في سقف الطائرة، سعلت، ثم غابت عن الوعي أخيرًا. كان وجهها أبيض كالثلج، شعرها أسود كجناح غراب نوحى، وثوبها أحمر كالدم.

"أسرع!" صاح رولاند. "اتصل بالمستشفى وأخبرهم أننا في طريقنا!"

سرعان ما لاح لهم مبنى المستشفى المضاء، يعلو بارتفاع عشرين طابقاً أعلى الضاحية المجاورة له.

حطت الطائرة المروحية على مهبط الطائرات، وفتح ممرضون يرتدون معاطف بيضاء بابها، حملوا الفتاة على نقالة، وأسرعوا بها عبر أبواب هزازة إلى داخل المبنى.

وقف كرومويل وروланд صامتين، مُلطّخين بالتراب والدم. كان رولاند يبكي. تناهى إلى سمعهما من أسفل بعيداً هَمَهَمَةُ المرور وصخب المدينة. شعرا بالهواء مُلوّناً ورطباً.

"هؤلاء القرويون البلهاء"، قال كرومويل. "لا بُدّ أنهم دفنوها حيّةً."

"لكن كيف؟ كيف يمكنهم فعل هذا؟ لقد قطعنا جذوراً لنصل إلى التابوت".

فكّر كرومويل. "لا أفهم. لم يَبْدُ أن أحداً قد حفر هناك قبلنا. لا بُدّ أنهم يُخفون شيئاً ما. ربما كانوا يمارسون طقوس التضحية بالبشر هناك على ذلك التل. لم أقابل شيئاً كهذا قط! دَفَنْ فتاةٍ وهي حيّة!"

انتظرا في المستشفى طوال الليل. جاءت الشرطة لاستجوابهما.

قال كرومويل مُنزعجاً: "لقد قَتَلْهَا أَحَدُ القرويين البلهاء!"

"أين؟"

"على التلّ المحرّم".

هَزَّ ضابطُ الشرطة رأسه.

"هل ذهبتما إلى هناك؟ لا بُدّ أنكما مجنونان! لقد اختفى هناك فريقٌ كامل من العلماءِ العامِّ الماضي. ولم يمكننا فهمُ أيِّ شيء من هؤلاء القرويين".

في الصباح جاء إليهم الطبيب وقال:
"الحالة خطيرة. كان قلبها قد توقّف حين وصلت إلى هنا. سيكون
علينا أن ننتظر لنرى".

سَلَّم كرومويل صندوقًا، وأضاف:

"هذه أمتعتها: ثوبها، قلادة، ورسالة كانت في يديها".

وقف كرومويل هناك يحمل الصندوق، لا يدري ماذا يفعل؛ نظر
في الرسالة فلم يفهم شيئًا، لا من حَطُّ اليد، ولا من اللُّغة المكتوبة
بها.

وَصَعَت جريس أوراقها جانبًا. نظر إليها الأطفال.

قالت: "سيكون عليكم إيجاد كرومويل إن أردتم معرفة المزيد.
إنه الرجل الذي ظهر ذات يوم في التلفاز لبيع توابيت الزمّن للعالم
أجمع. أنا واثقة أنه يعرف نهاية القصة".

البَحْثُ عَن كَرُمُوِيل

كانت يَافِظَةٌ لا فِراير بعد الآن! تومِضُ وتَنطَفِئُ. بسَطَّت جريس خريطةً على طاولة القهوة، ورَسَمَت دائرةً حمراء حول مِلْكِيَّةٍ خاصَّة تقع في منطقة فَخْمَةٍ بالمدينة.

نظر ماركوس في الخريطة، وقال:

"هل يعيش هنا في المدينة؟ لماذا لم تقولي هذا منذ البداية؟ لنذهب للعثور عليه!"

قالت جريس: "نعم، أنتم جميعاً تعرفون كيف تكسرون النوافذ، أليس كذلك؟"

احمرَّ وجهُ ماركوس.

سأل بيتر: "أهو خطير؟"

لم تُجِبْهُ جريس، بل قالت:

"خُذُوا حذرَكُمْ منه في جميع الأحوال. لن تعرفوا أبدًا ماذا ، ،
لِيَشْخِصْ مثله أن يفعل. اسألوه عن ثلاثة أشياء فحسب: عن الآ ، ،
وعن أنوري، واطلبوا منه مفتاح المصنَع".

"مفتاح المصنَع؟".

"نعم، أعتقد أنه المفتاح الذي سيُزيل التَّعويدةَ عن العالم".

هَزُّ ماركوس رأسه، لكنه تذكَّر والديه وأخته الصغيرة: عليه أن
يُنْقِذَهُم قبل أن يختنقوا تحت الأرض. لا يوجد حَلٌّ آخر، عليهم فعل
ما تقوله جريس.

أخذ الأطفال الخريطةَ وانطلقوا، ساروا في الطَّرُق السريعة المكسوة
بالبطالِب، مَرَوْا بمركز التَّسوق، بالبحيرة الغارقة فيها عجلة الملاهي،
وبالمبنى الذي يرقد بداخله صَفٌّ مُجمَّدٌ من أعضاء البرلمان. نظرت
سيجرين إلى الشارع الذي كانت تَسْكُن فيه بحُزنٍ عميق. كانت تتوق
للعودة إلى البيت.

وصلوا أخيرًا إلى منطقةٍ بساحات انتظارٍ فسيحةٍ كملعب كرة
القدم ومنحوتاتٍ حجريَّةٍ لَأَسودٍ تبدو مُرهقةً من حراسة صفوف
السيَّارات. لا شك أنها منطقة الأثرياء.

قال بيتر: "أتمنى أن يمكنني ولو توصيل البريد فقط إلى هذه
المنطقة".

كان منزل كرومويل مُحاطًا بجدرانٍ وأسوارٍ شجريةٍ عالية. توجد
بالقرب من المدخل نافورةٌ بجوارها سيَّارة رولز رويس صِدَّة، إطاراتها
فارغة، وسقفها تَغْمُرُه فَصَلاتُ الطيور. كان الباب الأمامي للمنزل
مُوصدًا، وسقط مقبضُه على الأرض حين حاول بيتر إدراكه. ساروا إلى
خلف المنزل حيث وجدوا حمامَ سباحةٍ مليءٍ بأوراق الشَّجر وملعَبٍ

اسس يبدو كالذغل. وجدوا نافذةً مكسورة، أزالوا عنها كسرات الزجاج
ودخلوا منها. لم يجدوا أي علامة على وجود أي حياة.

هَمَسَت سيجرين: "أتتقُ بها؟".

رفع ماركوس كتفيه قائلاً: "لا أعرف".

تَرَدَّدَ صدى وقع خطواتهم على الأرضية الرخامية وهم يتجولون
في الغُرفِ ذات الأسقفِ العالية. حَلَقَت طيورُ الذُعْرَةِ في الأروقة، توجد
على الأرض تُرْبًا كريستال مُهشمة؛ في الحمام كان النمل مُنشِغًا في
تقسيم راكون مَيْتٍ. صعدوا السُّلم إلى الطابقِ الأعلى، لكنهم توقَّفوا
جامدين حين رأوا وَهَجًا أزرقٍ يَنثَالُ من أسفل باب.

سأل ماركوس: "هل من أحدٍ يُفكِّر في الدخول؟".

قالت سيجرين: "لستُ أنا".

قال بيتر: "من بَعْدِكُمْ".

قالت كريستين: "سندخل معًا".

دفعوا الباب يفتحونه بِطَءٍ شديدٍ للغاية، فوجدوا أنفسهم في
مكتبةٍ مُتربِّيةٍ، ورؤوس حيوانات مُحنَّطة تُحدِّق فيهم من شبه الظلِّمة،
وناب حوت نروال مُقوِّس يتدلى من السقف. كان الوَهْجُ الأزرق يأتي
من صندوقٍ أسودٍ يقف في أحد أركان الغرفة، وقفزوا حين رأوا فيه
رَجُلًا شاحبًا ونحيلًا يُحدِّق بِقَمٍ مفتوحٍ في الفراغ.

"أهذا هو؟" قال ماركوس وهو يُدقِّق النُظْرَ في الوجه الرمادي

الممتَّع.

"اسأله". أجابت سيجرين. ثم اختبأت خلف بيتر، فيما يُمسِكُ

ماركوس المفتاحَ السُّداسيَّ بيديَّين مُتعرِّقَتَيْن ويفتح الصندوق.

"مَن هناك؟ هاه؟ مَن هناك؟" دَقَّق الرجل النظر في الغرفة نصد. المِعْتَمَة.

"نحن نبحث عن مستر كرومويل".

"هذا أنا. ماذا تفعلون هنا؟ إنه خطأ أن تفتحوا صناديق الأخرير، يا حَدم! لقد دخل بعض الهمج الصغار".

قال ماركوس: "لا يوجد حَدم هنا".

"يالللجيم!".

"هل صَنَعَت الصناديق السوداء؟".

"نعم، بالطبع".

"أنت السبب إذًا في تحوُّل العالم إلى حُطام".

"أنا السبب؟ أنا لم أُجِر أحدًا على شرانها".

"لكنك مَن اخترعت شِعَارَ "لا فبراير بعد الآن"".

"وماذا في ذلك؟ فبراير شهرٌ سخيف".

قالت سيجرين مُنزعجة: "إن عيد ميلادي في فبراير".

زَمَجَرَ كرومويل: "هذا ليس حَظني". ثم نظر إلى الخارج، وبدأ أنه فوجئ بما رآه. تَشَمَّم الهواء، عَقَدَ حاجِبَيْه لرائحة التراب، وحاول أن ينفذ عنه شعوره بالكآبة.

"أوف، هذا مُريع. حَسَنًا، وداعًا، ليس لدي وقتٌ لأضيِّعه. أنا أريد مُراگمةً الفائزة على أموالِي في البنوك. اذهبوا من هنا".

"لا. يَجِبُ أن تُساعدنا".

"أساعدكم؟".

"يجب أن نُحزِرُ الناسَ"، قالت سيجرين، "قبل أن يتأخّر الوقت على ذلك كثيرًا".

"الناس يُقرّرون أوقات خروجهم الخاصّة. أنا لا أُمْنَعُ أحدًا من الخروج من الصُّندوق!".

"لكنّهم لا يريدون؛ الجميع ينتظرون أوقاّتًا أفضلَ في المستقبل. لا أحد يريد أن يُبادِرَ".

"وهل هذا خَطَنِي؟ هل عليّ قضاءُ وقتي في تنظيف الفوضى التي تركها الآخرون خَلْفَهُمْ؟ مستحيل! هل تعرفون كَمُ الفوائد التي أخسرها بمجرد وقوفي هنا لأتحدّث معكم؟". نظر إلى الساعة. "لقد صُيِعْتُ أربعمئة ألف نقطة على الأقل!".

قال ماركوس: "لا أحد سيدفع أيّة فوائد بعد الآن".

دخل كرومويل صندوقه وأغلقه عليه.

فتح ماركوس الصندوقَ ثانيةً.

نظر إليه كرومويل، وسأل: "ألم تذهبوا بعد؟".

قال ماركوس: "لا".

قال كرومويل: "لتذهبوا الآن إذا!" ثمَّ أغلَقَ الغِطاءَ.

فتح ماركوس الصُّندوقَ مُجددًا.

"نحن نريد المفتاح".

"المفتاح؟".

"نعم".

"أيُّ مفتاح؟".

"مفتاح المصنّع".

عَبَسَ كرومويل.

"أنتم واهمون إن كُنْتُمْ تَسْعَوْنَ إلى مفتاح المصنع! مَنْ الذي أرسلَكُم؟".

"سَيِّدَةٌ تُدْعَى جريس".

تجمد كرومويل من الدهشة؛ بدًا مرعوبًا.

"جريس؟ أَهِيَ هُنَا مَعَكُمْ؟".

"لا".

بدًا كرومويل كأنه ارتاح قليلًا.

"لا تُصَدِّقُوا كَلِمَةً مِمَّا تَقُولُهُ تِلْكَ الْمَرْأَةُ".

"لماذا؟".

"إنها مجنونة. تُنَاهِضُ تَوَابِيثَ الزَّمَنِ. ظَلَّتْ تُنَاهِضُ ضِدَّهَا، وَقَالَتْ
إِنِّي سَاقُودُ الْعَالَمِ إِلَى الْخِرَابِ بِوَادِ الزَّمَنِ. ابْتَعِدُوا عَنْهَا! إِنَّهَا لَا تَجَلِبُ
سِوَى الْخِيَانَةِ، وَالْمَآسِي وَالْمَوْتِ".

ثم أغلق الغِطَاءَ بِقُوَّةٍ.

نظر سيجرين وماركوس إلى أحدهما الآخر، وفتحا الصندوقَ مُجَدِّدًا.

سأل كرومويل: "ماذا؟".

"لقد أَخْرَجْتُنَا جريس من صناديقنا لتحكي لنا قِصَّةً".

"ونحن نريد أن نعرف نهايةَ تلك القِصَّة؟".

"أنا لا أعرف أَيَّةَ قِصِّصٍ".

"بلى، إنها قِصَّةُ أَمِيرَةٍ أُصِيبَتْ فِي قَلْبِهَا بِسَهْمٍ وَدُفِنَتْ فِي تَابُوتٍ
سَحْرِيٍّ تَحْتَ ثِقَلِ الزَّمَنِ".

فَكَرَّ كرومويل للحظة، ثم خرج من التابوت. كان يرتدي حذاءً رياضياً، تيشيرت بولو وردياً، وبنطالاً قصيراً أبيض... تَوَجَّهَ إلى نافذةٍ فُذِرَةٍ وَتَجَهَّمْ حين رأى حُطَامَ سيارته الرولز رويس الصِّدئة بالخارج. "كنتُ سأضعها بالداخل لو كنتُ أعرف أن الأمر سيستغرق وقتاً طويلاً هكذا".

عاد إلى صندوقه، تَحَقَّقَ من زِرِّ التوقيت وَضَعَطَهُ مَذْهولاً. "واو! كان ذلك دقيقةً ونصفاً"، قال ثُمَّ سأل الأطفال. "ألم يتحسَّن الموقِفُ إذًا؟".
أجابوه "لا"..

قال كرومويل: "إن الصناديق مضبوطةٌ بِدِقَّةٍ شديدة. كان يجب أن تفتح تلقائياً حين تنتهي الأزمة. لم أتوقَّع أن تستمرَّ لوقتٍ طويل هكذا".

نظر حوله إلى ألواح الأرضية المنبَعِجَة والجدران المتهاكِة، ثم تَمَتَّمَ: "يوجد هنا الكثير لِفِعْلِهِ حَقًّا".

أَمْسَكَ بِمَنْظَارٍ مُقَرَّبٍ وَضَبَطَهُ على مصنَّعٍ بعيد. تبدو أبراجه العالية بِلَوْنَيْهَا: الأحمر والأبيض كخَيَالِ الظُّلِّ على خلفيَّة السماء. "هل أرسلتكم جريس للحصول على المفتاح؟".
"نعم".

"دائمًا ما تحاول إفسادَ ما أفعله".

"علينا أن نسألك ثلاثة أسئلة".

"أوه هكذا؟ حسنًا إذًا، ابدؤوا!".

قالت سيجرين: "هل تعرف ماذا حدث لأوبسيديانا؟".

"لا، أنا لا أعرف أحدًا بهذا الاسم."

"إنها الأميرة التي كانت في الثابوت السحري."

"هل هذا صحيح. أنا رجل أعمال. لا أعرف شيئًا عن الحواديث. السؤال التالي؟"

"ماذا حدث لأنوري؟"

بدا أن السؤال فاجأه. "أنا لا أعرف أحدًا يدعى أنوري. من يكون؟"

"أنوري هو الفتى الذي كان يُحبُّ الأميرة. غَزَلَ لنفسه تابوتًا ليأخذه إلى المستقبل ليكونا معًا مُجددًا."

أُتسَعَت عينا كرومويل.

"هل يوجد تابوت آخر؟"

ثم احمرَّ وجهه، أدرك أنه قال الكثير.

قالت سيجرين: "يبدو أنك تعرف عن واحدٍ على الأقلٍ إذًا."

لم يُجِبْها كرومويل.

"أخيرًا بما حدث للفتاة."

العُثُورُ عَلَى الثَّابُوتِ

ظَلُّ كَرُومُوِيلَ يَرُوحُ وَيَجِيءُ فِي المَكْتَبَةِ. كَانَ مِنَ الصَّعْبِ تَمْيِيزُ حَالَتِهِ المَزَاجِيَّةِ، مَعَ ذَلِكَ بَدَأَ أَنْ شَيْئًا مَا يُزْعِجُهُ.
قَالَ لِلأَطْفَالِ: "اجلسوا".

جَلَسَ الأَطْفَالُ عَلَى الأَرَاكِ المَخْمَلِيَّةِ، فَثَارَتِ سُحُبُ الغَبَارِ. يُحَدِّقُ فِيهِمْ رَأْسُ ظَبِي بَعِينِينَ زَرْقَاوِينَ. ظَلُّ كَرُومُوِيلَ يَرُوحُ وَيَجِيءُ فِي الغُرْفَةِ وَهُوَ يَفْكِّرُ. ثُمَّ أَطْلَقَ تَنْهِيدَةً وَبَدَأَ كَلَامَهُ:

"ظَلَّتِ الفَتَاةُ فِي غِيُوبَةٍ لَمُدَّةِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا. كُنْتُ أَزُورُهَا يَوْمِيًا. بَدَّتْ جَمِيلَةً وَوَدِيعَةً لِلغَايَةِ وَهِيَ نَائِمَةٌ، لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يَعْرِفُ مِنْ أَيْنَ هِيَ أَوْ مَا اسْمُهَا. حِينَ أَفَاقَتْ حَاوَلْنَا التَّحَدُّثَ مَعَهَا. بَدَأَ أَنَّهَا لَا تَفْهَمُ مَاذَا نَقُولُ، لَكِنِّي تَذَكَّرْتُ الرِّسَالَةَ المَكْتُوبَةَ بِلُغَةِ غَرِيبَةٍ الَّتِي كَانَتْ تُمَسِّكُ بِهَا حِينَ عَثَرْنَا عَلَيْهَا. نَاوَلْتُهَا لَهَا فَبَغَّتْ حِينَ رَأَتْهَا. فِي اليَوْمِ

التالي كانت قد اختفت؛ لم يعرف أحدٌ ماذا حدث لها. ظللتُ أفكر فيها يوميًا.

بعد ذلك بسنواتٍ عديدة كنت أعمل في مُخَبَّرِي في وقتٍ متأخرٍ من الليل حين ظهرت أمامي فجأة، بدت كَشَبَاحٍ: شعرها أسود كالليل، ووجْهها أبيض كالثلج. ناوَلتني رسالةً مكتوبةً بلغتي ثم اختفت مره أخرى.

"إن انطلقتَ في رحلة على مسافة يومين من التلِّ المحرَّم سوف تجد جَبَلًا له شكلٌ مخروطيٌّ في الوادي أسفلهُ، يوجد نهر. ذات مرة دارت هناك معركة بالقرب من مَمَرٍ. ابحثْ هناك لترى ما الذي يَمَكِّنُك العُشور عليه."

اتصلتُ برولاند وانطلقنا إلى هناك على الفور، وكان قوَّة مغناطيسية كانت تجذبنا إلى هناك. تَتَبَعْنَا إرشاداتها وعثرنا على كَوْمَةٍ صَخَمَةٍ من الأسلحة، الخوذات والأشياء الثمينة. وجدنا أيضًا عظامًا بشرية، وعظام فَيْلَةٍ، وأحصنة وخراتيت. في منتصف حَفْرِنَا ظهرت لنا الفتاة مرَّةً أخرى. حَيَّيْتَهَا وصَحَّتْ، "انظري إلى كل هذا الذهب!" دَقَّقْتُ النظر في كل ما وجدناه لكنها لم تَبْدُ مُهْتَمَّةً بالذهب. ظَلْتُ صَامِتَةً، وظلُّ لا أحد يعرف من أين أتت ولا ما اسمها. كان مساعدونا يخافونها بشدَّة. تَفَقَّدَت الجماجم يدقَّة، وقرأت كُلَّ نَقْشٍ عَثَرْنَا عليه. حين انتهينا من استكشافنا بَدَا أنها مُحَبَّبَةٌ بِشدَّة. جَلَسْتُ على الشاطئ تُحَدِّقُ في البحر. ذهبْتُ وجلسْتُ بجوارها.

"أنتِ تبخثن عن شيء ما."

"نعم"، قالت بِلَكْنَةٍ ثَقِيلَةٍ لِلغَايَةِ.

"شيء ما أُمِن من الذهب."

"نعم"، قالت، "عليك أن تُواصلَ البحث. عليك أن تَعْبُرَ الشُّقَّ العَظِيمَ"
"الشُّقُّ العَظِيمُ؟".

"تَتَبَّعْ أَنْفَكَ، سَتَجِدُ الأَبْرَاجَ السَّبْعَةَ"، قالت وهي تشير نحو الأفق.
"أَتَتَبَّعْ أَنْفِي؟ إن أفريقيا على مِبعْدَةِ خَمْسَةِ وَعِشْرِينَ مِيلًا مِنْ هُنَا! لَكِنِّي سَأَذْهَبُ إِلَى هُنَاكَ إِنْ أَخْبَرْتَنِي مَنْ أَنْتِ".
"اسْمِي جَرِيْسٌ".

ذَهَبْنَا إِلَى هُنَاكَ كَمَا أَخْبَرْتَنَا وَعَثَرْنَا عَلَى الأَبْرَاجِ السَّبْعَةِ. مَرَّةً أُخْرَى، ظَهَرَتْ لَنَا فِي مَنْتَصَفِ حَقْرِنَا، وَرَغْمَ اكْتِشَافِنَا أَقْنَعَةً وَمَتَائِلَ وَأَطْلَالَ لَا تُقَدَّرُ بِتَمَنٍّ، إِلَّا أَنَّهَا هَزَّتْ رَأْسَهَا وَقَالَتْ: "لا، إِنَّهُ لَيْسَ هُنَا، لَا بُدَّ أَنَّهُ فِي مَكَانٍ مَا آخِرٌ".

"هل كانت تعرف أن التابوت لديك؟".

"لقد قالت إن عليّ إلقاءه في البحر. وَعَدَّتْهَا بِذَلِكَ بِالْفِعْلِ، لَكِنُّ التَابُوتَ كَانَ يُبْهَرُنِي؛ لِذَلِكَ بَنَيْتُ مُخْتَبِرًا حَدِيثًا فِي قَبْوِ مَنْزِلِي لِاِكْتِشَافِ مِمَّا صُنِعَ".

بدا أن أذنيّ رأس الطّبي قد انتصبتا.

واصلَ كرومويل:

"ذات يوم أيقظتني ضجةٌ. بدا أن أحدهم قد اقتحم قبوي وكان يُلقني بمحتويات المكان في القمامة. ركضتُ هايطًا إلى هناك ووجدتها، عيناها غاضبتان، تكسّرُ أنابيب الاختبار والمجاهر، وتخبط التابوت بقبضتيها. جذبتُ ناب حوت الزوال ولمستُ بطرفه الحادُ صدري، وقالت حانقةً:

"لَقَهْمُ تَابُوتٍ كَهَذَا يَحْتَاجُ الْأَمْرَ إِلَى قَدْرِ كَبِيرٍ مِنَ الْحِكْمَةِ، وَإِلَّا فَلَنْ يَجْلِبَ عَلَيْكَ سَوَى الْمَوْتِ وَاللْعَنَةِ! مَنْ يَهْزِمُ الزَّمَنَ يَخْسِرُ الْعَالَمَ" ثُمَّ صَرَخَتْ بِنْتِي عَلَى رَأْسِي بِقُوَّةٍ. حِينَ عُدْتُ إِلَى وَعْيِي كَانَتْ قَدْ ذَهَبَتْ. وَلَمْ أَرَهَا مَرَّةً أُخْرَى قَطُّ.

لَكِنُّ كَلِمَاتِهَا التَّصَقَّتْ بِرَأْسِي. يَهْزِمُ الزَّمَنَ؟ لَمْ يَخْطُرْ لِي هَذَا الْأَمْرُ قَطُّ. أَدْرَكْتُ الْقُوَّةَ السَّحْرِيَّةَ لِلتَّابُوتِ، وَقَهْمْتُ أَنَّهُ اكْتِشَافٌ رَائِعٌ لِلْجِنْسِ الْبَشَرِيِّ. اسْتَغْرَقْتُ وَقْتًا طَوِيلًا لِتَطْوِيرِ تَقْنِيَةِ صُنْعِهِ، لَكِنِّي، بَعْدَ ذَلِكَ بِخَمْسِ سِنَوَاتٍ، نَجَحْتُ فِي صَنْعِ تَابُوتٍ بِحَجْمِ كَامِلٍ، وَبَعْدَ ذَلِكَ بِوَقْتٍ قَصِيرٍ اكْتَشَفْتُ كَيْفَ أَصْنَعُهُ بِطَرِيقَةٍ غَيْرِ مَكْلُفَةٍ. نَجَحْتُ فِي تَحْرِيرِ الْبَشَرِ مِنَ الزَّمَنِ اللَّزِجِ. كَانَ هَذَا أَعْظَمَ تَطَوُّرٍ حَدَثَ فِي تَارِيخِ الْجِنْسِ الْبَشَرِيِّ! حَتَّى أَفْقَرُ الْبَشَرَ يُمْكِنُهُمْ اسْتِخْدَامُ التَّابُوتِ لِانْتِظَارِ وَقْتِ الْحَصَادِ. كَانَ هَذَا مَا يَحْتَاجُهُ الْعَالَمُ. لَا فِرَايِرَ بَعْدَ الْآنِ!".

تَحَدَّثُ كَرُومُوِيلُ كَمَنْدُوبٍ مَبِيعَاتٍ مَتَحَمُّسٍ؛ كَانَ وَاضِحًا أَنَّهُ رَدَّدَ هَذَا آلَافَ الْمَرَّاتِ مِنْ قَبْلِ. سَارَ إِلَى النَّافِذَةِ وَحَدَّقَ فِي الْمَنْزِلِ الْمُقَابِلِ عَلَى الْجَانِبِ الْآخَرَ مِنَ الشَّارِعِ مَذْهُوُلًا.

"إِنَّ هَذَا الْمَبْنَى عَلَى وَشِكِ الْإِنْهِيَارِ، هَلْ يَوْجَدُ أَحَدٌ بِدَاخِلِهِ؟".

"لَا بُدَّ أَنْكَ تَرَى الْوَهَجَ الْأَزْرَقَ".

حَدَّقَ فِي الْمَنْزِلِ، لَكِنَّهُ رَأَى خُفَافًا نَائِمًا يَتَدَلَّى مِنْ عَامُودِ سِتَارَةٍ بِالْأَعْلَى، أَشَاحَ بِبَصَرِهِ بَعِيدًا، وَبَدَا أَنَّهُ يَفْكُرُ.

قَالَ بَعْدَ فِتْرَةٍ: "رَبْمَا كَانَتْ جَرِيْسٌ مُحِقَّةٌ. يَجِبُ بِالْفِعْلِ التَّحْلِيُّ بِقَدْرِ كَبِيرٍ مِنَ الْحِكْمَةِ لِلتَّعَامُلِ مَعَ شَيْءٍ كَهَذَا".

قَالَتْ سَيَجْرِينُ: "يَجِبُ أَنْ تَعْطِينَا الْمِفْتَاحَ، قَبْلَ فَوَاتِ الْأَوَانِ".

"تَعَالَوْا مَعِي"، قَالَ كَرُومُوِيلُ. "يَوْجَدُ شَيْءٌ مَا يَجِبُ أَنْ تَرَوْهُ".

قَادَهُمْ فِي رَوَاقٍ مُظْلِمٍ. ضَغَطَ زُرُّ إِشْعَالِ الضَّوءِ، لَكِنْ لَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ تَيَّارٍ
كَهَرِبَاءٍ، فَعَثَرَ بَدَلًا مِنْ ذَلِكَ عَلَى بَعْضِ الشَّمْعِ لِتَنْبِيرِ لَهُمْ الطَّرِيقِ. فِي
نَهَايَةِ الرِّوَاقِ يَوْجَدُ بَابَ مَعْدِنِيٍّ ضَخْمٍ؛ أَدَارَ كِرُومُوَيْلِ الْمُقْبَضِ لِيَفْتَحَهُ،
فَدَخَلُوا غَرَفَةً مُظْلِمَةً حَيْثُ رَأَوْا، فِي وَهْجِ الشَّمْعِ الْمُتَرَاقِصِ، تَابُوتًا
عَتِيقًا فِي مَنْتَصَفِ الْغُرْفَةِ. سَارَ كِرُومُوَيْلٌ إِلَيْهِ وَرَبَّتْ عَلَى الْغَطَاءِ.
"أَلَيْسَ جَمِيلًا؟".

"بلى، إنه جميل"، قالت سيجرين، "لكنني أريد أن أعود إلى بيتي.
أريد أن أجلس على النافذة مع صديقتي نراقب المطر. الآن ناوُلني
المفتاح".

نظر كرومويل إلى الأطفال نظرة حزينة، وضع يديه في جيبه وهو
يردّد قصيدةً ما:

فِي مَكَانٍ مَا سِرِّيُّ

عَثَرْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا

جَرِيسَ وَالزَّمْنَ

شَابَتْ صَوْتَهُ نَبْرَةً اسْتِسْلَامٍ وَهُوَ يَنَاوِلُهُمْ مَا بَدَأَ أَنَّهُ بَطَاقَةٌ اتِّمَانٍ
ذَهَبِيَّةٌ.

"هذا هو المفتاح. لسْتُ المسؤُولُ إنْ حَدَثَ لَكُمْ شَيْءٌ".

"شكرًا"، قالت سيجرين وهي تأخذه منه. ثم ركضوا عائدين إلى
جريس بأسرع ما أمكنهم.

"هل أعطاكم المفتاح؟".

"نعم"، قال ماركوس. "وقصيدة صغيرة أيضًا".

"جيد"، قالت جريس. "لنذهب لنوقِظَ العَالَمَ".

المصنَعُ

سار أربعة أطفال على الشاطئ، يقتربون من مصنع ضخم يعلو على المباني الأخرى المجاورة له عند حدود المدينة. على أبراجه ذات اللونين: الأحمر والأبيض مكتوب بخط كبير شعار صندوق الزمن- ماركة مسجلة- من أجل أوقات أفضل!

عبروا ساحة انتظار مليئة بالأحراش، ورأوا النباتات المتسلقة تكاد تبتلع المبنى القاتم بأكمله. كان الجناح الإداري مليئًا بمكاتب مهجورة وورق مَصْفَرٌّ. ساروا إلى مبنى مصنع كبير، مدخله من أبواب معدنية كبيرة مغلقة بإحكام. توجد لافتة بالية مكتوب عليها

ممنوع الدخول

ضغط ماركوس زرَّ شاشية بجوار الباب. صدر صوت أزيز من مكبر صوت مغبر ثم صوت آلي يقول

المفتاح؟

أخذ ماركوس نَفَسًا عميقًا وأدخل البطاقة في الشُقِّ ورددَ بيده
الشَّعر:

"في مكانٍ ما سيري / عثرنا على أنفسنا/ جريس والزمن".
فتح؟

ضغط ماركوس على كلمة نعم على الشاشة.

السماح للزمن بالدخول؟

رفع ماركوس كِتْفَيْهِ وضغط نَعَم مُجددًا.

هل ترتدي أدوات السلامة اللازمة؟

نظر ماركوس إلى الآخرين.

سألهم "نعم أم لا؟".

أجابته كريستين "قُل نعم فقط".

هل حاويات الغذاء مليئة؟

نظر ماركوس من أعلى كتفه

"لا بُدُ ذلك، أعني... لا أعرف".

قال بيتر مُرتَبِكًا: "رَبِّمًا كانت جريس تخدعنا. لقد حَدَرْنَا كرومويل
منها. قد يكون هذا فَحْصًا".

سألت سيجرين: "حاويات أعلاف ماذا؟".

قال ماركوس: "ليس لدي أدنى فكرة". ثم ضغط نعم.

انفتحت الأبواب المعدنية ببطء لتكشف عن مساحة أكبر من
ملعب كبير، بصفوف لا نهاية لها من عواميد بيضاء تمتد أمامهم على
مرمى البصر. كان السقف مُغطى بما بدا أنه ستائر بيضاء.

"واو!" قالت سيجرين وهي تمسك بيدي بيتر. "ستائر حريرية".

"لكن ماذا الآن؟ ماذا نفعل بعد ذلك؟".

قال ماركوس: "لا أعرف".

"هل ندخل؟".

تحركوا في المساحة الفسيحة الفسيحة التي تُشبه الكاتدرائية؛ كان ضوءٌ سحريٌّ ينثال إلى الداخل من نوافذ في السقف، يضيءُ صفوفًا لا نهاية لها من أعمدة بيضاء وسوداء، بلقائف حرير مكدسة فيما بينها. جفّلت كريستين فجأة حين مرّ بها سربٌ دُبابٍ. مرّت بأقرب عمود لها ورأت كغلاً من الدباب السمين ممّراً في الأنبوب.

"إيوا يوجد هنا خزان مليء بالبرقات!".

تأرجحت أعلى رؤوسهم مباشرة ذراعٌ آليّةٌ مطليّةٌ بالأخضر.

"هذا ليس حريراً"، قال ماركوس. "إنها خيوط العناكب!".

الآن بعد أن اعتادت أعينهم على العتمة رأوا أن ما يبدو كعمود أسود هو في الحقيقة عمود عناكب. حين يقع سرب دُبابٍ من العمود الأبيض في شبكة عنكبوت، تدبُّ الحياة فوراً في العمود الأسود فيما تلتهم العناكب الدُباب؛ تهبط جحافل العناكب من أعلى أيضاً فيبدو أن المكان كله يتلوّى: كانت الجدران تتحرك، الأعمدة تنبض، الأسقف حيّة.

حدقوا في الخيوط بذهول، وراقبوا العناكب الكبيرة السمينة تغزل وتغزل كالمجنونة، تلتقط الدُباب ببراعةٍ، تُحوّلها إلى شرانقٍ، وتمتص منها عصيرها.

قال بيتر وهو يتوارى خلف ظهر سيجرين: "هيا نذهب، لا بُدَّ أن المفتاح قد أعاد تشغيل المصنع. إنَّ هذا المكان يشبه تابوت زمني عملاق".

توقَّف ماركوس عن السير مُتجمِّدًا.

"أنا لا أطيق العناكب!".

تحركت ذراع آليَّة خضراء أخرى بطول السقف، تُكوِّر شباك العناكب في كُوِّر نسيج سميقة لتلقي بها في جهاز نسيج. تحركت الذراع يمينًا ويسارًا كمكوك نول عملاق يُنتجُ أكوامًا من الألواح السوداء الكبيرة. سقطت عنكبوتٌ عند أقدامهم، فانتفضت كريستين وسخفتها بقدمها. كانت صخمةً ومُشعِرةً، في حجم كعب كريستين تقريبًا، فتركت بقعةً خضراء كبيرة على الأرضية.

"هيا نذهب"، قال ماركوس. "إنه فخ!".

فجأةً بدأ أن الريح تهبُّ في القاعة، سقطت لفائف الحرير على الأرض، فسدت مخرَجهم، توقفت العناكب كُلُّها عن الغزل في وقت واحد؛ كأنها شعرت جميعًا بالهواء المنعش... بدأ نظام الطوارئ في العمل، وومض ضوء إنذار أحمر أعلى المدخل:

إغلاق الأبواب! إغلاق الأبواب! إغلاق الأبواب!

بدأت العناكب تهبط من السقف كقوَّاتٍ خاصَّةٍ تهبط بالحبال، قطعَت خيوطها وغطت الأرضية كسجادة من الفراء... تشكَّلت طبقة سميقة تتحرك كموج البحر، فغطى الأطفال وجوههم بأيديهم والعناكب تتناثر عليها كرداذ المحيط.

"الساحرة اللعينة!" صاح ماركوس وهو يحاول أن ينفذ عنه العناكب. "لقد خدَعتنا!".

قرحتا بالعالم

كان المصنع هادئًا تمامًا. انكمش الأطفال على الأرضية، لم يجرؤ
ماركوس على رفع نظره لأعلى، لكنه فتح عينًا واحدة فوجد أن
كل شيء قد عاد لطبيعته فيما عدا بعض العناكب الميتة في أماكن
متفرقة. استمرت الأذرع الآلية في التحرك يمينا ويسارا لجمع شبك
العناكب بهمة خفيفة، لكن العناكب نفسها لم تعد هناك؛ مع أن
أسراب الذباب تحلق في الأرجاء، تلاحق صوت حركة العناكب. ركضوا
إلى ساحة الانتظار بالخارج، ورأوا جحافل العناكب تزحف على الأرض
كظل أسود يتجه نحو المدينة.

"أوه لا! ماذا فعلنا! سوف نهاجم المدينة!"

ركض ماركوس خلفها، التقط عصا ونجح في قتل قليل منها، لكنها
كانت تتحرك بسرعة.

صاح ماركوس: "هيا! ساعدوني!"

التقط الآخرون عَصِيًّا أيضًا، لكنهم بَدَوْا كمن يحاول إخفاء حريق غابة بخرطوم رَيِّ حديقة. غَطَّى الظُّلُّ الأسودُ الأرضَ، وصار الآن في منتصف طريقه إلى المدينة. حينها ظهر ظِلُّ آخر. اسودَّت السماء بأسراب غِرْبَانٍ أَتَتْ من جميع الاتجاهات؛ حَطَّت على الأرض. التقطت العناكبُ مَنَاقِيرِهَا، وطارت بها نحو المدينة، حيث أسقطتها على الأسطح لتزحف إلى البيوت من المداخل والنوافذ.

راقبَ الأطفالُ ما يحدث مذهولين.

"لقد تحوّلت الحيواناتُ ضدَّ البَشَرِ"، قالت كريستين وهي تكاد تبكي. "لقد خدعتنا جريس".

ركضوا بأسرع ما يمكنهم حتى وصلوا إلى أول منزلٍ لاهئين ومُتعرِّقين. حَطَّت الغربان على السطح تنعقُ. نظروا من نافذة البهو المكسورة وراوا الأرض المغطاة بنبات الهندباء. كانت أربع عناكب قد التصقت بتابوتٍ زَمِنَ ترقُدُ فيه امرأةٌ بابتسامة باردة، لا تدري شيئًا ممَّا يحدث.

أمسك بيتر بعصاته بقوة.

"هيا، علينا أن نُنقِذَها. يجب أن نقتل العناكب!".

لكن سيجرين أمسكت به قائلةً:

"لا. انتظر لحظة...".

جلست العناكب على الصندوق بهدوءٍ، وبدا أنها تلوك شيئًا ما. صدر فجأة صوتٌ رفيع، كصغير الميكرويف، وخرجت من الصندوق امرأةٌ في منتصف العمر، بدت دائخةً.

وقف الأطفال يراقبون، وضحكوا على صراخ المرأة حين رأت العناكب، لكنها سكتت حين نظرت إلى سجادة الهندباء.

قال ماركوس: "مساء الخير".

أجابت المرأة "مساء النور".

كانت تهُمُّ بِإمساك الهاتف، لكنَّها لاحتَظَّت أنه مُغَطَّى بفضلات الطيور.
"أنا لستُ راضِيَةً عن هذا المنظر"، قالت وهي تنظر حولها. ثم
أمسكت بجهاز التحكُّم عن بُعْدٍ في التلفاز وحاوَلت أن تشغِّله لكنها
لم تستطع.

سألها سيجرين: "ماذا تفعلين؟".

"من الواضح أن الحكومة لم تفعل شيئاً البتَّة. أريد أن أرى ماذا
سيقول الاقتصاديون، هل تَحَسَّنَ الموقِفُ أم لا".

قال ماركوس "ألا تَرَيْنَ عُشَّ الشحور الذي فيه التلفاز؟".

سمعوا فجأةً صوت رفرقة أجنحة، حَطَّ في الغرفة أربعة غربان،
التقطت العناكب وطارت بها، والأطفال يراقبون مذهولين.

قال بيتر: "لقد فَصَّمت العناكب فتحاتٍ في الصناديق السوداء".

"هذه طبيعتها" قالت كريستين، "إنها تأكل شبَّاكها، عَرَفْتُ هذا في
المدرسة".

"لكنَّ بيتنا كان مليئًا بالعناكب دائماً"، قال بيتر. "لماذا لم تلتهم
صناديقنا منذ وقت طويل؟" سأل بيتر.

"لا بُدَّ أنها فصيلة مختلفة. كلُّ نوع منها يأكل شبَّاكَه الخاصَّة".

"هذه الغربان تبدو مُدْرَبَةً على هذا"، قالت كريستين. "أتساءل إن
كان أحد ما يعرف أنشودة للغربان؟".

ركضوا إلى المنزل التالي ونظروا فيه. تَكَرَّر الأمر نفسه هناك، خرج
رجلٌ يرتدي سروالاً داخلياً مُنْقَطاً من تابوته مَدْعورًا. زحف رضيعٌ
صغير، ثم امرأةٌ في روب الحمام، قالت المرأة للرجل بعصِيَّة:

"ألم يكن عليك إعادةُ طلاء غرفة المعيشة وأنا في التابوت؟".

ثُمَّ صَرَخَتْ وَقَفَزَتْ أَعْلَى مَقْعَدٍ حِينَ رَأَتْ الْعِنَاكِبَ، الَّتِي عَادَ ،
الغريبان لالتقاطها قبل أن يتمكن الرجل من سحقها.
ركضوا مُجَدِّدًا.

"يبدو أنها تقضم فتحةً صغيرة فقط"، قالت سيجرين وهي تراقب
ما يحدث. تَفَرَّقُوا فِي جَمِيعِ الْإِتْجَاهَاتِ يَنْظُرُونَ فِي الْمَنَازِلِ وَالْمَبَانِي
السكنية ليراقبوا الناس وهم يُحَدِّقُونَ بِرَعْبٍ فِي الْعَالَمِ الْمُتَهَالِكِ.
" اطمئنوا! لا تخافوا. لقد انحرف العالم عن مساره قليلًا. نحن الآن
في حاجة للمساعدة لنصلحه. هيّا!".

كان الناس يزدادون في الشوارع زُوَيْدًا زُوَيْدًا.
"انتهوا لأطفالكم!" صاح ماركوس. "توجد دببةٌ بُنِيَّةٌ في مراكز
التسوق".

حَطَرَتْ لبيتر فكرة؛ فركض إلى منزل صديقه سكايلر، الذي لم يعد
له بابٌ أمامي الآن، فدخل بيت البيت مباشرة وانتظر أن تأتي العناكب
لتفتح تابوت سكايلر.

قال سكايلر حين رأى بيت: "مرحبًا، هل عدت؟".
"نعم، تعال معي".

"أنا كبيرٌ جدًا على اللعب"، قال سكايلر بصوته الحشِن وهو ينظر
حوله. كانت عُرقته مليئةً بالحمائم.

"هذا كلام فارغ"، قال بيت وهو يشدُّ سكايلر إلى الخارج، "بالطبع
تُحبُّ أن تلعب".

بَدَتِ الشوارع مثل السيرك تقريبًا: أطفال صغار صاخبون، غزلان،
طيور النورس، موظفون، سناجبٌ، ومراهقون. كان قَلَاحٌ مُرْتَبِكٌ يَرَكُضُ
خلف قطيع أبقاره أعلى كوبري يُغَطِّيه العشب.

سأل سكايلر: "واو، ما هذه الفوضى؟ ماذا حدث؟".

أجابته بيتر بابتسامة: "سأخبرك فيما بعد".

قال سكايلر "يجب إعادة بناء كل شيء!".

"نعم"، قال بيتر، "كل ما أمكن بناؤه من قبل يمكن إعادة بنائه مُجددًا".

هرش سكايلر رأسه وفكّر أن بيتر ليس أحمق كما كان يظنّه لمجرد أنه طفل.

"لكن توجد أشياء مُعيّنة ربّما لا يجب إعادة بنائها"، قال بيتر وهو يشير إلى مبنى بنكِ بَدَا كمَقَبَرَةٍ عملاقة مَكْسُوءَةٍ بالطحالب.

تَجَوَّلًا مَعًا في الشوارع، يثرثران. كان الناسُ هادئين بشكلٍ مُدهِشٍ؛ بدأ بَعْضُهُمْ في أعمال الإصلاح بالفعل، فيما تَجَوَّل آخرون في المدينة كأنّهم لا يُصدّقون ما يرونه. ساعدَ سكايلر امرأةً عجوزًا على هبوط سُلّم. وراقب بيتر طفلاً صغيراً فيما يَغسِلُ أبوه ملبسه من الطحالب. كان سكايلر طويلاً جداً، لكن بيتر توقّف عن استغراب الأمر: ما زال صديقه معه، مع رغم وجوده الآن في هذا الجسد الضخم.

قال فجأة: "سكايلر!".

"نعم؟".

"ما زلنا أصدقاء، أليس كذلك؟ حتى وإن كنت أكبر مني بسبعة أعوام؟".

"نعم، أظن ذلك".

"حين سأكون في السبعين، وأنت في السابعة والسبعين، لن يُلاحظ أحدُ الفارق".

"هذا حقيقي"، قال سكايلر.

شاهدًا الرُّجْلَ العجوزَ صَاحِبَ مَتَجَرِّ الأَلعابِ يُعَلِّقُ لَافِتَةً بَينَ شَجَرَتَينِ.

مرحبًا بالعالم

كان لديه المزيّد من اللافتات لتعليقها؛ فرغّص بيتر إليه ليساعده:

الأوقات الرّائعة في انتظارنا

سمع ماركوس صوتًا مألوفًا يُناديه باسمه، ورأى والدَه من بعيد، يركض في الشارع ويبدو قَلْبًا. قفز ماركوس بين ذراعيه.
"ماركوس عزيزي، كنتُ قَلْبًا عليك".

"لا، بل أنا مَنْ كنتُ قَلْبًا عليك"، قال ماركوس، "لكنّ كُلُّ شيء سيكون على ما يُرام الآن، إنّ لدينا كُلُّ الوقت".
"ماذا سيحدث الآن؟".

"لا أعرف. أي شيء. ستستمرّ الحياة. انظُرْ إلى تلك اللافتة هناك".

رفع والدُه بَصَرَه إلى لافِتة مَتَجَرِّ الأَلعاب:

كُلُّ الأَيام جَيِّدَة!

"الأمر ليس بهذه البساطة"، قال والده وهو يَعْقِدُ حَاجِبِيَه.

"أعرف"، قال ماركوس، "لكن متى كانت الحياة بسيطة؟".

لم يُعَلِّقْ والدُه بشيء، لكنه لَفَّ ذراعَه حول كَتِفِي ماركوس.

ذهبت سيجرين إلى بيتها. جلّست على أرضية غرفة المعيشة، نظرت إلى الضفدع الجالس على طاولة القهوة، تنتظر. كانت الغريبان تطير بالعناكب في الحيّ المجاور، لكنها لم تَصِلْ إلى منزلها بعد. كانت تسمع الصُخَبَ والصُّجَّةَ يزدادان؛ ركض الأطفال في الشوارع، وبدأ أحدهم في مكانٍ بعيدٍ العزفَ على الجيتار.

مَرَّتْ بِهَا كَرِيسْتِينَ.

"تعالى معى لنبحث عن جريس!".

أجابتها سيجرين "لا أستطيع، أنا أنتظر خروجَ ماما وبابا".

"لن يُلاحظَ شيئًا! سنستغرق وقتًا قصيرًا فقط".

نَقَرَتْ سيجرين على الصندوقين بِرِقَّةٍ وكتبَت رسالةً في حالِ خَرَجَا
منها وهي بالخارج

خرجتُ لوقتٍ قصيرٍ فقط، لا تقلقا.

وجدت كريسيتين وسيجرين منزلَ جريس، لكنَّ الرُّوجَيْنِ اللذين
فَتَحَا لهما قالا إنهما لا يعرفان أحدًا يُدعى جريس.

تَحْتَ السَّنْدِيَانَةِ الْكَبِيرَةِ

بعيدًا جدًا جدًا، جَلَسَتْ امرأةٌ عجوزٌ أسفلَ شجرةِ سنديانٍ عتيقةٍ،
جِدْعُهَا مُلْتَفٌّ حَوْلَ نَفْسِهِ بِطَرِيقَةٍ غَرِيبَةٍ، تَحْمِلُ وَرْقَةً مُهْتَرِنَةً:

سنلتقي مُجَدِّدًا!!

الفضل يعود لأنشودة الغربان، أن كانت الطيور الآن تقوم بَمَهْمَتِهَا
في جميع أنحاء العالم. تُعَرَفُ العجوزُ أن الزمن الآن يتسرّب إلى توأبيت
البشر في كل مكان، يملأ أوقاتهم بالفرح والأسى. عطوفٌ تارةً وقاسٍ
تارةً أخرى، سيظل يتلاعب بالجميع كالنسيم المنعش، كعاصفة
هوجاء، كيوم هادئ. سيقوئهم، سيرفعهم لأعلى ويهوي بهم لأسفل
كالرمل المنثور.

حين غربت الشمس وسطعت النجوم في سماء الليل اللامتناهية،
غَفَّت على فِراشٍ من الطحالب الناعمة، في الظلِّ الوارف للسنديانة.
رأت في حُلْمِهَا أَقْرَامًا بثمانية أقدام، مَلَكًا حزينًا، وشُعَاعَ الشَّمْسِ

الجميلة تُحدِّقُ فيها بِشوقٍ شديد. حَلَمَتْ بثلاثِ شقيقاتٍ حينَ
لِيَصْطَحِبْنَهَا إلى غابة، حيثَ طَارَدْنَ الأيائلَ والأرانبَ البرِّيَّة، والطِّبَاءَ
والخنازيرَ البرية. لكنَّهُنَّ تَوَقَّفْنَ فجأةً عندَ شجرتينِ صغيرتين. أمسكتِ
واحدةً بيديها، نظَّرتِ الأخرى في عينيها يَعمِقي وهَمَّستِ الثالثةُ لها:
لقد حان الوقت.

استيقظت فوجدت يدا ناعمةً متعرِّفةً تُربُّتُ على خديها، وسمعتِ
صوتًا مألوفًا يُنشدُ شعراً بلُغةٍ لم يُعدْ في العالمِ من يفهمها سواها:

رقيقةٌ كالسُنونو

وديعَةٌ كالحمَل

جمالها الذهبِيُّ يسحر العالمَ كُلَّهُ.

فتَحَّت عينيها على عيني فتى لَوَّحتِ وجهه الشمسُ.

"أخبريني إذا أوبسديانا، ما أخبارُ عالمِ الزَّمنِ؟".

فما كنت تعلم ان الله صادفك ان
تكون من الذين يفتخرون
بما فعلوا والذين يفتخرون
بما فعلوا فماذا يفعل الله
بالذين يفتخرون
فما كنت تعلم ان الله صادفك ان
تكون من الذين يفتخرون
بما فعلوا والذين يفتخرون
بما فعلوا فماذا يفعل الله
بالذين يفتخرون

فما كنت تعلم ان الله صادفك ان
تكون من الذين يفتخرون
بما فعلوا والذين يفتخرون
بما فعلوا فماذا يفعل الله
بالذين يفتخرون
فما كنت تعلم ان الله صادفك ان
تكون من الذين يفتخرون
بما فعلوا والذين يفتخرون
بما فعلوا فماذا يفعل الله
بالذين يفتخرون



www.qurssan.com